عبد الباقي مفتاح

شروح على نفاسير الفاتحة والبسملة

للشيخ محيى الدين ابن العربى

المكتبة الفلسفية الصوفية

شروح على
تفاسير الفاتحة والبسملة
للشيخ محيي الدين ابن العربي

المؤلف : عبد الباقي، مفتاح.
الكتاب : شروح على تفاسير الفاتحة والبسملة للشيخ محيي الدين ابن العربي – ط ١. الجزائر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
الحجم : ١٥ × ٢٣سم.
عدد الصفحات : ٢٣٦ ص.
الناشر : المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
ردمك :
١ – تفسير.
ردمك :
رقم الإيداع القانوني :

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

لا يجوز طبع أو نقل هذا الكتاب في أي شكل أو بأية واسطة (إلكترونية أو ميكانيكة)، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع دون إذن خطي من المؤلف أو الناشر.

عبد الباقي مفتاح

شروح على
تفاسير الفاتحة والبسملة
للشيخ محيي الدين ابن العربي

المكتبة الفلسفية الصوفية

قال الشيخ الأكبر في تحقيق العظمة الإلهية من روح الفاتحة :

الحمد لله ربِّ العالمين على ... ما كان منه من الأحوال في الناسِ
مما يسرّهم، مما يسوؤهم ... وكلُّ ذلك محمول على الرأس
له الثناء، له التمجيد أجمعه ... من قبل والدنا المنعوت بالناسي
عبدته وطلبتُ العون منه كما ... قد قال شرعا على تحرير أنفاسي
وأن يهيئ لي من أمرنا رشَدا ... وأن يليّن مني قلبيَ القاسي
حتى أكون على النهج القويم به ... خُلقا كريما بإسعاد وإيناس
الله نور، تعالى أن يماثله ... نور وقد لاح لي في نارِ نبراسِ
لو قال خلق به من دون خالقه ... لكفّروه وما في القول من باس
لأنه مثل لو قلته قيل هل ... لداء هذا الذي قد قال من آسي
وما جهلتُ سوى أوقاتها ولذا ... نهيت عنها وسواسي وخَناسي
فلو تجارت لها سبقا خيول نهى ... فازت بها في سباق الكشف أفراسي

ديوان ابن عربي- دار الكتب العلمية -(١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.- ص.١٣١)

الفهـــرس

مقدمة:
- أحاديث فضل الفاتحة.
- أهمية الفاتحة وخصائصها.

تمهيد:
- الغرض من هذا الكتاب.
- أهمية علم أسرار الحروف والأعداد عند الشيخ الأكبر.

الباب الأول:
- الفاتحة في تفسير «**إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن**».

الباب الثاني:
- في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة من «**الفتوحات المكية**».

الباب الثالث: شروح لتأملات الشيخ حول:
- سورة الفاتحة من كتاب «**إشارات القرآن في عالم الإنسان**».
- إشارات الفاتحة من كتاب «**العبادلة**».
- إشارات الفاتحة من كتاب « **التنازلات الموصلية**».

الباب الرابع:
- شرح «**كتاب العظمة**».
- حضرة العظمة.
- معنى التعلق والتخلق والتحقق بالاسم العظيم.

الباب الخامس:
- اختصاص الفاتحة بسيدنا محمد ﷺ وأمته.
- تأويل أم الكتاب المدخر للأمة المحمدية.
- مناجاة « الفاتحة « من كتاب «**الإسراء**».

الباب السادس:
- شرح منزل الفاتحة أو العظمة الجامعة للعظمات المحمدية من «**الفتوحات المكية**».

الباب السابع:
- الأسماء الاثنا عشر في كنز الفاتحة، ورجالها مفاتيح الكنوز من وتر رسول الله ﷺ من الفتوحات المكية.

الباب الثامن:
- علاقة الفاتحة بالرداء الإلهي من «**الفتوحات المكية**» وكتاب «**التراجم**».
- معنى الرداء والإزار.
- باب ترجمة معرفة الرداء من كتاب «**التراجم**».

الباب التاسع:
- شرح «**المدخل إلى المقصد الأسمى في إشارات الفاتحة**».

الباب العاشر:
- شرح الباب الخامس في أسرار البسملة من «**الفتوحات المكية**».

الباب الحادي عشر:
- مواقع البسملة في أبواب «**الفتوحات المكية**».

الباب الثاني عشر:
- شرح الباب الخامس من الفتوحات المكية في أسرار أم القرآن من طريق خاص.

مقدمة

موضوع هذا المجموع هو فاتحة الكتاب عند الشيخ محيي الدين بن العربي؛ وخير ما يبدأ به، ما ورد في شأنها في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة.

فقد جاء في بيان عظيم قدرها قوله - تعالى- في الآية ٨٧ من سورة الحجر: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾.

والقول المأثور في تفسير هذه الآية: أنها الفاتحة، وهي سبع آيات. قال ابن كثير في تفسيره: روي ذلك عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس. قال ابن عباس: «والبسملة هي الآية السابعة، وقد خصكم الله بها». وبه قال إبراهيم النخعي، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وابن أبي مليكة، وشهر بن حوشب، والحسن البصري، ومجاهد. وقال قتادة: ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب، وأنهن يثنين في كل قراءة. وفي رواية: في كل ركعة مكتوبة أو تطوع واختاره ابن جرير، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك.

أحاديث فضل الفاتحة.

من الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضل سورة الفاتحة:

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يُؤْتَهُمَا نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعْطِيتَهُ. رواه مسلم.

(٢) قال رسول الله ﷺ: ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها. وإنها سبع من المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته. متفق عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، قال: اثنى علي عبدي. فإذا قال: ﴿**مالك يوم الدين**﴾، قال مجدني عبدي.وإذا قال:﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل . رواه مسلم..

(٤) عن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟، فقام معها رجل ما كنا نأبه به برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي قال لا ما رقيت إلا بأم الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى نأتي أو نسأل النبي ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم. رواه البخاري .

(٥) وروي عن الإمام علي- رضي الله عنه -:[نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش].

بعض الأحاديث التي وردت في فضل سورة الفاتحة، وقال بضعفها بعض أهل الحديث:

(١) فاتحة الكتاب تجزي ما لا يجزي شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان، وجعل القرآن في الكفة الأخرى، لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات.

(٢) فاتحة الكتاب شفاء من السم.

(٣) إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت «فاتحة الكتاب» و «قل هو الله أحد»؛ فقد أمنت من كل شيء إلا الموت .

(٤) فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرؤهما عبد في دار فيصيبهم ذلك اليوم عين إنس وجن.

(٥) فاتحة الكتاب شفاء من كل داء.

(٦) فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن.

أهمية الفاتحة وخصوصياتها:

كثير من علماء الإسلام قديما وحديثا كتبوا حول معاني الفاتحة، وما تتضمنه من حقائق الإيمان، في أحسن وأوجز بيان. ومما كتبه أحد المعاصرين، مع تصرف في بعض الجمل، قوله: هذه السورة هي أمُّ القرآن الكريم، التي جُمِع فيها كل مقاصد القرآن، وأُجمل معانيه في تلك الآيات السَّبْع المثاني، بالأسلوب المعجِز، واللفظ الموجَز، والقول السَّلس الذي لا يحتاج إلى كثيرِ معاناةِ بحْث، ولا يَستدعي عميقَ فَهْم وعويص تفكير، فهي نمُوذج القرآن الذي يرسم أسُسَه وحقائقه في كلِّ نفْس، ويصوِّر معانيه في كلِّ قلب، العلماء والدَّهْماء على اختلاف منازلهم، وتبايُنِ درجاتهم، إذا ما لفَتُوا أفهامهم بعض اللَّفت، ووجَّهوا قلوبهم نوْعَ توجيه، آتتْهُم هذه الفاتحةُ المباركة ذلك النموذجَ القرآني، وتلك الصُّورة الحقَّة لمقاصد الكتاب الحكيم.

ومن ثَمَّ فرَض الله قراءتهَا في كلِّ ركعة من الصَّلوات المتكرِّرة بُكْرة وعشيًّا، وطرفي النهار وزُلَفًا من الليل، يقرؤها خاشعًا قانتًا، في موقف الذُّل والضَّراعة، يناجِي ربَّه بتلك الكلمات القليلات العددِ، العظيمات القدْر، الكثيرات الخيرِ والبرَكات، فيذوق فيها من لذَّة القرآن، ويشهد من أنواره ما يدفعه بقوَّة إلى استجْلاء تفاصيل جمل الخيرات، واقتطاف ثمار فرْع تلك الأصول الناميات المباركات، وكلَّما قرأْتَ فاتحة الكتاب وجَدْتَ من ورائها ذلك الدَّافع يَدفعك إلى قراءة غيرها من بناتها مما يفصِّل مواضيعها ويشْرَح حكمها من سُوَر القرآن الأخرى.

ثم هي مشْعِرةٌ قلْبَ تاليها متدبِّرًا خاشعًا أصولَ لذَّة السعادة الإسلامية، وغارسةٌ في نفْسِه شجرةَ الإيمان الوارفة الظَّليلة، فيجد عنده أقوى باعث نفْسي وجداني إلى الاستزادة من تلك السَّعادة، والاعتناء التام بتلك الشجرة التي لا يجد نعيم العيش إلاَّ في ظلِّها، ولا يَعرف

طَعْم نعيم الحياة إلاَّ في ثمارها، فهو أبدًا يحرص على سَقْيِها بماء القرآن العَذْب الذي يَزيدها في قلبه تأصُّلاً، وفي ظلِّها امتدادًا، وفي ثمراتها كثرة ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢].

ومَن فَقهَ الفاتحةَ وتدبَّرها حقَّ التدبُّر، تفتَّحت له منها أبوابٌ من العلوم وافرة، وتفجَّر له من كلماتها بحارٌ من المعارف زاخرة، وبان له أتمَّ البيان حكمةٌ تحتمها في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة قراءة بنفسه، أو إصغاء لإمامه، ملْقِيًا إليها قلْبَه وهو شهيد، ويا حسْرة على الغافلين الذين يسارعون في قراءتها إسراعًا بلا تدبُّر ولا ترتيل! كم حُرموا من تلك العلوم، وكم فاتَهم من خيرات القرآن وهدايته؟

وسُمِّيت «مثاني»؛ لأنَّها تُثنَّى بالقراءة، وتكرَّر في كلِّ صلاة، ولأنَّ ما يجد قارئها فيها من لذَّة ومتعة يَدْعوه للعودة إلى تَثْنيتها، وتثنية الحبل: تكرير فَتْله، أو سُمِّيت مثاني؛ لأنها استُثْنِيت لهذه الأمَّة، فخُصَّت بها دون غيرها من السابقين.

وفي الأسماء الحسنى «الله، ورَبّ، والرَّحمن» التعريفُ بالمعبود - سبحانه وتعالى - لأنَّ تلك الثلاثةَ الأسماء هي مرجع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وفي ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ [الفاتحة: ٥] إخلاصُ حقِّ الإلهية بإخلاص العبادة له وحْده، وفي ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥] حقُّ الرُّبوبية بطلب المعونة منه - سبحانه - إذْ لا يقْدِر عليها سواه، وطلب الهداية إلى الصِّراط المستقيم مَبْناه على صفة الرَّحمة، والحمد يتضمَّن تلك الأمور الثلاثة، فالله المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته، والثَّناء والمجد كمالان لجِدِّه.

وفي قوله: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [الفاتحة: ٤] إثبات المَعاد، وجزاء العِبَاد على حسناتهم وسيِّئاتهم، وأنَّه هو المتفرِّد بالحُكْم والفصل في ذلك، وحكمه العدل، فلا تُظلم نفسٌ شيئًا.

وتضمَّنَت هذه السُّورة إثبات النبوَّات؛ فإن ربَّ العالمين وسيِّدهم ومالكِهم ومدبِّرهم لا يَترك الإنسان سُدًى، لا يُعرِّفه ما ينفعه في معاشه ومَعاده، وما يضرُّه في دنياه وآخرته، وهذا من أمحَل المُحال، والمألوه الذي لا يَرضى إلاَّ إفرادَه وتخصيصه بالعبادة، لا سبيل لعابديه أن يؤدُّوا

حـقَّ ألوهيَّتـه عـلى وجههـا الـذي يرضيـه إلاَّ مـن طريـق العلـم عنـه بـما يحـبُّ لنفْسـه ومـا يحـبُّ لعابديـه؛ وذلـك لا يكـون إلاَّ بواسـطة رسُـله.

ومَـن أَعطـى اسـمَ «الرَّحمـن» حقَّـه عَـرَف أَنَّـه متضمِّـن لإرسـال الرسـل، وإنـزال الكتـب، أعظَـمَ مـن تضمُّنـه لإنـزال الغيـث، وإنبـات الـكلأ، وإخراج الحـب! فـإنَّ اقتضـاء الرحمـة لمـا يُحيِـي القلـوب والأرواح أعظـم مـن اقتضائهـا لما يحيـي الأبـدان والأشـباح.

والـربُّ ملـك يـوم الجـزاء الـذي يَدِيـن العبـاد عـلى أعمالهـم، فيَجْـزِي المحْسِـن بإحسـانه والمسيء بإسـاءَتِه، لا بـدَّ أن يُقِيم برسـله حجَّتَه للمحْسِـنين، ويَقطـع بهـم معاذيـر المسـيئين.

والهداية: هـي البيـان والدَّلالـة، ثـم التَّوفيـق والإلهـام، ولا سـبيل إلى الدَّلالـة والبيـان إلاَّ مـن جهـة الرُّسـل، الذيـن هـم سُـفَراء الله إلى خلقـه، وأُمَنـاؤه عـلى دينـه.

وهمـا هدايتـان مسـتقلَّتان، لا يَحصـل للعبـد شيءٌ مـن الفَـلاَح إلاَّ بهـما مجتمِعَتـين؛ إذْ بالدلالـة يعـرف الحـقَّ تفصيـلاً وإجمـالاً، فـلا يختلـط علينـا بالباطـل، ولا يسـتطيع شـياطين الإنـس والجـن أن يَلْبِسـوا عـلى المؤمنـين أمْرَهـم، ولا أن يُزِيغوهـم عـن الـصِّراط المسـتقيم، وبهدايـة التَّوفيـق يتَّبِـع ويحـب الحـقَّ ظاهـرًا وباطنًـا..

والمؤمـن يعلـم عـن يقـين صـادقٍ شـدَّةَ حاجتـه إلى هاتَـيْن الهدايتَـيْن، وفقْـره إليهـما في كلِّ أدواره وأطـواره، فكـم مـن حـقٍّ يجهلـه! وكـم مـن صالـح لا يبـادر إليـه! بـل يتهـاوَنُ عنـه ويتكاسـل، وكـم مـن عجْـز يُقعـده إذا هـو نشـط وأراد! كـم مـن كلِّ هـذا كثـير، فـإن لم تَكُـن لنـا مـن الله هدايـةُ إرشـاد وتوفيـق ومَعُونـة، فوَيْـل لنـا مـن أنفُسِـنا وشرورهـا، وويـل لنـا مـن أعمالنـا وسـيِّئاتها.!

وإنَّ القلـوب بـين إصْبَعـين مـن أصابـع الرَّحمـن يقلِّبهـا كيـف يشـاء، فالْزَم موضـع الـذُّل، ومقـام الحاجـة، وسَـلْه أبـدًا مـن كلِّ قلبك ونفسـك، بـكلِّ ذرَّة فيـك: هدايـةً تُقِيـم لـك معـالِمَ الحـقِّ وتَدلُّـك عليـه غـيرَ ملتَبِـس، وهدايـة تثبِّـت قلبـك عـلى مـا يحـبُّ ربُّـك ويـرضى مـن هـذا الحـقِّ، الـذي هـو ديـن الإسـلام..

ولما كان طالِبُ الصِّراط المستقيم يَطلب أمرًا كثر النَّاكبون عنه، وعزَّ الراغبون فيه، وكانت النفوس مجبولة على وحشة التفرُّد، وعلى الأُنْس بالرَّفيق، نبَّه الله - سبحانه - على كرم الرَّفيق في هذا الطريق، وأنه وإنْ قلَّ فهو خير مِن مِلءِ الأرض من غيره، والعاقل لا يَرغب إلاَّ في النَّفيس الكريم، ولا يرضى بالغُثَاء والزَّبَد وإن كثر.

وإنَّ أعداء الله سيختَطُّون من حول الصِّراط المستقيم وعلى جنبتَيْه خطوطًا يدْعُون إليها ويُرغِّبون فيها بشتَّى المرغِّبات والتهاويل.

فلا تأخذنَّك هذه التهاويل بجعاجِعِها، ولا تَعْبأ بتلك الأباطيل وقعاقعها، فما هي إلا طَبْل فارغ، وكلام أجوف، وما هي إلاَّ سراب بقِيعة، وغبار تَذرُوه رياح الحقِّ، وغُثاء تحْرقه أنوار القرآن، وامْض قدُمًا في صراطك المستقيم، مؤتنسًا في غربتك بأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

ولَمَّا كان أحبُّ العبادة إلى الله هو الدُّعاءَ، كما جاء في الحديث: (الدعاء مُخُّ العبادة)، ولما كان أسْنَى المطالب وأجلُّها هو سؤالَ الله الهدايةَ إلى الصِّراط المستقيم، ونَيله هو أشْرف المواهب، فقد عَلَّم الله - سبحانه وتعالى - عبادَه كيف يسألونه ذلك، ورَسَم لهم أجمَل خطَّة وأحبَّها إليه في سورة الفاتحة: أن يقدِّموا بين يدَي سؤالهم حمْدَ ربِّهم، والثَّناء عليه بما هو أهله، وتمجيدَه والتَّفويضَ إليه، ثم اعترافَهم التامَّ بالعبودية والذِّلة، والخضوعَ والخشوعَ له وحْدَه، والفقْرَ والحاجةَ المطْلَقة إلى غِنَاه المطْلَق، والبراءةَ كل البراءة من حوْلهم وقوَّتهم، والتنصُّلَ منهما إلى حول الله وقوَّته.

فهاتان هما الوسيلتان إلى كلِّ مطلوب، وهما أحبُّ ما يحبُّه الله - تعالى - إذْ جعل ذلك دينًا لنا في صبَاحنا ومسائِنا وجميع أوقاتنا بهذه الفاتحة، فالوسيلة الأُولى بأسمائه الدالَّة على عظمته، وجلاله وكبريائه، وفضله ورحمته، وكرمه وعطائه، والثانية بفقر العبد إلى ربِّه ومسْكنته، هاتان الوسيلتان لا يكاد يُردُّ معهما دعاء.

تمهيد

الغرض من هذا الكتاب.

الدين إسلام وإيمان وإحسان، والتصوف الإسلامي الأصيل هو التعبير العملي عن مقام الإحسان. والشيخ الأكبر أبو بكر محمد بن علي محي الدين ابن العربي (٥٦٠ هـ-٦٣٨هـ) هو الترجمان الأعظم، كيفا وكما، لحقائق التصوف الإسلامي. فقد كتب أكثر من أربعمائة تأليف في مختلف جوانب المعارف الصوفية، أشهرها الموسوعة الكبرى «الفتوحات المكية». وبيّن الشيخ مصدر علومه فقال في الباب٣٦٦ من الفتوحات، وهو متعلق بسورة الكهف:

(فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا نخرج عنه، فانه أرفع ما يمنح، ولا يعرف قدره إلا من ذاقه وشهد منزلته حالا من نفسه وكلمه به الحق في سره. فإن الحق إذا كان هو المكلم عبده في سره بارتفاع الوسائط فإن الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه. فان تأخر عنه فليس هو كلام الله. ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده).

فكل تآليف الشيخ تستمد حقائقها من آيات القرآن وأسماء الله الحسنى وتجلياتها في الآفاق والأنفس. والكثير من تآليف الشيخ لا يمكن فهم خفاياها وإشاراتها وإدراك أعماقها وتراكيبها إلا بإرجاعها إلى مصدرها القرآني. وفي بعضها يوضح الشيخ ذلك المصدر، وفي البعض الآخر لا يصرح به و يترك مفتاح فهمها القرآني مكتوما خفيا حتى لا يكتشفه إلاّ من هو أهل له. و في هذا الإطار القرآني جمع هذا الكتاب.

هذا الكتاب يشتمل على أزيد من تسعة عشر نصا للشيخ الأكبر ابن العربي، تتضمن بعض ما أفاض الله عليه من معاني الفاتحة، وما يتعلق بها، والعديد من نصوصه حول البسملة. وقد نشرت متفرقة عدة مرات في رسائل وكتب الشيخ المطبوعة، لكنها بقيت غير مشروحة،

رغم غموض أغلبها؛ بل لم يعلم الكثير أن بعضها يتعلق بالفاتحة حيث أن الشيخ لم يصرح بذلك. ولقد حاولت في هذا المجموع شرح بعض ألغازها وإشاراتها وتلويحاتها ورموزها. ولا أزعم أني عثرت دائما على مراد الشيخ، وإنما هي محاولات مني لبلوغ ذلك، والله أعلم بمراده. وبالانتقال من نص إلى آخر، نجد معاني غزيرة جديدة، وأساليب في التعبير مختلفة مشحونة باللطائف، تبرهن على الفتح الفريد الذي ظهر به الشيخ الأكبر، سواء في المجال العرفاني الذي تميز به عن غيره من أكابر المحققين، أو في ميدان الكتاب الأدبية في أرقى مستوياتها.

وكتب الشيخ التي نقلت منها هذه النصوص هي تسعة:

- الفتوحات المكية.
- إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن.
- كتاب العظمة.
- كتاب التنزلات الموصلية.
- كتاب العبادلة.
- كتاب الإسراء.
- إشارات القرآن في عالم الإنسان.
- كتاب التراجم.
- المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات.

وحيث أن الشيخ كثيرا ما استعمل في بعض نصوصه الرموز العددية والحرفية وحساب الجمل، نورد هنا ما كتبته في كتاب «المفاتيح الوجودية والقرآنية لفصوص الحكم لابن العربي»:

أهمية علم أسرار الحروف والأعداد عند الشيخ الأكبر

جل مكتوبات الشيخ الأكبر تتمحور حول المواضيع الأربعة التالية:

- المواضيع المتعلقة بمعرفة الوجود الحق، من خلال تجلياته الذاتية والصفاتية والفعلية.

- المواضيع المتعلقة بكلام الحق عز وجل في مظهره القرآني الجمعي الإجمالي، وفي مظاهره الفرقانية التفصيلية، وتطبيقاتها الشرعية.

- المواضيع المتعلقة بمراتب الوجود والسنن الكونية.

- المواضيع المتعلقة بالحضرة الجامعة، التي هي حضرة الإنسان الكامل، ومدارج السلوك المفضية إلى التحقق بهذا الكمال عبر مقامات الولاية.

وهذه الأقسام الأربعة وجوه مختلفة لحقيقة واحدة لا نهاية لكمالاتها، لأن كل الآيات المبثوثة في الآفاق ليست سوى انعكاسات لحقائق الجمعية الإنسانية المعبر عنها بالإنسان الكامل، أو بكلمة الله العليا. وعلى هذا تكون الآيات الآفاقية والإنسان الكامل المظهر الأتم للآيات القرآنية، التي هي مجالي الأنوار الأسمائية الحسنى. وبعبارة أخرى: إزار العظمة المنشور في آيات الآفاق، ورداء الكبرياء المطوي في الإنسان الكامل، هما نسيج آيات القرآن بأنوار الأسماء الحسنى، الطالعة من شمس الذات.

أما صور التراكيب الرابطة بين كل هذه التجليات، والمؤلفة بينها، فلها مظهران: مظهر كيفي يكمن في الصورة الرقمية اللفظية لأحرف وكلمات الكتاب الحكيم، ومظهر كمي يكمن في قيمها العددية.

إن البداية تتمثل في صدور كلمة « **بسم الله الرحمن الرحيم** » في صورة الأمر التكويني: «كن»، المتوجه على الأعيان الثابتة في العلم القديم والآن الدائم، لتظهر الممكنات في عوالم الحكمة والقيود. ولولا نور اسم الذات «الله»، المهيمن على سائر الأسماء الأخرى، ومقتضى الرحمتين العامة في الرحمن، والخاصة في الرحيم، ما كانت الأشياء لتظهر لذواتها متميزة عن بعضها. وقد عبر أهل الله عن هذا النور ومنبع الرحمتين بالحقيقة المحمدية، التي هي عين حقيقة فاتحة القرآن العظيم: ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ [٨١ الزخرف].

ويمكن القول أن معاني الكلمات، وخصائص الحروف المركبة لها، هي المظهر الكيفي لتلك التجليات؛ وأن القيم العددية الموافقة لها هي المظهر

الكمي لها. فأما المظهر الكيفي فيستمد مدده من نور الاسم «المدبر»، وأما المظهر الكمي فيستمد مادته من نور اسمه تعالى «المفصل». قال تعالى: ﴿**يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾ [الرعد/ ٢]. ومرجع الكيف إلى الأمر الواحد المذكور في الآية ٥٠ من سورة القمر: ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾. ومرجع الكم إلى تعدد الصور بتجدد الخلق، كما في الآية ٢٩ من سورة الرحمن: ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾، وفي الآية ١٥ من سورة ق: ﴿**بل هم في لبس من خلق جديد**﴾.

إن الحروف المركبة لكلمات الوجود هي عبارة عن المعلومات الإلهية، أي الأعيان الثابتة في الآن الدائم، حيث لا فرق بين الحرف وعدده الموافق، إذ كل منهما مرآة للآخر، في مظهري الكيف والكم. ثم إن هذه الحروف العاليات التي هي عين الكائنات، تتنزل بالنَفَس الرحماني من حضرة الثبوت في العلم الإلهي، إلى مختلف مستويات الظهور العيني في سلسلة مراتب الوجود.

وبناء على هذا، فإن لعلم الحروف ثلاث مستويات أساسية:

- ففي مستواه الأعلى هو عين معرفة الأشياء كلها من حيث حقائقها الثابتة في العلم القديم المحيط.
- وفي مستواه الأوسط هو معرفة تسلسل مراتب الظهور العيني الخلقي عبر دوائر الحكمة والقدرة.
- وفي مستواه الأدنى هو معرفة خواص الأسماء والأعداد، فيما هي معبرة عن طبائع الذوات، وهي معرفة تمكن من التأثير بالخاصية في تلك الذوات والحوادث المتعلقة بها.

ومن هذا التطابق، توجد في اللغات المقدسة أي التي تكلم بها الحق - تعالى- ، وفي مقدمتها لغة الكتاب الجامع، والإنسان الكامل النبي الخاتم، أي العربية القرآنية، علاقة عضوية في غاية اللطافة، والعمق والمتانة، بين الاسم والمسمى من جهة، وبين الحروف والكلمات وأعدادها من جهة ثانية؛ ومن جهة أخرى بين معاني الكلمات ورمزية وخواص وطبائع الحروف المركبة لها، إلى درجة أنه لا مطمع في إدراك ما يكمن

في بواطنها من الحقائق دون اعتبار قيمها العددية، وخواصها الطبيعية المرتبطة بطبائع الأفلاك، ودلالاتها اللفظية من حيث النَفَس، والرقمية من حيث الرسم والشكل، والصورية من حيث الخيال.

وبهذا الاعتبار يظهر الحرف والعدد كرحيق التسنيم، الناتج عن تداخل أنوار الأسماء الإلهية، المنعكسة على مرآة الوجود. والقواعد النحوية والصرفية للغة العربية وحروفها وكلماتها، خصوصا القرآنية منها، مطابقة تمام المطابقة لحقائق الوجود، وتراكيب مختلف النشآت. حتى أنه من تراكيب الحروف مع أعدادها، يستخرج أهل هذا العلم كل الحوادث التي تجري في العالم الكوني والإنساني. وقد استنبط الشيخ الأكبر سنة استرجاع المسلمين القدس من الصليبيين –أي سنة٥٨٣هـ– من الآية الأولى من سورة الروم، وسنة انتصار جيش الموحدين على المسيحيين في الأندلس– أي سنة٥٩١هـ– من الآية الأولى من سورة الفتح (ينظر حضرة الاسم الفتاح من الباب ٥٥٩ من الفتوحات).

فعلم الحروف هو علم ميزان حقائق الوجود، الذي يتيح العثور على مفاتيح كل المعارف، من خلال فحص العناصر المكونة للكلمات وحروفها. وهو علم علماء كبار الأولياء الذين أوتوا منطق الطير السرياني. وهو اللغة المشتركة بين العلوم الإلهية، ومعارف النشآت الكونية والإنسانية، وأسرار الحقائق القرآنية، ومدارج السلوك عبر معارج الولاية وتربيتها الروحية. وبه تظهر الروابط بين مبادئ الظهور، وأصول التكوين، وتناسبها مع الحروف والكلمات وأعدادها، ومع دوران الدراري والنجوم في أفلاكها، ومع العناصر وطبائعها؛ كل ذلك في نسق من الانسجام الوجودي المطلق، الذي لانهاية لجماله وعظمته وكماله. وكما قيل: « تحت خمار الغيرة للحرف تتأجج نار الحب بين الـ «هو» و «الذات».

وقد تكلم الشيخ في كثير من تآليفه عن أسرار الحروف والأعداد، وخصص لها في الفتوحات الباب الثاني، وذكر بعض مسائلها في الأبواب: ٢٠/ ٢٦/ ١٩٨، وفي أجوبته عن أسئلة الترمذي في الباب٧٣: (الاسئلة٣٩-٤٠-٤١-٤٢).

- فهو مثلا يقول في الباب١٠٩ (ص١٩٣): [**إن عدد المقامات، وأسرار كل اسم، بقدر ما لحروفه من العدد. ولا يعتبر فيه إلا اللفظ العربي القرشي، لأنه لغة أهل الجنة، سواء كان أصلا وهو البناء، أو فرعا وهو الإعراب. وغير العربي والمعرب لا يلتفت إليه. وهو قولهم: لكل موجود من اسمه نصيب**].

- و يقول أيضا في الباب١٣١ (II ص٢١٥): [**فالعدد حكمه مقدم على حكم كل حاكم**].

- و يقول إن منازل الفلك ٢٨ لأن الحروف ٢٨، وليس العكس كما يتوهم بعض الناس، لأن الحروف صور لكلام الله القديم، بينما المنازل الفلكية حادثة، والحادث تابع للقديم وليس العكس (باب١٩٨/ فصل٢٠- II ص ٤٤٠).

- ولذلك أيضا فالملائكة خزنة جهنم هم ١٩، على عدد الحروف الرقمية للبسملة، وليس العكس (ب٢٧١/ II ص٥٧٧). وهو نفس عدد خزنة العالم في الدنيا وفي الجنة (٧ سموات + ١٢ برج).

- وأفلاك التكوين تسعة (٧سماوات + فلك الكواكب + فلك البروج)لأن تفصيل كلمة التكوين الإلهي: «كن» (كاف واو نون) يعطي ٩ حروف(باب٢٠/ I ص١٦٨).

ولحساب أعداد الحروف عدة طرق أشهرها: **الحساب المشرقي والمغربي**. ولا يختلفان إلا في أعداد ستة حروف تقع في النصف الثاني من ترتيبها الأبجدي؛ أي في المنازل الفلكية الواقعة بين برجي الميزان والحوت. وهو الشطر الفلكي المناسب لعالم الأرواح والغيب، أو الليل، وفصلي الخريف والشتاء. وهذا الاستقطاب شرق غرب ظهر عند الكرسي- أو فلك المنازل المكوكب، أو سور الأعراف - عندما تتثنى الكلمة العرشية النازلة بالأمر الواحد إلى مظهرين. ويبدو أن هذا الاستقطاب قد ظهر في عالم الإنسان عند مرور الأبجدية من ٢٢ حرفا كما هي في اللغة العبرية إلى ٢٨ حرفا كما هي في اللغة العربية.

- فالحساب المغربي لأهل الأسرار، والآيات الغيبية في الأنفس والأرواح، من رداء الكبرياء ، وفي الشطر الباطن من دائرة الوجود.
- والحساب المشرقي لأهل الأنوار، والآيات الظاهرة في الآفاق الكونية، من إزار العظمة، وفي الشطر الظاهر من الوجود.
- والحساب الكبير سواء منه - المشرقي والمغربي -، وفيه الآحاد والعشرات والمئات وينتهي بالعدد: ألف، يتعلق خصوصا بمظاهر التفصيل الكوني، في حضرات الصفات والأسماء والأفعال.
- والحساب الصغير - المشرقي والمغربي -، وليس فيه سوى الآحاد من ١ إلى٩، يتعلق خصوصا بمظاهر الإجمال الإنساني في حضرات الذات.

وقد فصل الشيخ الفرق بين دلالات الحسابين الكبير والصغير في الباب الثاني من الفتوحات فقال ما خلاصته (Iص٨٠-٨١): [وفائدة الأعداد عندنا في طريقنا، الذي تكمل به سعادتنا، أن المحقق والمريد، إذا أخذ حرفا، أضاف الجزم الكبير إلى الجزم الصغير، مثل أن يضيف إلى القاف الذي هو ١٠٠ بالكبير وواحد بالصغير، فيجعل أبدا عدد الجزم الصغير فيرده إلى ذاته، وأما عدد الجزم الكبير فيرده إلى الواردات المطلوبة له...]. ثم بيَّن دلالات كل أعداد الجزمين.

من ناحية أخرى :

حساب الحروف الرقمية يتعلق خصوصا بالصورة والعرض والظرف، وحساب الحروف اللفظية يتعلق خصوصا بالروح والجوهر والمظروف، والضرب أو الجمع بين الحسابين في نفس الكلمة أو في نفس الجملة يتعلق بعلاقة الروح بصورتها أو المظروف بظرفه.

وفي هذا السياق أنشد الشيخ الأكبر:

إن الوجود لحرف أنت معناه وليس لي في الكون إلا هو

الحرف معنى ومعنى الحرف ساكنه وما تشاهد عين غير معناه

أعداد الحروف: لا يختلف الحساب المغربي عن المشرقي إلا في ستة حروف، هي مع قيمها المغربية: س=٣٠٠/ ص=٦٠ / ش=١٠٠٠ / ض=٩٠ / ظ=٨٠٠ / غ=٩٠٠. والحروف الأخرى لها نفس الأعداد في الحسابين:

أ=١/ ب=٢ / ج=٣ / د=٤ / هـ=٥ / و=٦ / ح=٨ / ط=٩ / ي=١٠ / ك=٢٠ / ل=٣٠ / م=٤٠ / ن=٥٠ / س=٦٠ / ع=٧٠ / ف=٨٠ / ص=٩٠ / ق=١٠٠ / ر=٢٠٠ / ش=٣٠٠ / ت=٤٠٠ / ث=٥٠٠ / خ=٦٠٠ / ذ=٧٠٠ / ض=٨٠٠/ ظ=٩٠٠ / غ=١٠٠٠.

وقيم الحروف بالحساب الصغير، سواء المشرقي والمغربي، من الواحد إلى التسعة؛ ويكفي للحصول عليها إزالة الأصفار من العشرات والمئات والآلاف. مثلا: لحرف الألف والياء والقاف والغين نفس الرقم واحد؛ وللباء والكاف والراء الاثنين؛ وللهاء والنون والثاء الخمسة.

أمثلة في حساب الجمل

- **مثال أول :** في آخر الباب٢٤ من الفتوحات (I ص١٨٥) يقول الشيخ أن عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني كل نفس منها علم إلهي مستقل عن تجلٍّ إلهي خاص هو الناتج عن ضرب العدد٣٣٠ في العدد٥٣٠ . فمن أين جاء هذان العددان ؟ الجواب هو أن عدد الاسم الرقمي: «الرحمان» هو:٣٣٠ وعدده اللفظي حيث يعتبر تضعيف الراء هو: ٥٣٠.

- **مثال ثان :** بالحساب الصغير المشرقي كلمة:

نفَس الرحمان= (٥+٨+٦)+(١+٣+٢+٢+٨++٤+١+٥)=١٩+٢٦=٤٥

صورة هذا العدد في المرآة :٥٤، فمجموعها:٤٥+٥٤=٩٩عدد الأسماء الحسنى. والعدد٤٥ هو أيضا عدد اسم (آدم) بالحساب الكبير(١+٤+٤٠). فتأمل دلالات هذا التوافق. وهو أيضا مجموع الأعداد الآحاد التسع الأولي. والتسعة هي العدد الصغير لاسم (آدم= ١+٤+٤).

فمجموع عددي آدم الكبير والنفسي (٤٥+٤٥) هو ٩٠ (= كمل = ص)، أي كمال الصورة الرحمانية. ومع عدده الصغير (٩٠+٩ = ٩٩) ينتج عدد الأسماء الحسنى المتحقق بها آدم على التمام.

- **مثال ثالث :** العدد الكبير لاسم (الله) هو٦٦، وهو عدد مجموع الاسمين (آدم وحوا=٤٥+٦+١٥). وضعفه ١٣٢ هو عدد (محمد) أو (إسلام) أو (قلب). وصورة هذا العدد في المرآة هو ٢٣١ الذي هو عدد (أبو بكر).

- **مثال رابع :** باعتبار ألف المد في كلمة (النفس الرحماني) يكون عددها:٥٦١، الذي صورته في المرآة:١٦٥، الذي هو عدد (لا إله إلا الله).ومجموعهما:٥٦١+١٦٥=٧٢٦ . فإذا أضيف له عدد حرف السين(س=٦٠) الذي يعتبره الشيخ قلب النفَس الرحماني من منزل سورة (يس) قلب القرآن والذي خصص الشيخ لها في الفتوحات الباب٣٤٨ بعنوان: منزل سرين من أسرار قلب الجمع والوجود فالناتج هو ٧٨٦ الذي هو عدد (بسم الله الرحمن الرحيم).

وأما الفارق بين العددين ٥٦١-١٦٥=٣٩٦ فصورته في المرآة ٦٩٣ وهو مجموع أعداد فواتح السور الأربعة عشر المجموعة في جملة (كلام حق نصره يسطع) ولكل واحد من هذه الأعداد دلالات يطول تفصيلها.

الباب الأول

الفاتحة في تفسير «إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن»

الترجمة عن فاتحة الكتاب

من كتب الشيخ الأكبر في تفسير القرآن الكريم تفسير نفيسٌ عنوانه «**إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن**»، وعموما لم يتطرق فيه للإشارات العرفانية كما هو الحال في جل كتبه الأخرى، وإنما شرح فيه بأوضح بيان معاني الآيات التي ينبغي أن يفهمها كل قارئ حريص على فهم كتاب الله، من حيث اللغة والبلاغة، ومن حيث العقائد السليمة، والأحكام الشرعية والفقهية الصحيحة. ونورد في ما يلي تفسيره للفاتحة من هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحكام قراءة البسملة : البسملة عندي آية من القرآن حيث ما وقعت منه، وإن تكررت للفصل بين السور؛ فقد تكررت قصة آدم وموسى وغيرهما وذكرُ الأنبياء في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن، ولم يقل أحد أن ذلك ليس من القرآن. وإن أسقطت في بعض الروايات، كقراءة حمزة بن حبيب الزيات، فكإسقاط (هو) من سورة الحديد، والباء من (الزبر)، ولم يخرج إسقاطها في قراءة مَن أثبتها أنها من القرآن.

وأما في الفاتحة وفي النمل فما أحد من القراء أسقطها رأسا، إلا بسملة الفاتحة في الصلاة، فمنع مالك قراءتها سرا وجهرا في المكتوبة وأجازها في النافلة. وأما الثوري وأبو حنيفة فقالا: يقرؤها سرا في كل ركعة. وقال الشافعي: يقرؤها ولا بد في الجهر جهرا وفي السر سرا؛ وهي عنده آية من الفاتحة، وهو مذهب أبي ثور وأحمد. ومن بعض أقوال الشافعي أن **البسملة آية من كل سورة، وبه نقول**. وأما قراءة الفاتحة في الصلاة، قال تعالى ﴿**فاقرؤا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى**﴾؛

فروي عن عمر أن الصلاة تجوز بغير قراءة الفاتحة؛ وروي عن ابن عباس أنه لا يقرأ في صلاة السر؛ وأوجب الشافعي قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة من الصلاة، وهي أشهر الروايات عن مالك؛ وروي عنه أنه إن قرأها في ركعتين من الرباعية أجزأه. وقال الحسن البصري وكثير من فقهاء البصرة: تجوز في ركعة واحدة، قال أبو حنيفة يجب أي آية اتفقت في الركعتين الأوليين، ويستحب فيما بقي من الصلاة التسبيح دون القراءة، وبه قال الكوفيون. وجمهور العلماء على أن القراءة في الصلاة كلها.

﴿بسم الله﴾:

العامل في الباء من بسم الله ما في الحمد لله من معنى الفعل، أي يضمر له فعل من لفظه، مثل حمدته أو أحمد، وبه تتعلق الباء من «بسم الله». وهكذا في كل سورة في القرآن أولها الحمد. و بعض سور القرآن تكون أولها أفعال تتطلب الباء من «بسم الله» أذكرها في موضعها إن شاء الله .

﴿الله﴾

اسم للذات، وإن كان يجري مجرى العلمية فإن المفهوم منه مع هذا بأول الإطلاق: من له نعوت الألوهية من الكمال والتنزيه والجلال. وفي طريق الاشتقاق فيه تكلف وتعسف. وهو اسم مختلف في اشتقاقه، وأضربنا عن الخوض في ذلك لقلة فائدته؛ غير أن الغالب عليه إن يجري مجرى الأسماء الأعلام. وهو اسم محفوظ من أن يسمى به غيره سبحانه على هذه الصورة الخاصة.

﴿الرحمن الرحيم﴾:

مَن وقف عند قوله سبحانه: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، أيًّا مَا تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾ أجراه مجرى الاسم «الله» في العَلَمية لمدلول «هو» على الذات. وهو فعلان. فإن كان هذا اللفظ مشتقا من لفظ الرحمة وهو الأظهر، فمعناه الذي له تعميم الرحمة في خلقه، أي هذه النسبة إليه صحيحة وإن كان المرحومون معدومين.

و «**الرحيم**» يخصص الرحمة بالسعداء في الدنيا بالتوفيق والهداية، وفي الآخرة بالنجاة من العذاب وحصول النعيم. وسيأتي ذلك في الفاتحة. و

«الرحمن» من النعوت؛ والألوهية أظهر وأعم في الاسم «الله» من الاسم «الرحمن». والنعت وإن كان يأتي لرفع اللبس، فقد يجاء به لمجرد المدح والثناء. قيل لهم: اعبدوا الله، فلم يقولوا: وما الله؟ وقيل لهم: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فعلى كل وجه النعت فيه أولى، ولا يلتفت لما قاله الطبري في ذلك فإنه مدخول معلول من عدم معرفة العرب بالرحمن.

﴿الحمد لله﴾

أي الثناء عليه بأسمائه الحسنى. وهذا يدلك على أن أسماءه سبحانه تجري مجرى النعوت لا مجرى العَلَمية. لأن الأسماء الأعلام لا يكون بها الثناء؛ وإنما يقع الثناء على المثنى عليه بما تنزل عليه هذه الألفاظ من نعوت الجلال له سبحانه، فبها يحمد. فمن المفهوم الثاني من الاسم «الله» يكون الاسم «الله» ثناء عليه سبحانه، بل أتم الثناء لجمعيته مراتب الألوهية. فلذا علقنا الباء بما في الحمد من معنى الفعل. يقول سبحانه: الثناء لله من حيث أنه مثني عليه سبحانه، ومثن اسم فاعل واسم مفعول، بجميع أوصاف الثناء.

دل على الأول اللام من لله، فلا حامد ولا محمود إلا هو؛ وكل ثناء من غيره وعلى غيره فهو راجع إليه بما يكون منه، وهو عليه؛ فله عواقب الثناء كله؛ وله الحمد في الأولى والآخرة في الحالتين معا.

ودل على الثاني الألف واللام لاستغراق أجناس الثناء عليه سبحانه بوجهين، بما هو عليه من نعوت الجلال، وبما يكون منه من الإنعام والإحسان. وهذا النوع الواحد يسمى شكرا، والحمد يجمعهما. فمن فسر الحمد هنا بالشكر خاصة فقد قصر، وما أعطى الكلمة حقها في الدلالة. يقول العبد في الصلاة: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، يقول الله: «حمدني عبدي»، وما قال: «شكرني عبدي»، فصح ما ذكرناه من عموم الثناء هنا أنه مراد.

و(لله) متعلق أيضا بما في الكلام من معنى الفعل، وهو كائن ومستقر. إشارة: اللام من «لله» الخافضة حرف، فهي عبد، إذ الحرف يدل على المعنى، والعبد يدل على الله. والهاء في «لله» معمول للام بما حصل لها من الخفض: الحق مدلول دليل العبد (من عرف نفسه عرف ربه)، فجعل دليلا على معرفته؛ فكان العلم به معمولا للعلم

بنا. وكونه خفضا لأنه يتعالى عن أن تُعرف حقيقته، فلا نعلم منه إلا ما يناسبنا، لهذا نتخلق بأسمائه الحسنى التي بأيدينا؛ فهذا معنى الخفض، لأنها معرفة نازلة على علمه بنفسه سبحانه.

قوله: ﴿رب العالمين﴾:

يقول: مصلح العالم. واسم العالمين هنا كل ما سوى الله. والرب هو المصلح والمربي والسيد والمالك والثابت. والعالم إذا كان مشتقا من العلامة، أي هو الدليل عليه؛ وإصلاح الدليل أن يكون سادا لا يدخله خلل. وإذا لم يكن مشتقا فهو سبحانه يصلح العالمين بما جعل فيهم من صلاح دنياهم وآخرتهم وأسبابهم، كما أنه سبحانه من هذا الاسم مغذيهم ومربيهم، كما أنه سيدهم ومالكهم؛ وهو الثابت وجوده الذي لا ينقطع، فيكون العالم محفوظا ببقائه وثبات وجوده.

(إشارة): والرب هنا أيضا معمول للام الجر، و «العالمين» في موضع خفض بالإضافة لا باللام؛ فإن الرب هنا هو المضاف على العالم. ولما كان حرف الباء من (رب) معمولا للام (لله) لم يكن العالم من طريق المعنى مرفوعا، فبقي على أصله من الخفض؛ فلا وجه للرفع هنا أصلا لفظا ومعنى. وقد نبهتك على مآخذ الإشارات كيف هي عند أصحابنا، فإنها لا تجري مجرى التفسير، ولكن تجري مجرى الدلالة. فأرجع إلى الترجمة من غير إشارة تتخللها. والحمد لله.

قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾:

اعلم أنه مهما وقع ذكر العالم مجاورا لاسم إلهي، أو بين اسمين من أسماء الله، فلا بد أن يكون للاسم معنى فيه. فينبغي للمفسر أن لا يغفل عن هذا القدر.

و(الرحمن) هو الذي وسعت رحمته كل شيء، بإخراج كل شيء من العدم إلى الوجود؛ وما خلق في الموجودات من الرحمة التي يتعاطفون بها بعضهم على بعض؛ وذلك سار في كل حيوان؛ وهي لهم من باب المنة. ومن حكم هذه الرحمة اجتراء من اجترأ على مخالفة أوامر الله من المؤمنين، فإنهم لا يقنطون من رحمة الله، قال تعالى: ﴿**قل لعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا**﴾. وفي حديث الشفاعة يقول الله: ﴿**وبقي أرحم الراحمين**﴾،

فأتى بنعت الرحمة. ومن رحمته تلقين عبده الحجة: ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾، ليقول له العبد: (كرمك) فيلطف به؛ فلو قال «الشديد العقاب» ذهل وتحير.

وقد يمكن أن يجري «الرحمن الرحيم» مجرى الاسم الواحد المركب مثل بعلبك و «رام هرمز»، كما قيل في مسيلمة (رحمان اليمامة). ولم يطلق على أحد قط مجموع الاسمين.

وقد يكون «الرحيم» مبالغة في رحمته بعباده السعداء. فإن رحمته قد خصها بقوله: ﴿**فسأكتبها للذين يتقون**﴾، أي أوجبها على نفسه لهم: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ الآية. فهؤلاء يأخذونها من طريق الوجوب، لقيام الأسباب التي جعلها الحق موجبة لها بهم؛ ومن عدا هؤلاء فينتظرونها من باب المنة، فإن التقييد من صفة الخلق لا من صفة الحق، حتى إن إبليس يطمع فيها من باب المنة، إذ لا مكره له، وإن دخلوا النار.

يقول العبد في الصلاة: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، يقول الله (أثنى علي عبدي)، وهو قولنا أن الأسماء لا تجري مجرى الأعلام.

قوله: ﴿ملك يوم الدين﴾:

يقول ملك يوم الجزاء، وهو يوم الدنيا والآخرة؛ لأنه المجازي في الدنيا والآخرة. فأما في الآخرة فمعلوم عند الجميع، وأما في الدنيا فبما شرع من إقامة الحدود جزاء لأعمال نص عليها كالزنا والسرقة والمحاربة وغير ذلك؛ وبما شرع من مكافأة المحسن وشكر المنعم؛ وبما أخبر- عليه السلام- من جزاء الله تعالى الكافرَ في الدنيا بما فعله من الخير. وهذا يدلك على أن الكل مخاطبون بفروع الشريعة، مؤاخذون بها، مجازون عليها، كما خوطبوا بأصولها سواء؛ وأن الشرائع قد عمت جميع الخلق من آدم إلى نبينا محمد ﷺ؛ قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾، وقال: ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾، وقال: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾، وكل نذير من جنس من بعث إليه، ﴿**ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**﴾، ﴿**قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون في الأرض مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**﴾، يعني من جنسهم. فالجزاء محقق في الدنيا والآخرة؛ وقد قال تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما**

كسبت أيدي الناس لنذيقهم بعض الذي عملوا﴾، وهذا هو الجزاء؛ وقال: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾، وهذا هو الجزاء؛ فمن خصه بيوم الآخرة فما أعطى الآية حقها.

يقول العبد في الصلاة: ﴿**ملك يوم الدين**﴾، يقول الله: فوض إلي عبدي؛ وفي رواية: مجدني عبدي. وهو قولنا إن الدين هنا هو الجزاء في الدارين؛ فإن التفويض تكليف ومحله الدنيا، بل لا يصح إلا أن يكون فيها، وهو أخص من «مجدني عبدي»، فإن التمجيد له في الدارين وهو الشرف. والتفويض من العبد لا يكون إلا هنا، فإن الآخرة لا يصح فيها التفويض من العباد إذ لا دعوى هناك، بل الأمور كلها مكشوفة للعباد أنها بيد الله. ولا يفوض المفوض إلا ما له فيه تصرف، وليس ذلك هناك، فتأمل .

قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾:

أفرد نفسه بالكاف في الموضعين لأنه المعبود وحده، لا يعبد غيره. والمطلوب منه الإعانة، لأنه المعين وحده بكل وجه، يؤيد ذلك قوله: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾؛ والألوهية هي المعبودة من كل معبود، ولكن أخطؤوا في النسبة، فشقوا شقاوة الأبد. وكذلك هو المعين بما يوجده ويخلق في خلقه من أسباب المعونة.

وجمع عباده بالنون فيهما، لأن العابدين والمستعينين كثيرون سواء كان العابد شخصا واحدا أو ما زاد عليه، فإن الشخص وإن كان واحدا فإن كل عضو فيه عليه عبادة، فصحت الكثرة في الشخص الواحد، فلهذا له أن يأتي بنون الجماعة؛ قال عليه السلام: (يصبح على كل سلامى منكم صدقة)، وهي العروق؛ وقال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾، لسترها عنا، ولهذا قال في الآية: ﴿**إنه كان حليما غفورا**﴾، والغفر الستر؛ وسيأتي الترجمة عنها في موضعها.

كما أنه سبحانه إذا كنى عن نفسه بالنون في مثل: «نزلنا» و «خلقنا» و «نحن»، فالناس يجعلون ذلك للعظمة؛ وليس في الأصل بصحيح؛ بل هي على بابها من الجمع في الدلالة. وغاية من قدر على معناها وقرب أن قال: إذا قال بقوله جماعة لمكانته ولا يرد له قول، فبذلك الاعتبار يكنى بالنون عن الواحد. وليس كذلك، ولكنه أقرب الوجوه. بل الوجه الصحيح أن الكناية هنا عن الأسماء التي عنها تقع الآثار على

اختلافها وإن جمعتها ذات واحدة؛ فهو العالم من حيث كذا، والقدير من حيث كذا، والمريد من حيث كذا، والرزاق من حيث كذا، فكثرت الوجوه بالنسب، فطلبت النون معنى «نعبد» لتتذلل. يقال أرض معبدة أي مذللة؛ وسمي العبد عبدا لذلته.

يقول العبد في الصلاة: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ يقول الله: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. يعني الكاف له والنون للعبد. والسؤال هنا الاستعانة، فقد وعد بها، بل هي له في الوقت، فإنه لولا معونته ما قام إلى الصلاة. فليس يطلب إلا استصحاب المعونة؛ والذي لنا القيام بالعبودية، فطلب المعونة منه، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله، والذي له إعطاء المعونة وتعيين ما عُبد من أجله، كلٌّ على حسب ما أُلقِي فيه من القصد. فمِن عابدٍ لما تقتضيه الربوبية من التعظيم؛ ومِن عابدٍ وفاءً بحق العبودة والعبودية معا؛ ومِن عابدٍ طمعا في ما وعد؛ ومِن عابدٍ حذرا من ما أوعد؛ وهذا تقتضيه العبودة.

قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الآية:

يقول: بيِّنْ لنا الطريق الموصل إلى سعادتنا عندك، إذ كل طريق موصلة إليه؛ قال تعالى: ﴿**وإليه يُرجع الأمر كله**﴾، ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾، ﴿**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم**﴾، فأتى به نكرة لأنه على كل صراط شهيد. وجاء في هذا بالتعريف، وهو صراط مخصوص، فلذا فسرناه بالصراط المؤدي إلى السعادة.

ولما كان الإنسان تعتريه في أكثر الأوقات الشُّبَهُ المضلةُ الصارفة عن طريق العلم بالله من حيث توحيده وما يجب له وغير ذلك، ولاسيما لأرباب الفكر والنظر، احتاج أن يقول: بيِّنْ لنا طريق الحق في ذلك. والمطلوب هنا بالصراط المستقيم الاجتماعُ منه على إقامة الدين مطلقا، لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض لما ذكرناه.

ونون الجماعة في «اهدنا» هي النون في «نعبد». وإنما قلنا للاجتماع على إقامة الدين لقول: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾، يعني من النبيين؛ فإنه جعل لكل نبي شرعة ومنهاجا. وقال تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾، أي في القيام به. فهذه الصفة هي الجامعة لكل ذي شرع، وهو قوله تعالى لما ذكر الأنبياء

لنبيه- صلى الله على جميعهم-: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، أي فيما ذكرناه، لا في فروع الأحكام. وإن ظهر في شرعنا من فروع شرع من قبلنا، فمن حيث هو شرع لنا؛ وقد يقع الاتفاق بين الأنبياء في بعض الأحكام، كالتوحيد والإيمان بالآخرة وما فيها، لا ينكر ذلك. وكلا الصراطين معرف والتعريف للصراط بالإضافة أخرج الصراط المستقيم من حكم ما تعطيه الألف واللام من استغراق الجنس على حكم ما تعطيه من العهد.

﴿**غير المغضوب عليهم**﴾: يعني المرضي عنهم.

﴿**ولا الضالين**﴾: يعني المهتدين،

ولذا قال: ﴿**اهدنا**﴾ كما هديت هؤلاء؛ فهما نعتان للذين ﴿**أنعمت عليهم**﴾، وهو من أسماء النواقص.

يقول العبد في الصلاة ﴿**اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ إلى آخر السورة، يقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل.

تنبيه:

وإن كان النصف الأول له، فقد جاء فيه ذكر ﴿**العالمين**﴾؛ وجاء في النصف الذي لنا ذكره سبحانه في «أنعمت» بضمير المخاطب. وإنما أتى بضمير المخاطب، ولو أتى باسم ظاهر، تُخِيل أن الأمر مربوط بما تعطيه حقيقة ذلك الاسم، ونسبة الأسماء إلى الضمير نسبة واحدة؛ كما أنه أتى بـ ﴿**العالمين**﴾، وما ذكر عالما مخصوصا، حتى لا يخرج من العالم أحد. فالعالم مفتقر إلى حقائق الأسماء الإلهية كلها. وأيضا لو أتى به مضمرا لم يجد الضمير على من يعود، والتاء تجد على من تعود لأنه قد تقدم. انتهى.

الباب الثاني

في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة من «الفتوحات المكية»

في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة

ذكر الشيخ هذا الاعتبار في الباب ٦٩ من الفتوحات الخاص بأسرار الصلاة، فقال:

[اعلم أن العالِم بالله إذا فرغ من الذي ذكرناه، يشرع في القراءة على حدّ ما أمره الله به عند قراءة القرآن من التعوّذ لكونه قارئاً لا لكونه مصلياً، ولِما أعلمتُك أن الله يقول عند قراءةِ العبدِ القرآنَ كذا جواباً على حكم الآية التي يقرأها، فينبغي للإنسان إذا قرأ الآية أن يستحضر في نفسه ما تعطيه تلك الآية على قدر فهمه، فإن الجواب يكون مطابقاً لما استحضرته من معاني تلك الآية. ولهذا ورد في الجواب أدنى مراتب العامة مجملاً، إذ العامي والعجمي الذي لا علم له بمعنى ما يقرأ، يكون قول الله له ما ورد في الخبر. فإن فصلت في الاستحضار فصل الله لك الجواب. فلا يفوتنك هذا القدر في القراءة، فإن به تتميز مراتب العلماء بالله والناس في صلاتهم.

فإذا فرغ الإنسان من

التوجيه فليقل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

هذا نص القرآن، وقد ورد في السنة الصحيحة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»؛ قال تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾. فالعارف إذا تعوذ ينظر في الحال الذي

أوجب له التعوّذ، وينظر في حقيقة ما يتعوّذ به، وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به، فيتعوّذ بحسب ذلك.

فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده، وأن كل ما يستعاذ به بيد سيده، وإنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب، فعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك»، وهذه استعاذة التوحيد، فيستعيذ به من الاتحاد، قال تعالى: ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾؛ وقال: ﴿**كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**﴾؛ وقال «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قصمته».

ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم، فعلاً كان أو صفة؛ هذه قضية كلية، والحال يعين القضايا، والحكم يكون بحسبها. ورد في الخبر: «أعوذ برضاك من سخطك» أي بما يرضيك مما يسخطك. فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبه، فهذا لله؛ ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله: «وبمعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظ نفسه، وأي المرتبتين أعلى؟ في ذلك نظر.

فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغ ممكن، أي ليس في حقيقة الممكن قَبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وإن ذلك محال في نفس الأمر، لم يَرَ إلا أن يكون في حظ نفسه، فإن ذلك عائد عليه؛ ومن نظر في قوله: «إلا ليعبدون» قال ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوّتي، فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي. فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين. ومن رأى أن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود، قال: «أعوذ بك منك»، وهي المرتبة الثالثة؛ وثبت في هذه المرتبة عين العبد.

فالقارئ للقرآن إذا تعوّذ عند قراءة القرآن، علمه المكلف – وهو الله تعالى– كيف يستعيذ وبمن يستعيذ وممن يستعيذ، فقال له: ﴿**إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾، فأعطاه الاسم الجامع، وذكر له القرآن وما خص آية من آية، لذلك لم يخص اسماً من اسم، بل أتى بالاسم «الله». فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ، وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية فيذكره في استعاذته، وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله أيّ اسم كان، فيعينه بالذكر في استعاذته. ولما كان قارئ القرآن جليس الله من كون القرآن ذِكراً، والذاكر جليس الله، ثم

زاد إنه في الصلاة حالَ مناجاة الله، فهو أيضاً في حال قرب على قرب كنور على نور، كان الأولى أن يستعيذ هنا بالله، وتكون استعاذته من الشيطان لأنه البعيد، يقال بئر شطون إذا كانت بعيدة القعر، والبعد يقابل القرب، فتكون استعاذته في حال قربه مما يبعده عن تلك الحالة، فلم يكن أولى من اسم الشيطان.

ثم نعته بالرجيم وهو فعيل، فأمّا بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم، يعني بالشهب وهي الأنوار المحرقة، قال تعالى: ﴿**وجعلناها**﴾ يعني الكواكب ﴿**رجوماً للشياطين**﴾، والصلاة نور، ورجمه الله بالأنوار فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان من العبد؛ قال تعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ بسبب ما وصفت به من الإحرام.

وإن كان بمعنى الفاعل، فهو لما يرجم به قلب العبد من الخواطر المذمومة، واللمات السيئة، والوسوسة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل وكبر تكبيرة الإحرام قال: «الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا؛ والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيراً، والحمد لله كثيرا؛ وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه»؛ قال ابن عباس: «همزه ما يوسوسه في الصلاة، ونفثه الشعر، ونفخه الذي يلقيه من الشبه في الصلاة» يعني السهو؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إن سجود السهو ترغيم للشيطان». فوجب على المصلي أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بخالص من قلبه، يطلب بذلك عصمة ربه.

ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة، لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به، فجاء بالاسم «الله» الجامع لمعاني الأسماء، إذ كان في قوّة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع، في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع. فهكذا ينبغي للمصلي أن يكون حاله في استعاذته إن وفقه الله.

ثم يقول بعد الاستعاذة: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإذا قالها يقول الله: «يذكرني عبدي»،

فينبغي على هذا أن يكون العامل في «بسم الله الرحمن الرحيم» اذكر، فتتعلق الباء بهذا الفعل إن صح هذا الخبر، وإن لم يصح فيكون الفعل: «اقرأ بسم الله»، فإنه ظاهر في «اقرأ باسم ربك».

هذا نتكلفه لقولهم: إنّ المصادر لا تعمل عمل الأفعال إلا إذا تقدمت، وأما إذا تأخرت فتضعف عن العمل، وهذا عندنا غير مرضي في التعليل، لأنه تحكم من النحوي؛ فإن العرب لا تعلق ولا تعلل فيكون تعلق البسملة عندي بقوله «الحمد لله» بأسمائه، فإن الله لا يحمد إلا بأسمائه، غير ذلك لا يكون، ولا ينبغي أن تتكلف في القرآن محذوفاً إلا لضرورة، وما هنا ضرورة.

فإن صح قول رسول الله ﷺ عن الله- تبارك وتعالى- إن العبد إذا قال «بسم الله الرحمن الرحيم» في مناجاته في الصلاة، يقول الله: «يذكرني عبدي» فلا نزاع؛ هكذا روى هذا الخبر عبد الله بن زياد بن سمعان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج ثلاث غير تمام»؛ فقيل لأبي هريرة: «إنا نكون وراء الإمام»، فقال: «اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله- تعالى-: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل؛ يقول عبدي إذا افتتح الصلاة: «بسم الله الرحمن الرحيم» فيذكرني عبدي. يقول العبد: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، قال الله: «حمدني عبدي». وسيأتي الحديث مفصلاً في كل كلمة إن شاء الله- تعالى- ،كما ذكرت ألفاظ التوجيه إلى آخر الفاتحة.

وذكر مسلم هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ولم يذكر البسملة فيه.

فإذا قال العالم بالله: «بسم الله الرحمن الرحيم»، علق الباء بما في الحمد من معنى الفعل، كما قلنا يقول لا يُثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى؛ فذكر من ذلك ثلاثة أسماء: الاسم الله لكونه جامعاً غير مشتق فينعت ولا ينعت به، فإنه للأسماء كالذات للصفات، فذكره أوّلاً من حيث أنه دليل على الذات كالأسماء الأعلام كلها في اللسان، وإن لم يَقْوَ قوّة الأعلام لأنه وصف للمرتبة كاسم السلطان، فلما لم يدل إلا على الذات المجرّدة على الإطلاق من حيث ما هي لنفسها من غير نسب لم يتوهم في هذا الاسم اشتقاق، ولهذا سميت بالبسملة، وهو الاسم مع الله؛ أي

قولك: «بسم الله» خاصة، مثل العبدلة وهو قولك: «عبد الله»، وكذلك الحوقلة وهو: «الحول والقوّة مع الله».

ثم قال إن العبد قال بعد «بسم الله الرحمن الرحيم» من حيث ما هو، أعني «الرحمن الرحيم» من الأسماء المركبة كمثل بعلبك ورام هرمز، فسماه به من حيث ما هو اسم له، لا من حيث المرحومين، ولا من حيث تعلق الرحمة بهم، بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله، فإنه ليس لغير الله ذكر في البسملة أصلاً.

ومهما ورد اسم إلهيّ لا يتقدمه كون يطلب الاسم، ولا يتأخر كون يطلبه الاسم في الآية، فإن ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات المسماة به لا من حيث الصفة المعقولة منه، ولا من حيث الاشتقاق الذي يطلبه الكون نتيجته، وبه يتعلق وإياه يطلب، فإنه صادر عنه إذا تدبرته وجدته، مثل قوله: ﴿**الرحمن علم القرآن خلق الإنسان**﴾ [الرحمن/ ١-٣].

وإذا تقدّم الكون وجاء الاسم الإلهيّ في أثره، فإنه الأوّل والآخر، كان على العكس من الأوّل مثل: ﴿**اتقوا الله**﴾ [هذه الجملة والتي تليها من: البقرة/ ٢٨٠]، وقوله: ﴿**ويعلمكم الله**﴾، فأظهر التقوى ما يتقى منه، وهو الاسم «الله»؛ وفي الأوّل أظهر الاسم الإلهيّ عين الإنسان؛ وكذلك ﴿**ويعلمكم الله**﴾ أظهر التعليم الاسم الإلهيّ وهو «الله».

فإذا وقع الكون بين اسمين إلهيين، كان الكون للأوّل بحكم النتيجة وللآخر بحكم المقدّمة، مثل وقوع «العالمين» بين الاسم «الرب» و «الرحمن» في قوله: ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم**﴾، ومثل قوله: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾، فوقع «ويعلمكم» بين اسمين تقدّمه الاسم «الله» وتأخر عنه الاسم «الله» بمعنيين مختلفين، فأثر فيه الاسم الأوّل طلب التعليم، وقبل التعليم بالاسم الثاني.

وكذلك إذا وقع الاسم الإلهيّ بين اسم إلهيّ يتقدّمه وبين كون يتأخر عنه، مثل الاسم «الرب» بين «الله» و «العالمين» في قوله: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ في آخر الزمر؛ أو بين كون يتقدّمه واسم إلهيّ يتأخر عنه مثل قوله: ﴿**العالمين الرحمن الرحيم ملك**﴾، فالرحمن الرحيم تقدّمه كلمة «العالمين» وتأخر عنه ﴿**ملك يوم الدين**﴾، فأظهر عين

العالمين الرحمن الرحيم، لافتقارهم إلى الرحمتين الرحمة العامة والخاصة والواجبة والامتنانية.

وطلب ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ ﴿**ملك يوم الدين**﴾ ليظهر من كونه ملكاً سلطان ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، فإن الرحمة من جانب الملك هي رحمة عزة وامتنان مع استغناء، بخلاف رحمة غير الملك، كرحمة الأم بولدها للشفقة الطبيعية، فتدفع الأم بالرحمة على ولدها ما تجده من الألم بسببه في نفسها، فلنفسها رحمته، ولنفسها سعت، واحتجبت عن علم ذلك بولدها. فالمنة لولدها عليها بالسببية لا لها؛ ووقعت الرحمة بالولد تبعاً، بخلاف رحمة الملك فإنها عن عز وغنى عن هذا المرحوم الخاص من رعاياه.

وكذلك إذا وقع الاسم الإلهيّ بين اسمين إلهيين مثل قوله: ﴿**هو الله الخالق البارئ**﴾، فوقع الاسم «الخالق» بين الاسم الله والاسم البارىء، وكذلك الاسم البارئ بين الخالق والمصوّر؛ وهذا كثير، فالخالق صفة لله وموصوف للباري.

فعلى هذا الأسلوب تجري تلاوة العارفين في الكتابين في القرآن وكتاب العالم بأسره، فإنه كتاب مسطور ورقه المنشور، الذي فيه الوجود. وكذلك تجري أذكارهم.

وهكذا في الأكوان: إذا وقع كون بين كونين، يكون للأوّل ابناً وللثاني بعده أباً في الذي يفهم من ذلك كان ما كان. فلهذا قال الله في قول العبد ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾: « ذكرني عبدي»، وما قيد هذا الذكر بشيء لاختلاف أحوال الذاكرين، أعني البواعث لذكرهم. فذاكر تبعثه الرغبة، وذاكر تبعثه الرهبة، وذاكر يبعثه التعظيم والإجلال. فأجاب الحق على أدنى مراتب العالم، وهو الذي يتلو بلسانه ولا يفهم بقلبه، لأنه لم يتدبر ما قاله إذا كان التالي عالماً باللسان، ولا ما ذكره؛ فإن تدبر تلاوته أو ذكره، كانت إجابة الحق له بحسب ما حصل في نفسه من العلم بما تلاه. فتدبر ما نصصناه لك.

ثم قال: قال الله تعالى: فإذا قال العبد ﴿الحمد الله رب العالمين﴾ في الصلاة، يقول الله: «حمدني عبدي»،

فيقول العارف: الحمد لله، أي عواقب الثناء ترجع إلى الله. ومعنى عواقب الثناء أي كل ثناء يثنى به على كون من الأكوان دون الله فعاقبته ترجع إلى الله بطريقين؛ الطريق الواحدة: الثناء على الكون إنما هو بما يكون عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة التي توجب الثناء عليه، أو بما يكون منه من الآثار المحمودة التي هي نتائج عن الصفات المحمودة القائمة به؛ وعلى أيّ وجه كان فإن ذلك الثناء راجع إلى الله، إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفات والآثار، لا لذلك الكون، فرجعت عاقبة الثناء إلى الله.

والطريق الأخرى: أن ينظر العارف فيرى أن وجود الممكنات المستفاد إنما هو عين ظهور الحق فيها، فهو متعلق الثناء لا الأكوان؛ ثم إنه ينظر في موضع اللام من قوله «لله»، فيرى أن الحامد عين المحمود لا غيره، فهو الحامد المحمود، وينفي الحمد عن الكون من كونه حامداً ونفى كون الكون محموداً؛ فالكون من وجه محمود لا حامد، ومن وجه لا حامد ولا محمود. فأما كونه غير حامد فقد بيناه، فإن الحمد فعل والأفعال لله؛ وأما كونه غير محمود فإنما يحمد المحمود بما هو له لا لغيره، والكون لا شيء له فما هو محمود أصلاً، كما ورد في مثل هذا «المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور».

فيحضر العارف في قوله ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ جميع ما ذكرناه، وما يعطيه الاسم الرب من الثبات والإصلاح والتربية والملك والسيادة؛ هذه الخمسة يطلبها الاسم الرب. ويحضر ما يعطيه العالم من الدلالة عليه تعالى، فلا يكون جواب الله في قوله «حمدني عبدي» إلا لمن حمده بأدنى المراتب، لأنه لكرمه يعتبر الأضعف الذي لم يجعل الله له حظاً في العلم به تعالى، رحمة به لعلمه إن العالم يعلم من سؤاله أو قراءته ما حضر معه في تلك القراءة من المعاني، فيجيبه الله على ما وقع له، ويدخل في إجمال ما خاطب به عبده العامي القليل العلم أو الأعجمي الذي لا علم له بمدلول ما يقرأه. فافهم والله الملهم.

ثم قال عن الله: يقول العبد: ﴿الرحمن الرحيم﴾، يقول الله: «أثنى عليّ عبدي»،

يعني بصفة الرحمة لاشتقاق هذين الاسمين منها؛ ولم يقل في ماذا؟ لعموم رحمته، ولأنّ العاميّ ما يعرف من رحمة الله به إلا إذا أعطاه

ما يلائمه في غرضه وإن ضره، أو ما يلائم طبعه ولو كان فيه شقاؤه. والعارف ليس كذلك، فإن الرحمة الإلهية قد تأتي إلى العبد في الصورة المكروهة، كشرب الدواء الكريه الطعم والرائحة للمريض، والشفاء فيه مبطون.

فإذا قال العارف: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، أحضر في نفسه مدلول هذا القول من حيث ما هو الحق موصوفاً به، ومن حيث ما يطلبه المرحوم لعلمه بذلك كله، ويحضر في قلبه أيضاً عموم رحمته الواحدة المقسمة على خلقه في الدار الدنيا إنسهم وجنهم ومطيعهم وعاصيهم وكافرهم ومؤمنهم، وقد شملت الجميع؛ ورأي أن هذه الرحمة الواحدة لو لم تعط حقيقتها من الله أن يرزق بها عباده من جماد ونبات وحيوان وإنس وجان، ولم يحجبها عن كافر ومؤمن ومطيع وعاصي، عرف أن ذاتها من كونها رحمة تقتضي ذلك.

ثم جاء الوحي من أثر هذه الرحمة الواحدة بأن هذه الرحمة الواحدة السارية في العالم التي اقتضت حقيقتها أن تجعل الأم تعطف على ولدها في جميع الحيوان، وهي واحدة من مائة رحمة؛ وقد ادّخر سبحانه لعباده في الدار الآخرة تسعاً وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة ونفذ في العالم حكمه وقضاؤه وقدره بهذه الرحمة الواحدة، وفرغ الحساب ونزل الناس منازلهم من الدارين، أضاف سبحانه هذه الرحمة إلى التسع والتسعين رحمة فكانت مائة، فأرسلها على عباده مطلقة في الدارين، فسرت الرحمة فوسعت كل شيء؛ فمنهم من وسعته بحكم الوجوب، ومنهم من وسعته بحكم الامتنان. فوسعت كل شيء في موطنه وفي عين شيئيته. فتنعم المحرور بالزمهرير، والمقرور بالسعير؛ ولو جاء لكل واحد من هذين حال الاعتدال لتعذب. فإذا اطلع أهل الجنان على أهل النار زادهم نعيماً إلى نعيمهم فوزهم؛ ولو اطلع أهل النار على أهل الجنان لتعذبوا بالاعتدال لما هم فيه من الانحراف، ولهذا قابلهم بالنقيض من عموم المائة رحمة. وقد كان الحكم في الدنيا بالرحمة الدنيا ما قد علمتم، وهي الآن أعني في الآخرة من جملة المائة، فما ظنك وكفى.

فبمثل هذا النظر يقول العارف في الصلاة: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾. ومن هنا يعرف ما يجيبه الحق به من هذا نظره.

ثم قال الله: يقول العبد: ﴿ملك يوم الدين﴾، يقول الله: «مجدني عبدي»، وفي رواية: «فوّض إليّ عبدي»:

هذا جواب عام ورد عام، كما قرّرنا ما المراد به. فإذا قال العارف: ﴿**ملك يوم الدين**﴾ لم يقتصر على الدار الآخرة بيوم الدين، ورأى أن ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ لا يفارقان ﴿**ملك يوم الدين**﴾، فإنه صفة لهما، فيكون الجزاء دنيا وآخرة. وكذلك ظهر بما شرع من إقامة الحدود، وظهور الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون؛ وهذا هو عين الجزاء، فيوم الدنيا أيضاً يوم الجزاء، والله ملك يوم الدين.

فيرى العارف أن الكفارات سارية في الدنيا، وأن الإنسان في الدار الدنيا لا يسلم من أمر يضيق به صدره ويؤلمه حساً وعقلاً، حتى قرصة البرغوث والعثرة، فالآلام محدودة موقتة، ورحمة الله تعالى غير موقتة، فإنها وسعت كل شيء؛ فمنها ما تنال وتحكم من طريق الامتنان، وهو أصل الأخذ لها الامتنان؛ ومنها ما يؤخذ من طريق الوجوب الإلهيّ في قوله: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾، وقوله: ﴿**فسأكتبها**﴾؛ فالناس يأخذونها جزاء. وبعض المخلوقات من المكلفين تنالهم امتناناً حيث كانوا. فافهم.

فكل ألم في الدنيا والآخرة فإنه مكفر لأمور قد وقعت محدودة موقتة، وهو جزاء لمن يتألم به من صغير وكبير بشرط تعقل التألم، لا بطريق الإحساس بالتألم دون تعقله. وهذا المدرك لا يدركه إلا من كشف له. فالرضيع لا يتعقل التألم مع الإحساس به، إلا أن أباه وأمّه وأمثالهما من محبيه وغير محبيه يتألم ويتعقل التألم لما يرى في الرضيع من الأمراض النازلة به؛ فيكون ذلك كفارة لمتعقل الألم؛ فإن زاد ذلك العاقل الترحم به، كان مع التكفير عنه مأجوراً، إذ في كل كبد رطبة أجر، وكل كبد فإنها رطبة لأنها بيت الدم، والدم حار رطب طبع الحياة.

وأمّا الصغير إذا تعقل التألم وطلب النفور عن الأسباب الموجبة للألم واجتنبها، فإن له كفارة فيها لما صدر منه مما آلم به غيره من حيوان أو شخص آخر من جنسه، أو إباية عما تدعوه إليه أمه أو أبوه، أو سائل يسأله أمراً مّا فأبى عليه فتألم السائل حيث لم يقض حاجته هذا الصغير، فإذا تألم الصغير كان ذلك الألم القائم به جزاء مكفراً لما آلم

بـه ذلـك السـائل بإبايتـه عـما التسـمه منـه في سـؤاله؛ أو كان قـد آذى حيوانـاً مـن ضرب كلـب بحجـر، أو قتـل برغـوث وقملـة، أو وطـئ نملـة برجلـه فقتلهـا، أو كل مـا جـرى منـه بقصـد وبغـير قصـد. وسرّ هـذا الأمـر عجيـب سـارٍ في الموجـودات؛ حتـى الإنسـان يتـألم بوجـود الغيـم ويضيـق صـدره بـه، فإنـه كفـارة لأمـور أتاهـا قـد نسـيها أو يعلمهـا.

فهـذا كلـه يـراه أهـل الكشـف محققـاً في قولـه ﴿**ملك يـوم الديـن**﴾ فيقول الله: «فـوّض إليّ عبـدي»، أو: «مجـدني عبـدي» أو كلاهمـا؛ إلا أن التمجيـد راجـع إلى جنـاب الحـق مـن حيـث مـا تقتضيـه ذاتـه، ومـن حيـث مـا تقتـضي نسـبة العـالم إليـه؛ والتفويـض مـن حيـث مـا تقتـضي نسـبة العـالم إليـه لا غـير، فإنـه وكيـل لهـم بالوكالـة المفوّضـة. ففـي حـق قـوم يقـول: «مجـدني عبـدي»، وفى المقصـد؛ وفي حـق قـوم يقـول: «فـوّض إليّ عبـدي»، وفى المقصـد أيضـاً. فـإن العبـد قـد يجمـع بـين المقصديـن، فيجمـع الله لـه في الـرد بـين التمجيـد والتفويـض.

فهذا النصف كله مخلص لجناب الله، ليس للعبد فيه اشتراك.

ثـم قـال الله: يقـول العبـد: ﴿إياك نعبـد وإياك نسـتعين﴾، يقـول الله: «هـذه بينـي وبـين عبـدي ولعبـدي مـا سـأل»:

فهـذه الآيـة تتضمـن سائـلاً ومسـؤولاً مخاطبـاً، وهـو الكـاف مـن ﴿**إياك**﴾ فيهـا؛ و﴿**نعبـد ونسـتعين**﴾ هـما للعبـد، فإنه العابد والمستعين. فـإذا قـال العبـد: ﴿**إيـاك**﴾ وجـد الحـق بحـرف الخطـاب فجعلـه مواجهـاً لا عـلى جهـة التحديـد، ولكـن امتثـالاً لقـول الشـارع لمثـل ذلـك السـائل في معـرض التعليـم حـين سـأله عـن الإحسـان فقـال لـه ﷺ: «أن تعبـد الله كأنـك تـراه»، فلابـدّ أن تواجهـه بحـرف الخطـاب وهـو الـكاف، أو حـرف التـاء المنصوبـة في المذكـر، المخفوضـة في المؤنـث. فـإني قـد أولـت الخطـاب مـن حيـث الـذات.

وهـذا مشـهد خيـالي فهـو برزخـي؛ وجـاءت هـذه الآيـة برزخيـة ووقـع فيهـا الاشـتراك بـين الحـق وبـين عبـده؛ ومـا مـضى مـن الفاتحـة مخلـص لله، ومـا بقـي منهـا مخلـص للعبـد. وهـذه التـي نحـن فيهـا مشـتركة. وإنـما وحَّـده ولم يجمعـه، لأن المعبـود واحـد؛ وجمـع نفسـه بنـون الجمـع في العبـادة والعـون المطلـوب لأن العابديـن مـن العبـد كثـيرون، وكل واحـد مـن العابديـن يطلب العـون، والمقصـود بالعبـادات واحـد: فعـلى العـين عبـادة، وعـلى السـمع

والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب؛ فلهذا قال «نعبد» و «نستعين» بالنون.

وإن العالم نظر إلى تفاصيل عالمه، وأن الصلاة قد عمّ حكمها جميع حالاته ظاهراً وباطناً، لم ينفرد بذلك جزء عن آخر؛ فإنه يقف بكله، ويركع بكله، ويجلس بكله، فجميع عالمه قد اجتمع على عبادة ربه، وطلب المعوّنة منه على عبادته، فجاء بنون الجماعة في «نعبد » و «نستعين»، فترجم اللسان عن الجماعة كما يتكلم الواحد عن الوفد بحضورهم بين يدي الملك. فعلم العبد من الحق لما أنزل عليه هذه الآية بإفراده نفسه أن لا يعبد إلا إياه.

ولما قيد العبد بالنون أنه يريد منه أن يعبده بكله ظاهراً وباطناً، من قوى وجوارح ويستعين على ذلك الحد. ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه، كان كاذباً في قراءته إذا قال: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، فإن الله ينظر إليه فيراه متلفتاً في صلاته، أو مشغولاً بخاطره في دكانه أو تجارته، وهو مع هذا يقول «نعبد» ويكذب، فيقول الله: «كذبت في كنايتك بجمعيتك على عبادتي، ألم تلتفت ببصرك إلى غير قبلتك؟ ألم تصغ بسمعك إلى حديث الحاضرين؟ ألم تعقل بقلبك ما تحدثوا به؟ فأين صدقك في قولك «نعبد» بنون الجمع؟

فيُحضر العارف هذا كلَّه في خاطره، فيستحي أن يقول في مناجاته في صلاته: ﴿**إياك نعبد**﴾ لئلا يقال له: كذبت. فلا بدّ أن يجتمع من هذه حالته على عبادة ربه حتى يقول له الحق: صدقت، إذا تلافى جمعيتك عليّ في عبادتك إياي وطلب معونتي.

روينا في هذا الباب: على ما حدثنا به شيخنا المقري أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي، عن بعض المعلمين من الصالحين، أن شخصاً صبياً صغيراً كان يقرأ عليه القرآن، فرآه مصفرّ اللون فسأله عن حاله فقيل له أنه يقوم الليل بالقرآن كله، فقال له: يا ولدي أُخْبِرْتُ أنك تقوم الليل بالقرآن كله؛ فقال: هو ما قيل لك؛ فقال: يا ولدي إذا كان في هذه الليلة فأحضرني في قبلتك واقرأ عليّ القرآن في صلاتك ولا تغفل عني؛ فقال الشاب: نعم.

فلما أصبح قال له: هل فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم يا أستاذ؛ قال: وهل ختمت القرآن البارحة؟ قال: لا، ما قدرت على أكثرَ من

نصف القرآن. قال: يا ولدي هذا حسن، إذا كان في هذه الليلة فاجعل من شئت من أصحاب رسول الله ﷺ أمامك الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ واقرأ عليه، واحذر فإنهم سمعوه من رسول الله ﷺ فلا تزلّ في تلاوتك. فقال: إن شاء الله يا أستاذ كذلك افعل.

فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته؛ فقال: يا أستاذ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن. فقال: يا ولدي اتل هذه الليلة على رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن واعرف بين يدي من تتلوه، فقال: نعم. فلما أصبح قال: يا أستاذ ما قدرت طول ليلتي على أكثر من جزء من القرآن أو ما يقاربه. فقال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يدي جبريل الذي نزل به على قلب محمد ﷺ فاحذر واعرف قدر من تقرأ عليه.

فلما أصبح قال: يا أستاذ ما قدرت على أكثر من كذا، وذكر آيات قليلة من القرآن. قال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة تب إلى الله وتأهب واعلم أن المصلي يناجي ربه، وأنك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه، فانظر حظك من القرآن وحظه وتدبر ما تقرأه، فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها، ولا حكاية الأقوال، وإنما المراد بالقراءة التدبر لمعاني ما تتلوه فلا تكن جاهلاً.

فلما أصبح انتظر الأستاذُ الشابَّ فلم يجيء إليه، فبعث من يسأل عن شأنه فقيل له أنه أصبح مريضاً يعاد، فجاء إليه الأستاذ فلما أبصره الشاب بكى وقال: يا أستاذ جزاك الله عني خيراً ما عرفت أني كاذب إلا البارحة، لما قمت في مصلاي وأحضرت الحق تعالى وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه، فلما استفتحت الفاتحة ووصلت إلى قوله: ﴿**إياك نعبد**﴾ نظرت إلى نفسي فلم أرها تصدق في قولها، فاستحييت أن أقول بين يديه: ﴿**إياك نعبد**﴾ وهو يعلم أني أكذب في مقالتي، فإني رأيت نفسي لاهية بخواطرها عن عبادته؛ فبقيت أردّد القراءة من أول الفاتحة إلى قوله ﴿**ملك يوم الدين**﴾ ولا أقدر أن أقول: ﴿**إياك نعبد**﴾ إنه ما خلصت لي، فبقيت أستحيي أن أكذب بين يديه تعالى فيمقتني، فما ركعت حتى طلع الفجر، وقد رضت كبدي، وما أنا إلا راحل إليه على حالة لا أرضاها من نفسي. فما انقضت ثالثة حتى مات الشاب، فلما دفن أتى الأستاذ

إلى قبره فسأله عن حاله فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول له يا أستاذ:

أنا حيّ عند حيّ لم يحاسبني بشئ

قال فرجع الأستاذ إلى بيته ولزم فراشه مريضاً مما أثر فيه حال الفتى، فلحق به. فمن قرأ ﴿إياك نعبد﴾ على قراءة الشاب فقد قرأ.

ثم قال الله: يقول العبد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، فيقول الله: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»:

فإذا قال العارف: ﴿**اهدنا**﴾ أحضر الاسم الإلهيّ الهادي، وسأله أن يهديه الصراط المستقيم، أن يبينه له ويوفقه إلى المشي عليه، وهو صراط التوحيدين: توحيد الذات وتوحيد المرتبة وهي الألوهية بلوازمها من الأحكام المشروعة التي هي حق الإسلام في قوله ﷺ: «إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»؛ فيحضر في نفسه الصراط المستقيم الذي هو عليه الرب من حيث ما يقود الماشي عليه إلى سعادته.

أخبر الله تعالى عن هود أنه قال: ﴿**إن ربي على صراط مستقيم**﴾، فإن العارف إذا مشى على ذلك الصراط الذي عليه الرب تعالى على شهود منه، كان الحق أمامه وكان العبد تابعاً للحق على ذلك الصراط مجبوراً؛ وكيف لا يكون تابعاً مجبوراً وناصيته بيد ربه يجرّه إليه، فإن الله يقول: ﴿**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**﴾، فدخل في حكم هذه الآية جميع ما دب علواً وسفلاً، دخول ذلة وعبودية؛ والناس في ذلك بين مكاشف يرى اليد في الناصية أو مؤمن. فكل دابة دخلت عموماً، ما عدا الإنس والجنّ، فإنه ما دخل من الثقلين إلا الصالحون منهم خاصة.

ولو دخل جميع الثقلين لكان جميعهم على طريق مستقيم، صراط الله من كونه رباً، يقول تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾؛ وقال في حق الثقلين خاصة على طريق الوعيد والتخويف حيث لم يجعلوا نواصيهم بيده، وهو أن يتركوا إرادتهم لإرادته فيما أمر به ونهى: ﴿**سنفرغ لكم أيها الثقلان**﴾، ولهذا قال: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾، يريد الذين وفقهم الله وهم العالمون كلهم أجمعهم، والصالحون من الأنس مثل الرسل والأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين، ومن الجانّ كذلك. فلم

يجعل الصراط المستقيم إلا لمن أنعم الله عليه من نبي وصديق وشهيد وصالح وكل دابة هو آخذ بناصيتها.

فإذا حضر العارف في هذه القراءة جعل ناصيته بيد ربه في غيب هويته، ومن شذ شذ إلى النار، وهم الذين استثنى الله تعالى بقوله ﴿غير المغضوب عليهم﴾ أي إلا من غضب الله عليهم لما دعاهم بقوله: «حيّ على الصلاة» فلم يجيبوا؛ ﴿**ولا الضالين**﴾ فاستثنى بالعطف من حار، وهم أحسن حالاً من ﴿**المغضوب عليهم**﴾. فمن لم يعرف ربه أنه ربه وأشرك معه في ألوهيته من لا يستحق أن يكون إلهاً، كان من المغضوب عليهم.

فإذا أحضر العبد مثل هذا وأشباهه في نفسه عند تلاوته قالت الملائكة: «آمين»؛ وقال باطن الإنسان الذي هو روحه المشارك للملائكة في نشأتهم وطهارتهم: «آمين»، أي أمنا بالخير لما كان والتالي الداعي هو اللسان، ثم يصغي إلى قلبه فيسمع تلاوة روحه فاتحة الكتاب مطابقة لتلاوة لسانه، فيقول اللسان مؤمّناً على دعائه، أي دعاء روحه، بالتلاوة من قوله: «اهدنا».

فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة في الصفة، موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة، أجابه الحق عقيب قوله: «آمين» باللسانين؛ فإن ارتقى يكون الحق لسانه إلى تلاوة الحق كلامه، فإذا قال: «آمين» قالت الأسماء الإلهية: «آمين»، وقالت الأسماء التي ظهرت من تخلق هذا العبد بها: «آمين». فمن وافق تأمين أسمائه أسماء خالقه كان حقاً كله.

فهذا قد أبنت لك أسلوب القراءة في الصلاة، فاجر عليها على قدر اتساع باعك وسرعة حركتك، وأنت أبصر، فما منا إلا من له مقام معلوم، ومنا الصافون والمسبحون] انتهى كلام الشيخ.

ونختم هذا الفصل بما ذكره الشيخ عن كلمة (آمين) التي تقال عقب الفاتحة، وذلك في جوابه عن السؤال الموفي مائة من أسئلة الحكيم الترمذي في كتابه «خاتم الأولياء»، وهي الأسئلة التي أجاب عنها الشيخ في الباب ٧٣ من الفتوحات:

السؤال الموفى مائة: ما قوله آمين؟

الجواب: لما أراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع إلى الداعي لهذا قيل له قل: «آمين»، وهي تقصر وتمد، قال الشاعر في القصر:

تباعد مني فطحل وابن أمه أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية.

وقال الشاعر في المد:

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبداً قال آمينا

يعني في دعائه بالبعد بينه وبين من يقبل البينية.

وورد في الشرع الجهر بها والإخفاء، لأن الأمر ظاهر وباطن، فالباطن يطلب الإخفاء والظاهر يطلب الجهر، غير أن الظاهر أعم. فإذا جهر بها فقد حصل حظ الباطن، وإذا أسر بها لم يعلم الظاهر ما جرى، والباطن خصوص، والإسرار بها خاص لخاص؛ والظاهر عموم، فالجهر بها عام لعام وخاص: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». وكل مذكور في ملأ فهو مذكور في النفس، وكل ما هو مذكور في النفس يكون مذكورا في الملأ.

قوله – عليه السلام – : «أو استأثرت به في علم غيبك»، هي أسماء لا يعلمها إلا هو؛ فعلم السر أتم؛ «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو»، فالمفاتيح العلم بها خاص له، والغيب قد يظهر على غيبه من يرتضيه من رسله، «إلا من ارتضى من رسول». فالسر بها أتم مقاما من الجهر بها، والجهر بها أعم منفعة من السر بها.

آمين: معناها أجب دعاءنا؛ لا بل معناه: قصدنا إجابتك فيما دعوناك فيه؛ يقال أم فلان جانب فلان إذا قصده؛ «ولا آمين البيت الحرام» أي قاصدين. وخفف «أمين» للسرعة المطلوبة في الإجابة، والخفة تقتضي الإسراع في الأشياء.

«فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقد غفر له»، ولم يقل: «فقد أجيب»، لأنه لو أجيب لما غفر له، لأن المهدي ما له ما يغفر، أي «فمن أمن مثل تأمين الملائكة»، هذا معنى الموافقة، لا الموافقة الزمانية؛

وقد تكون الموافقة الزمانية، فيحويهم زمان واحد عند قولهم «آمين». والملائكة لا يخلو قولها في «آمين» هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين؟ فإن قالتها متجسدة فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة، لأن التجسد يحكم عليهم بالإتيان بلفظة «آمين»، أي بترتيب هذه الحروف. وإن قالتها غير متجسدة فلم تبقى الموافقة إلا أن يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك، والحال هنا على أقسام:

الحال الواحدة أن يقولها بربه، فإن الملك يقولها كذلك؛ أو يقولها بالحالة التي تقتضيها ذاته، فالإنسان إذا قالها كذلك قالها من حيث روحانيته لا من حيث حسه؛ أو يقولها بحكم النيابة، فالملك قد يقولها كذلك؛ أو يقولها وهو هو، فالملك قد يقولها كذلك. وقول الإنسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليه (أي الحديث : خلق الله آدم على صورته).

فينبغي للإنسان أن يقولها بكل حال يقولها الملك من هذه الأقسام التي ذكرناها؛ فإذا قالها غفر الله له، ولا بد أن يستره الله عن كل أمر يضاد الهداية بما تنتج؛ لا بد من ذلك، لأن نتيجة الهداية سعادة. وقد يكون في حياته الدنيا غير مهدي، والعناية قد سبقت، فيجني ثمرة الهداية؛ فلهذا لم يقل: «أجيب»، وقال: «غفر». فهذا معنى قوله «آمين».

وكل داع بحسب ما دعا، فإن الله يستجيب له بأمر سعادي، لا بما عينه، فقد أجابه بما فيه سعادته، إذ هي المطلوب.

الباب الثالث

شروح لتأملات الشيخ حول:

- **سورة الفاتحة من كتاب «إشارات القرآن في عالم الإنسان»**
- **إشارات الفاتحة من كتاب (العبادلة)**
- **إشارات الفاتحة من كتاب «التنزلات الموصلية»**

في هذا الكتاب اللطيف ذكر الشيخ بعض تأملاته العرفانية العميقة العالية في بعض آيات من كل سورة بدءا من الفاتحة والبقرة، ونزولا عبر كل السور إلى المعوذتين حسب ترتيب السور في المصحف.

ملاحظة: ما بين قوسين شرح لكلام الشيخ.

قال:

سرى بي في الزمان الآن، حتى أنزلني في الآن (كأن الشيخ يشير إلى أن الفاتحة هي لب الصلاة للحديث الصحيح الوارد فيها: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»، ثم ذكر آيات الفاتحة، وقال تعالى: ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**﴾، فهي متعلقة في كل زمان بالآن. والآن المقصود في الفاتحة هو حال القائل في قلبها: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾).

فقيل لي تأمل:

فرأيت الأسماء الإلهية في الماضي (يشير الشيخ إلى القسم الأول من الفاتحة، أي من البسملة إلى كلمة «الدين»، لاشتماله على أمهات الأسماء الإلهية: «الله الرحمن الرحيم الرب الملك»، ونسبها إلى الماضي لأنها أزلية)

والأسماء الكونية في المستقبل (الإشارة هنا إلى القسم الأخير من الفاتحة، من «اهدنا» إلى «الضالين»، وهو مختص بالعبد الداعي الراجي الهداية من الحاضر إلى ما لانهاية في المستقبل)

فطلبت الحال فوجدت نفسي فيه، وأنا أسأله العون وأستهديه، فجمعت بواسطتي طرفي كوني وعيني، وكان في ذلك عوني وصوني (يعبر الشيخ هنا عن آيتي الاشتراك في وسط الفاتحة بين الرب وعبده المعترف بعبوديته السائل العون)

فرأيت في الظلمة والنور جماع الحزن والسرور (الإشارة هنا إلى سرور ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾، وحزن ﴿**المغضوب عليهم والضالين**﴾)

فحزنت وسررت آنيا وسررت دون حزن أبديا (يشير الشيخ هنا إلى أن المآل الأخير للجميع عموم الرحمة لأنها السابقة، ويظهر هذا في القرآ ن المفتتحة كل سورة منه برحمات البسملة، كما يظهر في الفاتحة حيث جاءت نسبة المنعم عليهم إلى الذات العلية مباشرة: ﴿**أنعمت عليهم**﴾، بخلاف المغضوب عليهم والضالين، فصفتا الغضب والضلال لم تنسبا لحضرة ثابتة على الدوام، فهما عارضتان، وذلك لقوله تعالى في الحديث القدسي «سبقت رحمتي غضبي»، فالحزن عارض والسرور الخالص أبدي إن شاء الله تعالى). **آمين**.

إشارات الشيخ إلى الفاتحة من كتاب (العبادلة)

كتاب العبادلة مؤلف من قسمين: والتأمل الدقيق لقسمه الأول الذي يتألف من خمسين بابا يبين أن مرجع كل باب إلى آيات من سورة معينة أغلبها من النصف الأول للقرآن. وكل باب من القسم الثاني المشتمل على خمسين بابا أيضا مرجعه عند التأمل الفاحص إلى تجليات اسم من الأسماء الحسنى عبرآيات من القرآن. وللفاتحة في هذا الكتاب – حسبما يبدو- بابان: الأول والثاني والسبعون. وعنوان الأول منسوب لعبد الله بن عبد الله بن محمد، وعنوان الآخر منسوب لعبد الله بن زيد بن عبد المقيت. وفي هذه الأسماء إشارات منها أن الفاتحة اختص بها عبد الله الأكمل سيدنا محمد ﷺ الذي لم يطلب الزيادة من شيئ إلا من العلم، كما في الآية ١١٤ من سورة [طه]: ﴿**وقل رب زدني علما**﴾، وأشرف وأجمع هذه الزيادة تتمثل في التحقق بالفاتحة، ولهذا يكررها

المصلي في كل ركعة. واسم عبد المقيت يشير إلى هذه الصلاة من حيث قوله تعالى في الآية ١٠٣ من سورة [النساء] : ﴿**إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**﴾.

ملاحظة: ما بين قوسين شرح لكلام الشيخ

الباب الأول: عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

قال عبد الله بن عبد الله :

أول ما ظهر من الحضرة الإلهية الاسم (إشارة إلى: بسم الله ... الحمد لله)، **وأول ما ظهر من الحروف الباء** (إشارة إلى باء البسملة)، **وأول ما ظهر من الموجودات الجوهر** (أي الجوهر الهبائي مجلى كل الصور الوجودية)، **وأول ما انصبغ به النور. وأول عرض ظهر الحركة، وأول نعت أشهد بعد الوجود الجلال، وأول نطق ظهر منه: أنا، وأول صفة قبل منه الحياء، وأول حال طرأ عليه الذوبان، وأول علم علمه العلم بالله، فرآى نفسه في ذلك العلم** (ذكر الشيخ هنا عشرة أوليات للوجود الكوني، مناسبة لأولية الفاتحة في القرآن العظيم ولجمعها للكليات القرآنية، ومشيرا إلى المقولات العشرة الجامعة للكليات الوجودية المشهورة عند الحكماء، وقد كرر الشيخ ذكرها منبها على أهميتها بضروب مختلفة في الفتوحات، ووضحها في كتابه «إنشاء الدوائر»؛ ولها أسماء مختلفة، وفي الفصل ١٦ من الباب ١٩٨ من الفتوحات ذكرها مع ما يناسبها في الحضرة الإلهية فقال : فجوهر العالم لذات الموجد، وعرض العالم لصفته، وزمانه لأزله، ومكانه لاستوائه، وكمه لأسمائه، وكيفه لرضاه وغضبه، ووضعه لكلامه، وإضافته لربوبيته، وأن يفعل لإيجاده، وأن ينفعل لإجابته من سأله. فعمل العالم على شاكلته).

وقال: العلم مأخوذ من العلامة، فكل حقيقة منه تدل على حقيقة إلهية، إلى تلك الحقيقة مستندها إيجادا، وإليها مردها ومرجعها عند انفصالها. فإذا ذكر الله - تعالى- العالم فانظر إلى أي اسم أضافه، فتعرف من ذلك أي عالم أراد من العوالم (هذا القول مناسب للآية: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾).

وقال: إذا كنى الحق- سبحانه وتعالى- عن نفسه بالإفراد، وكنى عنك بالجمع فلوحدانيته وكثرتك، من حيث عدم استغنائك، ووجود

افتقارك (هذا القول مناسب للآية: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، حيث يظهر كاف الإفراد الإلهي ونون الجمع العبدي).

وإذا كنى عن نفسه بالجمع مثل: إنا، ونحن فلحقائق الأسماء الإلهية، وإذا أفردك فإنما خاطب منك معنى ما، لا كلك، فأعرف من خاطب منك، وافتح سمعك إلى خطابه.

وقال: كثرة الطرق من أجل تعدد الحقائق، والمستقيم منها ما شرع، ومصيرها كلها إليه (هذا القول مناسب للآية: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**).

وقال: في طلب العون إثبات دعوى الكون، فيقولها العارف من حيث أنه مأمور بالقول، وهو يعرف من هو القائل، ومن هو العارف بمن هو القائل (هذا القول مناسب للآية: ﴿**وإياك نستعين**﴾).

وقال: الجزاء على قدر الأعمال للعامة، من عين الملك، فهي أعواض وللعارفين من عين المنة (هذا القول مناسب للآية: ﴿**ملك يوم الدين**﴾).

وقال: إذا ثبت أمر بين اسمين إلهين فله وجهان، لكل اسم وجه يخالف الوجه الآخر. فإنه يطلب الاسم الذي قبله من حيث أنه ظهر من وجه ما، فذلك مقام الحق، ومقعد صدق. ومرتبة عظمى لما تقدمها وتأخرها من الأسماء، فهي محفوظة عن الطوارق الحجابية (في هذا القول إشارة إلى أن كلمة «العالمين» ثبتت بين الاسم «الله رب» والاسم «الرحمن الرحيم»؛ فالعالم موجود في الحفظ بين عناية الربوبية السابقة والرحمة الشاملة اللاحقة. والحمد لله رب العالمين.)

الباب ٧٢: عبد الله بن زيد بن عبد المقيت

قال: الله يقدر الليل والنهار.. فمن قدر الأوقات قدر الأقوات (هذا معنى الاسم «المقيت»، والفاتحة مفتاح الصلاة التي قال الحق عنها: ﴿**إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**﴾) [النساء/ ١٠٣].

وقال: من نظر في المقادير علم المقادر.

وقال: من ضيق ضيق عليه، ومن وسع وسع عليه. قال النبي ﷺ: «لا توكي فيوكى عليك». وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنفق

بلال ولا تخف من ذي العرش إقلالا « (في هذا القول إشارة إلى رحمة الله – تعالى- التي وسعت كل شي والمتجلية في رحمات البسملة والفاتحة) .

وقال: من تدبر الفاتحة علم أنها الفاضحة، فإنها ناصحة، تجمع بين الثناء والتفويض، والتشريف والتحميد، والدعاء المستجاب.

وقال: أسأل العون من الله ما دام الكون ينظر إليك (أي: إياك نستعين)

وقال: عليك بالعبادة والشكر، فإن الشكر يمنحك الله به الزيادة من النعم :﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾.

وقال: العبادة تورثك العز الذي لا يرام (أي: **إياك نعبد**).

وقال: الهداية إلهية، والمعرفة ربانية، والطريق إلى الله في غاية الاستقامة، والتحريف استقامة.

وقال: استقامة القوس تعويجه (أي: **اهدنا الصراط المستقيم**).

وقال: الاقتداء بمن أنعم الله عليه هو المطلوب (أي: **صراط الذين أنعمت عليهم**).

وقال : كل من ضل ذل، وإذا حار اهتدى،فإن الحيرة توجب له السؤال، ومن سأل أرشد، ومن سلك ما أرشد إليه فقد اهتدى، وهو صاحب الصراط السوي إلى المقام العالي،وهو الولي الحميد (أي: **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**).

وقال : حروف المعجم مبهمة، والقصد الإفصاح والإفهام. فمن أعجم فقد أفهم: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾. قال ﷺ : «إنما أنزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين»، ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾. ومن ألحد فقد أخلد، أي: لصق بالأرض﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ (في الآية الأخيرة من الفاتحة بدءا من «اهدنا» بيان وتبيين. والفاتحة تشتمل على الحروف كلها ما عدا سبعة: ف- ش -ظ -ز -خ -ث -ج. ومن بينها الحروف النورانية المقطعة التي افتتحت بها ٢٩ سورة، وتتألف الفاتحة من ٢٩ كلمة).

وقال: الإشارة أفصح من العبارة، فإن العبارة تفتقر إلى علم الاصطلاح، وليست الإشارة كذلك.

وقال: «إني» ضمير المتكلم، و «أنت» ضمير المخاطب، و «إنه» لمن غاب، فلفظة «إني» للإتحاد، و «إنك» للحضور والمشاهدة، فافرد، إنه الفرد (أي: إشارة إلى إفراد الله- تعالى- بالعبادة وطلب العون في كاف الخطاب من «إياك» في قلب الفاتحة).

وقال: كل من أراد أن يكون الله له فله سعيه، وإنما أنت لمن يريدك، فإذا هديت إليه أرادك عن كشف (أي: **اهدنا الصراط المستقيم**).

إشارات الشيخ إلى الفاتحة من كتاب «التنزلات الموصلية».

خصص الشيخ هذا الكتاب البديع الرائع لبيان أسرار الطهارة والصلوات الخمس، ومناسباتها مع الأفلاك العلوية و السماوات وكواكبها وتنزلات أنوارها عبر الأدوار الزمانية. وفي ما يلي كلامه حول قراءة الفاتحة في الصلاة، وفيه تأملات حول مناجاة العبد لربه بالفاتحة في الصلاة قرة عين المؤمن. والمؤمن مرآة المؤمن. والمؤمن من أسماء الحق تعالى، وهو أيضا من أسماء العبد المصلي المخلوق على صورة الرحمن. ففي هذه المناجاة يظهر هذا التقابل بين الصورتين في مرآة الفاتحة، فكل ما يقوله الواحد يقوله الآخر لكن بنسبتين مختلفتين، كاختلاف الناظر في المرآة عن صورته فيها.

في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسورة

ملاحظة: ما بين قوسين شرح لكلام الشيخ

نورُ الكَواكِب موقوف على السُّورِ وسُورةُ الحمدِ نُورُ الشّمسِ والقَمر
فانْظُرْ إلى فلكٍ إن دار في فَلَكٍ أَعطاكَ عِلما بمَعنَى الرُّوح والصُّور
فَسُورَةُ الحمدِ فرقان يَبينُ على أطرَافها بانفصَالِ الكون والبشَرِ
كما يبين إذَا حقَّقت صُورَتَها إلَيكَ قرآنَها في برزخ الصُّور
فانظرْ إلى سُوَر تأتِي على صُوَر بصُورَة النَّفعِ أَحيَانا وبِالضَّررِ

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: اعلم أن الفاتحة لها طرفان، وواسطة ومقدمتان، ورابطة (أي: الطرف الأول خاص بالحق تعالى، من البسملة إلى «الدين»؛ والطرف الثاني خاص بالعبد، من «اهدنا» إلى «آمين»؛ والواسطة خطاب «إياك»)؛ **فهي الفاتحة للتجليات الواضحة؛**

وهي المثاني، لما في الربوبية والعبودية من المعاني؛ وهي الكافية، لتضمنها البلاء والعافية؛ وهي السبع المثاني، لاختصاصها بصفات المعاني (أي أن الصفات الإلهية الأمهات السبعة تطلق أيضا على العبد وهي: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام)؛ **وهي القرآن العظيم، لأنها تحتوي على صورة المحدث والقديم ؛ وهي أم الكتاب، لأنها الجامعة للنعيم والعذاب.**

فالطرف الواحد بالحقائق الإلهية منوط، والطرف الآخر بالحقائق الإنسانية مربوط، والواسطة تأخذ منهما على قدر ما تخير به عنهما. والمقدمة الواحدة سماوية (أي لتعلقها بالحق)، والمقدمة الأخرى أرضية (أي لتعلقها بالعبد)، والرابطة لهما هوائية (أي أن خطاب «إياك» في الوسط فهواني، الحامل لألفاظه الهواء الواصل بين السماء والأرض).

فيقول الأوَّلُ (أي يقول العبد : الحمد لله رب العالمين، ومن معاني الرب : المصلح): **الحمد للمعين ، مصلح عالم الكون ، بالهين واللين ؛ فيقول الآخِرُ** (أي الحق تعالى) : **حمدنِي الأولُ في أبدي ، لمَّا علم أنه لا ينقضي أمدي .**

ثم يقول الآخر (أي الحق تعالى): ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، **على الحكاية المعقولة، وما ثبت له في الرواية المنقولة؛ فيقول الأول** (أي العبد في مقام ملك الملك حيث أن الرب المالك مدبر لمصالح عبده **معتني** به قائم عليه في كل آن): **أثبتني الآخِر، وملكني، وعليه وعلى غيره سودني، وجعلني مُرئيا أينه(؟)، ومصلحا عينه.**

ثم يقول الأول (أي يقول العبد: الرحمن الرحيم): **بسطت رحمانيتك على عامتك، ورحيميتك على خاصتك، فكنت لهذا الفضل، إبراهيميَّ الأصل** (قيل أن المعنى الأصلي لاسم إبراهيم هو: أب رحيم ؛ وتخلقه وظهوره بالرحمة عليه السلام مشهور). **فيقول الآخر** (أي الحق تعالى): **لقد أثنى علي الأول بما جعل عندي من فيضه، وإقامتي به بين يدي بسطه وقبضه، وجعلني حاكما في سماء الله وأرضه.**

ثم يقول الآخر (أي الحق تعالى): [**الرحمان الرحيم**]، **فيقول الأول الآخر** (أي قول العبد عن ربه، وقول الحق تعالى عن عبده): **أثنى الآخر عليّ، حين أسند المحامد إليّ، فله عندي ما خبأته وراء حدّي.**

ثم يقول الأول (أي العبد في مقام ملك الملك): يا آخر قمت في ملكه، وأحطت عينا بما حصل في ملكك، ونهيت وأمرت، فشكُرت وكُفِرت، ثم أُقِرَّ لك بالمُلك، وسلم لك باب الملك، وناداك الملك بالملك، حين خرجت عن حكم دورة الفلك، واتخذك ربك وكيلا، وما وجدت إلى الانفصال سبيلا، فجاز قومك بأعمالهم، وأوقفهم على أفعالهم؛ فيقول الآخر (أي الحق تعالى): إنّ الأول قد أثبت لي الشرف والمجد، ومنحني الرتبة العالية حين ساعدني الجَد فنعم الجَدّ، وفوض إلي تدبير كونه، بمغيب عينه.

ثم يقول الآخر (أي الحق تعالى): ﴿**مالِكِ يوم الدِّين**﴾، فيقول الأول (أي العبد): رد الآخر عليَّ وكالتي، وصرف إلي عَمَالتي، وقال: شهودي إياك يمنعني من التصرف، ونظري إليك يحول بيني وبين التعرف، فأنت العلي الماجد، والرب الواحد.

وانتهى الطرف الواحد، والمقدمة، وبانت المراتب المرسومة (أي هنا انتهى الحديث عن الطرف الأول من الفاتحة).

ثم يقول الأول: يا آخر إليك آويت بالنزول الذاتي، وبالتنزيل الصفاتي، في ديجور الليل المظلم، لإيضاح السر المبهم، ثم آويت إليك لإظهار الصنائع العلمية، واستخراج المنافع المعدنية، فأنت ربها وإمامها، وعرافها وعلامها، وبك ثبوتها وقوامها؛ فيقول الآخر: الأمر بيننا مشترك، فمن يضمن الدرك؟ وأنا قد أجبت سؤالك، وقمت أريك أعمالك.

ثم يقول الآخر: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، فيقول الأول: إن الآخر قد قام لي في ذلة العبودية ليثبت عزّ الربوبية، وقد سأل العون في تدبير الكون، فلي منها شرب، ولي السقاية، وله الشرب، فله ما سأل فقل له ينفصل.

فهذا سر الواسطة قد أعلن، ومعنى الرابطة قد بين.

ثم يقول الأول للآخر: أبن لي عن طريق العقائد والأعمال، ومراتب الأولياء والأبدال، والخلفاء والأرسال، والمبسوط عليهم نعم المعارف، والمهدي إليهم حكم اللطائف؛ وأوضح لي طريق الأشقياء والضُّلال، ومرتبة العلماء به المستدرجين والعمال، فتحق عليهم كلمة العذاب

والنقمة، وتحيد منهم كلمة النعيم والرحمة، فيتيهون في قعر الظلمة؛ فيقول الآخر: قد نزل الأول بحجابه، واستتر خلف بابه، فله ما سألني عمله، إذ أقامني بدله.

ثم يقول الآخر:[اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين... آمين]؛ فيقول الأول: قد سألني أن أهديه صراطه، وأشد رباطه، وأقيمه بالمحجَّة البيضاء، وأجعل متنزهه المُهجة الغضاء، وأجعله وارثا لرسلي، وقائما بسبلي، وأجنبه موارد الهلاك، ومصارع الهُلاك، فله ما سأل، وما أمل.

ثم يقول الأول: يا آخر أجبني إلى ما سألتك؛ فيقول الآخر: قد أجبت. ثم يقول: آمين؛ فيقول الأول: إن أخلصت، فقد فعلت (عن علاقة الإخلاص في الدعاء يقول الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات: وأخفى «آمين» لأنه غيب من عالم الملكوت، «من وافق تأمينه تأمين الملائكة» في الغيب المتحقق الذي تسميه العامة من الفقهاء الإخلاص، وتسميه الصوفية الحضور وتسميه المحققون الهمة، ونسميه أنا وأمثالنا العناية).

فقد أبانت الفاتحة عن الصورة الصادية (أي: « خلق الله آدم على صورته»)، والحكمة العادية. وبقيت الصورة السينية القائمة بالمنازل (أي سور القرآن)، وهي في الأعالي والأسافل من مائتين وثمانين وسبع منازل (أي آيات سورة البقرة)، إلى ثلاث منازل (أي آيات سورة الكوثر)، وتضيق هذه العجالة عن إيرادها، وقد ذكرناها في الفتوحات المكية، في منازل، بأمهات معانيها لمن يعانيها (أي أن الفصل الرابع من كتابه الفتوحات المكية تألف من ١١٤ بابا، لكل باب سورة حسب ترتيب المصحف صعودا، وفي آخر كل باب يعدد عددا من أهم علوم آيات السورة).

الباب الرابع

- **شرح كتاب العظمة**
- **حضرة العظمة**
- **معنى التعلق والتخلق والتحقق بالاسم العظيم**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

كتاب العظمة

مدخل المؤلف (مابين قوسين شرح لكلامه)

الحمد لله مبدع الثاني في المثاني (أي: أن الثاني عبارة عن الوجود الخلقي المقيد الذي أبدعه الله تعالى واجب الوجود الأول. وأبدع الخلق في المثاني، أي أن الوجود مبني على الازدواجية : حق وخلق – إطلاق وتقييد – قدم وحدوث – جلال وجمال – سعادة وشقاء- ضلال وهدى- أزل وأبد- فاعل ومنفعل- لطافة وكثافة- أنثى وذكر- سماء وأرض- تنزيه وتشبيه – غيب وشهادة – بطون وظهور- ليل ونهار. إلى غير ذلك من الثنائيات؛ قال تعالى: ﴿**ومن كل شيئ خلقنا زوجين**﴾ [الآية ٤٩ من سورة الذاريات]. وسيذكر الشيخ في ما يلي أن أول موجود مقيد يشار إليه بحرف الباء التي عددها اثنان، فلها المرتبة الثانية من الوجود بعد الألف، وهي- أي الباء- عبارة عن الحقيقة المحمدية التي من مظاهرها الأولى الروح الأعظم أو القلم الأعلى أو العقل الأول. وفي هذا إشارة إلى باء بسملة الفاتحة السبع المثاني).

ومودع المعاني في المعاني (أي: مودع الحقائق الوجودية في معاني القرآن، ومودع معاني القرآن في الفاتحة أم الكتاب؛ قال تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيئ**﴾ [الآية ٣٨ من سورة الأنعام].

مقيم السبعة أعلاما (أي: الآيات السبعة للفاتحة).

ومنزل القرآن العظيم إماما (ورد في الحديث الشريف السابق ذكره أن من أسماء الفاتحة: القرآن العظيم وأم القرآن).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

١ - حضرة تعيين الأول: (يعني الآية الأولى من الفاتحة)

باب أوله (با) وآخره (ميم): (يعني: بسم الله الرحمن الرحيم).

ولما كانت الباء أول موجود مقيد، وكانت في المرتبة الثانية من الوجود، كان لها العمل في عالم التكوين السفلي (أي أن مرتبة الباء بحكم تبعيتها لواجب الوجود الأول الذي لا قيام لها إلا به، لها خفض العبودية كما أن للحق تعالى رفعة الألوهية؛ فالباء من حروف الجر التي بحركتها تخفض ما يتبعها من الأسماء. قال الشيخ أبومدين- المتوفي سنة ٥٨٩هـ: «ما رأيت شيئا إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة» يعني به - تعالى- قام كل شيئ. وينظر التفصيل في كتاب الباء للشيخ الأكبر).

فأول معمول يليها (أي كلمة: اسم من البسملة) هي الحاكمة عليه بالذات؛ ثم إذا كان معمولا ممن يطلب وجودا آخر يستند إليه (أي كاستناد: الله الرحمن الرحيم إلى «بسم»)، **عمل فيه ذلك الاستناد عمل الباء** (أي أن خفض هذه الأسماء الثلاثة تابع لخفض « بسم»)، **وإن اختلفت وجوه الحكم، فصورة العمل واحدة** (أي عمل الخفض).

غير أن في هذا الباب الذي في هذه الحضرة أربع كلمات قدسية (أي الكلمات الأربعة المشكلة للبسملة):

اسم الاسم وهو مكون الباء (أي: بسم)

ثم الاسم وهو مكون اسم الاسم (أي : اسم الله)

ثم كلمة العموم الإيجادي (أي: الرحمن. وقد بين الشيخ في العديد من نصوصه أن مراتب الوجود ما ظهرت إلا بانبساط نفس الرحمن- بفتح الفاء-. وللبسملة علاقة مباشرة بالإيجاد أفصح الشيخ عنه في العديد من نصوصه)

ثم كلمة الاختصاص (أي: الرحيم؛ لأن هذا الاسم مختص بمن خصوا بالسعادة، أما الاسم الرحمن فيعم الخلق كلهم لاستوائه على العرش المحيط).

وهذه الكلمات كلها صدرت على حكم الكون الأسفل (أي أن حركتها الخفض)، **مع علوها ورفعتها** (لأنها من أسماء الله الحسنى).

ولهذه الكلمات الوجودية عشرون شخصا (أي أن البسملة تتشكل من عشرين حرفا باعتبار ألف المد في «الله»)، **منهم أموات** (أي الحروف التي لا حركة لها ولا سكون).

وأحياء (أي الحروف الظاهرة المتحركة لفظا ورقما).

ونوم (أي الحروف الساكنة الظاهرة في الرقم).

فالأحياء عشرة أشخاص، منهم ستة حياتهم سفلية (أي ستة حروف لها الخفض)، **وأربعة حياتهم برزخية** (أي أربعة حروف لها النصب)، **وما فيهم من له حياة علوية** (أي لا وجود في البسملة لحرف له حركة الرفع).

والأموات ثمانية (أي حسب ترتيبها في البسملة: الألف واللام من «الله»، و: الـ «من الرحمن «، وألف المد من «الرحمن»، و: الـ «من الرحيم»، والياء من « الرحيم»).

والنوم اثنان (أي السين من «بسم»، والحاء من « الرحمن»).

ولكل واحد من هؤلاء الأشخاص منازل يعرفون بها (أي لكل حرف عدده بحساب الجمل المعروف) ، **ومن هذه المنازل يكون لهم الحكم في العالم** (يشير الشيخ إلى أهمية حساب الجمل من حيث التصرف بإذن الله تعالى بالحروف والأسماء والآيات).

فالحي الأول له منزلتان (أي الباء عددها اثنان)، والثاني له أربعون منزلة، والثالث له خمس منازل، والرابع له خمسون منزلة، والخامس له ثماني منازل، والسادس له أربعون منزلة (أي: م = ٤٠ / ه = ٥ / ن = ٥٠ / ح = ٨ / م = ٤٠).

وأما أهل الحياة البرزخية، فالأول له ثلاثون منزلة، والثاني له مائتا منزلة، والثالث له أربعون منزلة، والرابع له مائتا منزلة (أي: ل = ٣٠ / ر= ٢٠٠ / م= ٤٠ / ر= ٢٠٠).

والميت، الأول له منزلة واحدة، والثاني له ثلاثون منزلة، والثالث له منزلة واحدة، والرابع له ثلاثون منزلة، والخامس له منزلة واحدة، والسادس له منزلة واحدة، والسادس له ثلاثون منزلة، والثامن له عشر منازل (أي: ا= ١ / ل = ٣٠ / ا= ١ / ل= ٣٠ /ا= ١ / ا= / ل= ٣٠ / ي= ١٠).

والنائم الأول له ثلاث مائة منزلة (أي: س=٣٠٠ بالحساب المغربي، وهي ٦٠ بالحساب المشرقي). **والنائم الثاني له ثمانية منازل** (أي ح= ٨، حاء الرحمن الساكنة).

فإذا مر السالك على هؤلاء الأشخاص أفاده كل شخص من العلوم والأسرار على قدر منازله (أي أن عدد علوم كل حرف من القرآن العظيم هو عدد ذلك الحرف بحساب الجمل، وقد أعطى الشيخ مثالا لهذا في تفصيله لحروف سورة المسد في الباب ٣٧٦ من الفتوحات المكية وهو في معرفة منزل هلاك الهوى والنفس). ثم ذكر الشيخ ترتيب حروف البسملة فقال:

فأول ما يمر على الحي الأول، ثم على النائم الثاني، ثم على الحي الثاني، ثم على الميت الأول، ثم على الميت الثاني، ثم على الحي الثالث، ثم على الحي الرابع، ثم على الميت الثالث، ثم على الميت الرابع، ثم على الحي الخامس، ثم على النائم الثاني، ثم على الحي السادس، ثم على الميت الخامس، ثم على الحي السابع، ثم على الميت السادس، ثم على الميت السابع، ثم على الحي الثامن، ثم على الحي التاسع، ثم على الميت الثامن، ثم على الحي العاشر.

فليلزم السالك مع هؤلاء الأشخاص الروحانيين إذا مر بهم في سفره الروحاني، ما يستحقون من الآداب، فإن للحي آدابا تخص حضرته، وللميت كذلك وللنائم كذلك (أي أن الشيخ يحث هنا على التدبر في البسملة وحروفها ليكشف الحق تعالى له عن جمعها للأسرار الوجودية والقرآنية). **وإذا تلقى السالك منهم أسرارهم وما يهبونه من الحكم الإلهية، يتلقاها بالقبول والتسليم، فإنها من العلوم الإلهية الرفيعة المنار، المحرقات سبحاتها** (أي لأنها من كلام الله تعالى القديم)، **والظاهرة آياتها. وجماع أمره أن يلقي السمع وهو شهيد. فإذا تميز في هذه المشاهدة غاب ثمة المشهود في الشاهد، وعرف حينئذ بكشف الإيمان خلاف علماء الرسوم في هذا الباب لماذا يرجع. فإن طائفة من أهل الكشف الإيماني**

ألحقت هذا الباب بمقام العظمة (أي أن طائفة من العلماء رأت أن البسملة آية من الفاتحة)؛ **وطائفة قالت إنه ليس من مقام العظمة** (أي أن طائفة أخرى من أهل العلم لم تعتبر البسملة آية من الفاتحة)، **ولكنه مفتاح لكل مقام إلهي** (أي أن البسملة فاتحة لكل سورة قرآنية) **إلا لمقام القهر والغلبة** (أي: إلا لسورة التوبة) **فإنه يناقض معناه** (أي أن رحمة البسملة تناقض البراءة من المشركين المفتتحة بها سورة التوبة)؛ **فلعدم المناسبة لم يصح أن يكون له مفتاحا أصلا.**

غير أن في هذا الباب ثلاثة أشخاص لم تدركهم المشاهدة لأنهم في حال فناء محقق (يشير الشيخ إلى الحروف الثلاثة غير المرقومة في البسملة فهي لا تشهد).

ومعنى قولي «الفناء المحقق» تحرز من «الفناء غير المحقق». والفرق بينهما أن الفناء المحقق كما يفنى صاحبه عن شهود نفسه، كذلك يفنى عنه الغير لتحققه بحالة الفناء، فلا تظهر له صورة أصلا مشهودة لغلبة الحق عليه ظاهرا وباطنا، فلا يرى كما أن الحق لا يرى. والفناء الذي هو غير المحقق: يفنى صاحبه عن نفسه، وصورته ظاهرة لجليسه، فقد استحكمت المشاهدة على باطنه خاصة. ومقام الفناء المحقق يكون في الدار الآخرة مطلقا لكل مشاهد، لأن المشاهدة هناك تعم ذات المشاهد، وهنا ليس كذلك في حق كل شخص.

فهؤلاء الثلاثة أشخاص المغيبون على هذه الحالة. فإن أردت أن تعرف أماكنهم، فانظر الواحد منهم بين الحي الأول والنائم الأول (أي الألف الغائبة بين الباء والسين في «بسم»)، **تثبت هناك عسى تشملك بركة غيبته، وما له سوى منزل واحد** (أي لأن عدد الألف واحد).

وأما الثاني فمكانه بين الحي الثالث والرابع (أي ألف المد بين اللام والهاء من «الله»)، **تثبت هناك أيضا طالبا بركته، وما له سوى منزل واحد.**

وأما الثالث فمكانه بين الحي الرابع والميت الثالث (أي الواو الخفي في هاء اسم «الله» عند إشباعها بالرفع)، **وله ست منازل** (لأن عدد الواو ستة)، **وهو أخفى من صاحبه، فإنه ما ثم ما يدل عليه ألبتة، لأنه هو الدليل على نفسه** (يشير الشيخ إلى واو الهوية: هو).

فجماعهم ثلاثة وعشرون شخصا لا غير.

فإذا أحكم الإنسان مسائل هذا الباب وتحققها وقبلها علما، أحاط علما بأمور تكاد لا تتناهى، فأحرى بالموجودات (في هذا الكلام إشارات منها العلاقة المتميزة بين البسملة وكلمة الإيجاد «كن»، والشيخ يقول في الفتوحات أن البسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق هي بسملة الفاتحة، لا بسملة سائر السور، فإن بسملة سائل السور لأمور خاصة. وإلى هذا المعنى يعود عند كلامه على «بسم الله» في الباب١٩٨ من الفتوحات، فيقول:

[البسملة قولك «بسم الله»، وهو للعبد كلمة حضرة الكون للتكوين، بمنزلة كلمة الحضرة في قوله «كن»، فينفعل عن العبد بالبسملة، إذا تحقق بها، ما ينفعل عن «كن»، فكأنه يقول «بسم الله يكون ظهور الكون»، فهو إخبار عن حقيقة اقترن بها صدق محبوب كان الحق سمعه ولسانه، فيكون عنه ما يكون عن «كن»، وهو قوله: «فتنفخ فيه فيكون طائراً بإذني». فبـ «إذني» متعلق بقوله «فتنفخ» ﴿**وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني**﴾ [المائدة/ ١١٠]، أي بأمري لما كنت لسانك وبصرك تكونت عنك الأشياء التي ليست بمقدورة لمن لا أقول على لسانه. فالتكوين في الحالين لي. فـ «بسم الله» عين «كن»].

وقد أشبعنا القول في هذا الباب في كثير من كتبنا على ضروب مختلفة. وهذا الكتاب من الفتوحات، فهو جار على ما أعطاه الفتح الإلهي المكي، وإن قيدناه في غيره فالتنزل لها وبقوتها (يعني أنه تكلم عن بعض أسرار البسملة في العديد من كتبه، خصوصا «الفتوحات المكية»، حيث خصص لها وللفاتحة الباب الخامس، وهو غزير المعاني طويل، والباب ٣٨٣ في معرفة العظمة الجامعة للعظمات المحمدية).

واعلم أن هؤلاء الأشخاص وإن كانوا ثلاثة وعشرين فليسوا من جنس واحد يل من عشرة أجناس (أي أن البسملة تتشكل من عشرة حروف عند حذف المكرر منها). **ومعنى أجناس: حضرات إلهية، صدر كل جنس عن حضرة مخصوصة بإذن الله.**

فمنهم من ظهر من جنسه شخص واحد فصاعدا. فمنها حضرة البهاء (أي الباء مفتاح البهاء)، **والرفعة** (أي السين مفتاح السناء وهو الرفعة)، **والشرف** (أي ميم المجد وهو الشرف)، **والإنية** (أي الألف مفتاح: أنا) **واللطف** (أي لام اللطف)، **والهوية** (أي الهاء)، **والحياة** (أي الحاء)، **والنور** (أي النون)، **والرحمة** (أي الراء)، **واليمن** (أي الياء).

فالحي الأول من حضرة البهاء، والنائم الأول من حضرة الرفعة، والحي الثاني والسادس والعاشر من حضرة الشرف، والميت الأول والثالث والخامس والسادس والغائبين المحققين من حضرة الإنية، والميت الثاني والحي الثالث والميت الرابع والسابع من حضرة اللطف، والحي الرابع من حضرة الهوية، والحي الخامس والثامن من حضرة الرحمة، والنائم الثاني والحي التاسع من حضرة الحياة، والحي السابع من حضرة النور، والميت الثامن من حضرة اليمن. والفاني الثالث من حضرة أخرى خلاف هذه العشرة وهي حضرة الوقاية ولها اسم الواقي نهيمن عليها (يشير الشيخ إلى حرف الواو في هاء الهوية من اسم «الله»).

فإذا أردت أن تعرف كم مسألة إلهية في هذا الباب فانظر ما يجتمع لك من المنازل التي فيه، فهي عيون المسائل مع أعداد الأشخاص ضعفين من أجل نعوتهم بالحياة والموت والنوم والفناء (أي أن عدد أمهات المسائل المندرجة في البسملة يساوي مجموع أعداد حروفها الثلاثة و العشرين بحساب الجمل كما سبق بيانه، مع أعداد الحروف ضعفين من أجل حركاتهم خفضا ونصبا وسكونا حيا وميتا وفناء).

ولمعرفة بعض أسرار البسملة سنعود لاحقا إلى ما ذكره الشيخ في «الفتوحات المكية»، وينظر أيضا ما ذكره حولها خليفته الشيخ صدر الدين القونوي في تفسيره لفاتحة الكتاب وفي كتابه الآخر» إعجاز البيان في تأويل أم القرآن»، وما ذكره الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه» الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم»، وما ذكره الشارح المجهول لكتاب «التجليات» للشيخ الأكبر، الذي عنوانه «كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات» الذي حققه الأستاذ عثمان يحيى؛ ففي بدايته تفصيل موسع لبعض الدلالات العرفانية العالية المنطوية في البسملة .

٢- باب من الحضرة عينها، أولها ألف وآخره نون، وهو الباب الثاني من سبعة أبواب من هذا الكتاب (يعني: الحمد لله رب العالمين).

ولما كان هذا الكتاب يتضمن مقامات السبعة الأبدال لهذا بنيناه على سبعة أبواب. وهؤلاء الأبدال – وإن كانوا سبعة– فمنهم أربعة هم أوتاد الأرض؛ وهؤلاء الأوتاد وإن كانوا أربعة، فمنهم القطب والإمامان. وقد تكلمنا في حقيقة القطب والإمامين في كتاب «منزل **القطب والإمامين**» **من الفتوحات المكية، ونبهنا على طرف منه في كتاب «مواقع النجوم»**

«منزل القطب والإمامين» هو الباب ٢٧٠ من فصل المنازل الرابع من الفتوحات المشتمل على ١١٤ بابا لكل سورة باب، بدءا من سورة الناس وانتهاء بالفاتحة في الباب ٣٨٣. فمرجع الباب ٢٧٠ إلى سورة الناس؛ وللشيخ رسالة أخرى مستقلة عنوانها أيضا «منزل القطب والإمامين» ومرجعها إلى المعوذتين. أما الباب ٣٨٣ المخصوص بمنزل الفاتحة ففيه تفصيل لاستمداد الرجال الأربعة عشر الحائزين على أعلى درجات الولاية، من الفاتحة لتحققهم التام بأسرارها ومعانيها. ووضح الشيخ في أبواب أخرى بعض مميزات الأقطاب كما في بداية الباب٧٣ والباب٢٥٥ والباب ٣٣٦ المتعلق بمنزل سورة الفتح، والباب٤٦٢ والباب ٤٦٣ في معرفة الأقطاب الاثني عشر. أما الأوتاد الأربعة والأبدال السبعة فذكر أحوالهم وعلومهم في الباب١٦ وفي الباب٧٣ .

فالقطب يحفظ المركز، والإمام الأيمن يحفظ عالم الأرواح، والإمام الأيسر يحفظ عالم الأجسام؛ والأوتاد الأربعة يحفظون الشرق والغرب والجنوب والشمال؛ والأوتاد السبعة يحفظون أقاليم الكرة علوا وسفلا (أي أقاليم الأرض السبعة المناسبة للسماوات السبع والأرضين السبع)، **فهم سبعة بالشخص وأربعة عشر بالحكم.**

فأول هذا الباب ألف المدح، وآخره نون الكون (أي ألف «الحمد لله» والنون الأخيرة من «رب العالمين»)؛ **وينصرف الثناء بين المكون - بخفض الواو- والمكون- بنصب الواو، فيثني المكون على المكون - بخفض الواوين- فثناؤه على نفسه؛ ويثني المكون- بفتح الواو- على المكون- بخفض الواو- حقيقة ويجني ثمرة ثنائه بما يليق بحقيقته: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الآية ٨٤ من سورة الإسراء]. فثناء المكون- بخفض الواو- قول القائل:**

فإذا مدحت فإنما أثني على نفسي فنفسي عين ذات ثنائي

وثناء المكون- بفتح الواو- قول القائل:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت الذي نثني فوق الذي نثني

لكن الثناء على الألوهية بالربوبية (أي الحمد لله رب العالمين) **من أعجب ما سمعته الآذان وسطرته الأقلام. ولكن لما قامت الألوهية هنا مقام الذات ونابت منابها، لأنها الوصف الأخص والنعت الأعلى**

والاسم الأسنى للذات، أثنى عليها بالربوبية وغيرها من أسماء الثناء كالملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، إلى غير ذلك (وهنا في الفاتحة: الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، وغيرها من الأسماء الظاهرة آثارها وإن لم تظهر ألفاظها كالفرد والهادي والمنعم والمجيب وغيرها).

هذا وإن كان الثناء من المكون- بفتح الواو- بأي اسم كان، فإن كل كون يكون حظه من الثناء بذلك الاسم على قدره في علمه بمنشئه من وجه حقه لا من وجه سببه. وقدره في علمه راجع إلى قدر قبوله، وقبوله على قدر استعداده، واستعداده الأكمل على قدر نشأته، مفردا كان أو مركبا، ذا جسم أوغير جسم.

والعالم كله أعلام منصوبة للدلالة عليه سبحانه من حيث ما هو ناصب لها، ومن حيث ما أودع فيها، لا من حيث ما هو عليه تعالى، ومن حيث ما هو يعرف نفسه؛ لأنه يتقدس ويتعالى عن تعلق الأفكار به، وتحصيلها له عند منتهى سفرها وإلقائها عصى تسيارها. فإنها ما انتهت في سفرها، وما ألقت عصاها بعدما وفت حقيقتها في المطلب، إلا في بحر العجز والحيرة، وخلف حجاب العزة والغيرة. ولكن نعم ما سافرت هذه الأفكار، ونعم ما حصلت في طريقها من الأسرار؛ لكن ما أوتي عليها إلا من مفارقة ذاتها وجولانها في غير ميدانها، والمطلوب إليها أقرب من حبل الوريد. وقد قال القائل (وهو الشاعر الأندلسي إبراهيم بن مسعود الإلبيري المتوفي سنة ٤٦٠هـ):

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

[فلا تعلم نفس ما أخفي لهم (فيهم) من قرة أعين] [السجدة/ ١٧]. هو قرة الأعين (وفاتحة الكتاب هي مفتاح كل ركعة في الصلاة التي هي قرة عين رسول الله ﷺ ومن اتبع هداه)، **وشفاء لما في الصدور من علل طلبه والبحث فيما لا مبحث فيه. فلو سكتت لرأته منها مخبرا عنها، وله ما سكن لا لغيره؛ ولغيره ما لم يكن لا له، فهو أغنى الشركاء عن الشرك.**

من قال: «هذا لله ولوجوهكم، فهو لوجوهكم ليس لله منه شيئ. لا تقبل الحضرة الإلهية حكما دنسه الكون يظهوره فيه شركا:

يا ناظرا لحكمة من خارج إنسانك الحكمة يا ناظر

يقول العبد: «الكبرياء لله، والعظمة لله، أو الحمد لله»؛ فيأخذها الحق منه أخذ عزيز مقتدر، من عبد لاه غير مفتكر. عندما يصل النطق إلى لام الخفض من «الحمد لله» يأخذه الحق مقدسا قبل أن يدنسه الكون، وتبقى «لام» صفة محققة للعبد حيث أراد أن يحمده وهو غير قادر على ذلك، فجهل نفسه، فكيف يعرف غيره.

وهذا باب عظيم، أسراره كثيرة لولا التطويل لعرفناك بعددها وأشخاصها ونعوتهم وحضراتهم مثل الأول، ولكن مداره من جهة جناب الحق على ثلاثة أقطاب:

قطب يتضمن أربعين ركنا من أركان المجد (يعني أن مدار هذا الباب على معنى كلمة «حمد»، وقطب الأربعين هو حرف الميم الأوسط الذي عدده ٤٠، وهو مفتاح كلمة «مجد»).

وقطب يتضمن ثمانية أركان من أركان الحياة الأزلية (يعني حرف حاء الحياة من كلمة «حمد» والذي عدده ٨).

وقطب يتضمن أربعة أركان من أركان الديمومة (يعني حرف دال الديمومة من كلمة «حمد» وعدده ٤).

فتفيض أركان المجد من سبحاتها على سبحات الديمومة، فتنتشر على صفاء بحر الألوهية (أي الاسم «لله» من «الحمد لله»)، **فيضرب لها شعاع في حقائق الربوبية فيضيئ منها العالم** (أي الاسم «رب العالمين»)؛ **فهو النور الذي فيه يسعون.**

كما تفيض أيضا أركان المجد من سبحاتها على سبحات الحياة، فينتشر على صفاء بحر المعرفة الإنية (حرفا التعريف «ال» في «الحمد» و «العالمين» يشيرا ن إلى هذه المعرفة)، **فيضرب لها شعاع في أكناف الرحمة الإيمانية فيكون عنها الوجود المحفوظ** (يشير الشيخ إلى الاسم «الرحيم» المخصوص بأهل الإيمان الظاهر في البسملة وفي الآية التالية ، فجاءت كلمة «العالمين» مكتنفة محفوظة بين هذين الرحمتين، ويمكن اعتبار «الرحيم» والوجود المحفوظ إشارة إلى النبي ﷺ، يقول الشيخ في الباب الخامس من الفتوحات خلال شرحه للبسملة: «الرحيم» صفة محمد ﷺ ﴿**بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ [التوبة/ ١٢٨]، وبه كمال الوجود وبالرحيم تمت البسملة، وبتمامها تم العالم خلقا وإبداعا. وكان ﷺ مبتدأ وجود العالم عقلا ونفسا: متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الماء والطين؛

فبه بدأ الوجود باطنا، وبه ختم المقام ظاهرا في عالم التخطيط فقال: «لا رسول بعدي ولا نبي».

فهذا روح هذا الباب ومعناه ، لخصناه لأصحابنا أهل الكشف والوجود والجمع (أي أهل الفرقان والقرآن، لأن الوجود فرقان والجمع قرآن)، **ليتحققوا به إذا وقفوا عليه. وبالله التوفيق.**

٣- باب من الحضرة نفسها، وهو باب أوله ألف وآخره ميم ، وهو الباب الثالث من سبعة (أي الآية: الرحمن الرحيم)

هذا ألف الثناء وميم الوصف (أي ثناء «الرحمن» ووصف «الرحيم»)، **وبينهما بحور زواخر تموجها زعازع، لا تبقي هذه الرياح على ظهر هذه فلكا يجري إلا تكسر ألواحه وتغرق أهله، ثم ترمي بالكل إلى السيف، فينشأون خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين** (الاسم «الرحمن» له وجه إلى صفة الرحمة، ووجه إلى الذات وإلى الإحاطة العرشية، ورياح الأنفاس الرحمانية إذا هبت من حضرة الذات تفني ما سواها، لكنها بصفة الرحمة ترمي بالكل إلى سيف حضرة «الرحيم» فينشأون نشأة البقاء بعد الفناء. وأورد الشيخ آية ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ [المؤمنون/ ١٤] لأنها وردت في سياق نشأة الجنين في رحم أمه، والرحم مناسبة لرحمة الرحمن الرحيم).

لكن مدار هذا الباب وإن كان عسير المدرك، سامي التجلي، على أربعة أقطاب (يعني الشيخ الحروف الأربعة من كلمة «رحمه»): **قطب يتضمن مائتا ركن من أركان الرحمانية** (أي حرف الراء وعدده ٢٠٠)، **وقطب يتضمن أربعمائة ركن متصلة من أركان التوبة ،وخمسة من أركان الهوية** (أي حرف التاء مفتاح التوبة وعدده ٤٠٠ عند اعتبار كلمة «رحمة» متصلة بما بعدها، أما باعتبارها منفصلة تبدل التاء الأخيرة بالهاء التي لها العدد ٥ وهي مفتاح كلمة «هو» الدالة على الهوية)، **وقطب يتضمن أركان من أركان الجناب الرحموتي** (أي الحاء الحرف الثاني من كلمة «رحمه» وعددها ٨)، **وقطب يتضمن أربعين ركنا من أركان الملك والشرف** (أي الميم من «رحمه» وعددها ٤٠، وهي مفتاح كلمة «ملك» وكلمة «مجد» الدالة على الشرف).

فتفيض أركان الجناب الرحموتي (أي حاء الرحمة) **من سبحاتها على صفاء نهر الرحمانية** (أي راء الرحمة)، **فيضرب له شعاع في زوايا الكون**

(أي «العالمين» المذكورين قبل راء «الرحمن»)، **فيعرفون من ذلك النور العارفون المفتوحة أبصارهم بنور الكشف مآل الكون وعاقبته وإلى أين يرجع بعد انقضاء مدته** (يشير الشيخ هنا إلى أن مآل كل العالمين في نهاية الأحقاب الأخروية إلى عموم الرحمة، لأن كلمة «العالمين» في الفاتحة جاءت مكتنفة بين رحمة البسملة السابقة ورحمة «الرحمن الرحيم» اللاحقة، وقد ورد في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»، فإلى رحمته تعالى منتهى الجميع).

وفي الباب الذي قبله يعرف من أين صدر (أي من الآية ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ يعرف من أين صدر العالم، وهو طلب حقائق الألوهية والربوبية التي هي الأسماء الحسنى ظهور آثارها في المألوهين والمربوبين أي العالمين، بحكم التضايف بين الرب والمربوب. والاسم «الرب» قبل «العالمين» يشير إلى حضرة العماء التي برز منها نفس الرحمان- بفتح الفاء- لإظهار مراتب الوجود كما فصلها الشيخ في الباب ١٩٨ من « الفتوحات المكية»، للحديث الوارد: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال ﷺ : كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء. فبالاسم «الرب» كان الاستواء على العماء وبالاسم «الرحمن» كان الاستواء على العرش).

وتفيض أركان الملك والشرف (أي حرف الميم من كلمة «رحمه») **من سبحاتها على أركان صفاء نهر الهوية** (أي الهاء من «رحمه»)، **فيضرب لها شعاع في زوايا البرزخ فيضيئ على أهله ويشرق، فيعرفون بذلك النور من كشف غطاؤه عنه مراتب الخلق ونتائج أعمالهم و كشوفات أبصارهم ومطالعات أسرارهم** (بعد الهاء من «رحمه» المتعلقة بالآية «الرحمن الرحيم» تأتي آية ﴿**ملك يوم الدين**﴾ أي ملك يوم الجزاء، أي الجزاء في البرزخ بعد الموت وفي الآخرة حيث تظهر نتائج الأعمال).

فطوبى لمن أشرقت أرضه بهذه الأنوار، وجمع بين الدارين في هذه الدار (أي طوبى لمن حاسب نفسه قبل يوم الدين والمحاسبة والجزاء)، **فاستراح من ذلة الوقفة، ولحق بأهل الاستثناء عند نفخة الصعقة، ثم طوبى له وحسن مآب.**

فهذا أخص ما يمكنني من إيضاح ما يتضمنه هذا الباب ، ومسائله أكثر من نصف مسائل الباب الأول من هذا الكتاب (أي لأن عدد حروف هذه الآية الثالثة، أي ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ أكثر من نصف عدد حروف البسملة). **وطلب الاختصار منعنا من ذكر أعداد المسائل**

في كل باب، لكن أكثرها مسائل الباب السابع الآتي آخر الكتاب (أي لأن أعداد هذه المسائل تساوي مجموع أعداد الحروف بحساب الجمل، ومجموع أعداد حروف الآية الأخيرة من الفاتحة أكبر بكثير من مجموع أعداد الآيات الأخرى).

٤ – باب من الحضرة نفسها، وهو باب أوله ميم وآخره نون، وهو الباب الرابع من سبعة (أي: ملك يوم الدين)

ميم الثناء (أي الثناء بالملك) **ونون نتائج الأعمال** (أي نون كلمة «الدين» وهو الجزاء على الأعمال)؛ **وبينهما أفلاك تدور** (إشارة إلى كلمة «يوم الدين» من أيام الأدوار الفلكية) **ومياه تغور** (إشارة إلى قيام الساعة الفاتحة ليوم القيامة، وإشارة لطيفة إلى كلمة «ملك» لأن غور المياه مذكور في آخر سورة الملك المفتتحة بالآية: ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ والمختتمة بالآية: ﴿**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**﴾). **وتدور على العالم بأسره هذه الأفلاك ثمانية عشر ألف ألف دورة** (أي أن يوم الدين هو يوم ذي المعارج، ومقداره كما في الآية الرابعة من سورة المعارج خمسون ألف سنة، في كل سنة ٣٦٠ دورة بعدد درجاتها، فالحاصل ثمانية عشر ألف ألف دورة)، **تعطي للسعداء في هذه الدورات نورا شعشعانيا لا ظلمة بعده، وتعطي للأشقياء ظلمة ظلمانية لا نور بعدها، وتعطي للعصاة من أهل التوحيد سدفة بعد انقضائها، أعني الدورات يعقبها نور لا ظلمة بعده، وتعطي للمنافقين المتظاهرين بأكمل الطاعات سدفة يعقبها ظلمة مركزية سفلية لا نور بعدها ولا علو** (الكلام هنا واضح في خلود السعداء في نور الجنة،وخلود الأشقياء في ظلمة جهنم، وخروج عصاة الموحدين من النار إلى الجنة، وخلود المنافقين في الدرك الأسفل من جهنم).

وفي هذا الباب، وعند وجود هذه الحركات، تتمايل أغصان سدرة المنتهى، تحمل خزائن الأعمال مملوءة نورا، وترتفع أغصان شجرة الزقوم تحمل خزائن الأعمال مملوءة ظلمة (أي لأن فروع سدرة المنتهى عند جنة المأوى خزائن أعمال السعداء، وفي أصولها السفلية شجرة الزقوم الجهنمية حيث خزائن أعمال الأشقياء)، **فتفتتح خزائن السدرة فتنتشر الأنوار بين يدي عما لها، فترى نورهم يسعى بين أيديهم** (أي هي أنوار الأعمال المفروضة الواجبة)؛ **وتفتتح خزائن الشجرة الملعونة فتنتشر ظلماتها**

بين يدي عما لها (أي هي ظلمات الأعمال المحرمة الممنوعة)، **حتى أن أحدهم إذا أخرج يده لم يكد يراها. ويضرب بالخزائن بعضها في بعض، فترمي بخزائن أخر ليس فيها شيئ** (أي هي خزائن الأعمال المباحة فلا أجر فيها ولا وزر)، **وترمي بخزائن أخر فيها نور وظلمة على السواء** (أي خزائن الأعمال المكروهة كراهة تنزيه نورها من تركها، وظلمتها من إتيانها)، **وترمي بخزائن أخر نورها يغلب على ظلمتها** (أي خزائن الأعمال المندوبة والمستحبة شرعا)، **وترمي بخزائن أخرى ظلمتها تغلب على نورها** (أي خزائن الأعمال المكروهة كراهة مغلظة). **فتبدو المراتب على حسب ما ذكرناه** (أي المراتب حسب الأحكام الشرعية الخمسة المستغرقة لكل الأعمال، وهي: الواجب والحرام والمباح والمندوب والمكروه بقسميه الغليظ والخفيف).

فإذا انقضى الأمر بعد هذه الأدوار، وتكرير النهار على النهار (أي بعد انقضاء يوم القيامة)

يتعلق العالم بأغصان الشجرتين، فترتفع هذه بأصحابها إلى الجوار، وتنزل هذه بأصحابها إلى الدرك الأسفل من النار (أي أعمال الأبرار ترفعهم إلى عليين، وأعمال الفجار تسقطهم إلى سجين دار البوار).

ومدار هذا الباب وإن عظمت خطوبه وكثرت أسراره وفاتت الإحصاء، على ثلاثة أقطاب (يعني الشيخ حروف كلمة: جزاء، أي الدين): **قطب يتضمن سبعة أركان من أركان العزة** (أي عدد حرف الزاي الحرف الأوسط من كلمتي «جزاء» و «عزه»)، **وقطب يتضمن ثلاثة أركان من أركان الجمال المطلق** (أي عدد الجيم مفتاح كلمتي «جمال» و «جزاء»)، **وقطب يتضمن ركنا واحدا من أركان الحقيقة** (أي عدد الألف واحد، والألف يشير إلى حضرة الحق تعالى الأول الحي القيوم)، **وينقسم هذا الركن إلى قسمين: شعبة تعم جميع أركان المقامات كلها** (أي هي شعبة ألف المد التي بسريان نفسها عبر مخارج الحروف تظهر الحروف كلها)، **وشعبة تخص مقام الإنية من حيث التحقق بها لا من حيث السريان** (أي هي شعبة الهمزة مفتاح الضمير «أنا»).

فتفيض أركان العزة من سبحاتها على صفاء مرآة ذلك الجمال المطلق، فيضرب لها شعاع على عالم الرحمة الاختصاصية (في هذه الفيضانات بدأ الشيخ من الحرف المركزي القطبي، ليعود إلى ما قبله، ففاضت زاي

الجزاء على الجيم فضرب شعاعها في كلمة «الرحيم» الدالة على الرحمة المختصة بالسعداء من الآية السابقة)، **فيتزاورون بها في جنات المعارف والأسرار ويتسامرون له. وبهذا النور تقع المشاهدة هنا لأصحابها والرؤية هناك لأهلها.**

كما تفيض أيضا أركان العزة من سبحاتها على صفاء نهر الحقيقة (أي فيضان زاي كلمة «جزاء» على ألف المد التي بعدها ولمددها الساري نسب إليها النهر)، **فيضرب لها شعاع في زوايا مقامات العبودية فيرون بها من يلتجأون إليه فيخاطبونه تأنيسا لتوقع الحاجة** (يمهد الشيخ هنا إلى الدخول عبر نهر الألف إلى الآية التالية ﴿**إياك نعبد**﴾)، **كما ورد:[تعرف إلي في الرخاء أعرفك في الشدة]** (حديث « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس).

غير أن هذه الأنوار إذا انتشرت على صفاء نهر الحقيقة، اكتسبت من ذلك النهر صفاء يندرج صفاء سبحاتها فيه اندراج نور الكواكب في نور الشمس (أي أن أنوار العزة والأسماء الحسنى كلها مندرجة في نور الأنوار وهو نور الأحدية والتوحيد المشار إليه بالألف) **فتسري الأنوار المتولدة منها، من حيث الشعبة العامة** (أي ألف المد من كلمة «جزاء») **في جميع المعلومات على ضروبها من النفي والإثبات** (أي أن كل المعلومات مندرجة ومتفرعة من نفي وإثبات كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»). **وبذلك النور يدرك العلماء معلوماتهم على مراتبها** (مصداق هذا أمر الله تعالى النبي ﷺ في الآية ١١٤ من سورة [طه] بقوله: ﴿**وقل رب زدني علما**﴾، ثم بين في سورة «محمد» منبع هذا العلم اللامتناهي فقال في الآية ١٩: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾). **ومن حيث الشعبة الخاصة لمقام الإنية** (أي شعبة الهمزة من كلمة «جزاء») **تسري في الصدور خاصة** (لأن مخرج الهمزة من الصدر) **فتنشرح بها، وذلك هو النور الإسلامي المعول عليه:** ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**﴾ [الآية ٢٢ من سورة الزمر] **وقوله:** ﴿**نور على نور**﴾ [الآية ٣٥ من سورة النور].

فهذا نور الشرح والفتح لتحصيل المعارف والعلوم بذلك النور الآخر المتقدم ذكره. فافهم وبالله التوفيق.

٥ – حضرة الاشتراك (أي الاشتراك بين الرب وعبده حيث يفرد العبد ربه بالعبادة و طلب العون)، الباب الأول منه أوله ألف وآخره دال، وهو الباب الخامس من سبعة (أي :إياك نعبد)

هذه ألف الالتجاء لحضرة مشاهدة الخطاب (أي ألف «إياك»، والكاف يدل على مشاهدة الخطاب). والدال دال العلة التي لها خلق البارئ الكون (أي العبادة من فعل «نعبد») في مقام جمعية العبد وتعظيمه (يشير الشيخ إلى نون الجمع والتعظيم من «نعبد»)، ومقام وحدانية الحق تعالى وعظمته (يشير الشيخ إلى كاف الخطاب الدال على إفراد الحق تعالى بالعبادة). قال الحق تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الآية٥٦ من سورة الذاريات] أي ليتذللوا لي. ولا يتحقق العبد بالعبودية التي هي الذلة إلا بعد معرفته بنفسه أنه مربوب ومقهور مجبور لسيد قادر قاهر يفعل ما يشاء، فيعرف ما ينبغي لسيده من أوصاف السيادة والملك، ويعرف ما ينبغي له من أوصاف العبودية. فإذا صحت له هذه المعرفة حينئذ يذل حقيقة حالا وقولا وعقدا لعز سلطان سيده. فما أبدع قول الحق سبحانه: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾، ولم يقل «ليعرفون فيعبدوني»؛ ولو قال ذلك لكانت المعرفة به من العلوم الكسبية، والمعرفة به سبحانه ضرورية موجودة في فطر الخلق ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ [الآية ٣٠ من سورة الروم]، ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾ [الآية ١٧٢ من سورة الأعراف]. كل مولود يولد على الفطرة؛ ولما كانت المعرفة ضرورية قال «ليعبدون» فنبه على السبب الذي أوجد لأجله الثقلين، وخرج من هذا الخطاب أمم أمثالنا كثيرون من الروحانيات والعالم الأرضي. وسبب ذلك أنهم فطروا على المعرفة والعبادة فليس لهم في العبادة كسب، ولذلك ليس لهم جزاء على أعمالهم، إنما هي عبودية محضة، ليس لهم رائحة مشم من الربوبية مثل ما للثقلين. قال في إبليس: ﴿**أبى واستكبر**﴾ [الآية ٣٤ من البقرة]، وفي فرعون: ﴿**متكبر جبار**﴾ [الآية ٣٥ من سورة غافر]. وما ذكر هذا الوصف من غير الثقلين أصلا. فإذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل (أي: نعبد)، فليست بنون التعظيم، وإذا كنى عن الحق تعالى بضمير الإفراد (أي حرف الكاف من: إياك)، فإن ذلك لغلبة سلطان التوحيد في قلب هذا العبد وتحققه به حتى سرى في كليته، فظهر ذلك في نطقه لفظا كما كان عقدا وعلما ومشاهدة وعينا. وهذه النون نون الجمع، فإن العبد وإن كان

فرداني اللطيفة وحداني الحقيقة، فإنه غير وحداني ولا فرداني من حيث لطيفته ومركبها وهيكلها وقالبها. وما من جزء في الإنسان إلا والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التي فيه أن تلقي على هذه الأجزاء ما يليق بها من العبادات. وهي في الجملة وإن كانت المدبرة فلها تكليف يخصها يناسب ذاتها. فلهذه الجمعية يقول العبد لله تعالى:[لك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد وإياك نعبد] وأمثال هذا الخطاب.

ولقد سألني سائل من علماء الرسوم عن هذه المسألة عينها كان قد حار فيها، فأجبته بأجوبة منها هذا فشفي غليله والحمد لله.

ولهذا الباب أسرار لطيفة، ومعاني دقيقة أضربنا عن إيرادها في هذا المختصر لأسباب؛ ولكن قد تأتي مفرقة في «الفتوحات»؛ فإن هذه «الفتوحات المكية» تضمنت خمسمائة كتاب وستين كتابا، هذا أحد هذه الكتب، وهو من فصل المنازل مائة وبضعة عشر منزلا، كل منزل كتاب (أي أن كتابه الجليل «الفتوحات المكية» يشتمل على ستة فصول تتألف من ٥٦٠ بابا، والفصل الرابع يحتوي على ١١٤ بابا، لكل باب منزل سورة من القرآن بدءا من الباب ٢٧٠ المتعلق بمنزل سورة الناس، وصعودا حسب ترتيب المصحف، وانتهاء بمنزل سورة الفاتحة التي لها هذا الكتاب في الباب ٣٨٣).

وهذا الباب على ثلاثة أقطاب (أي الحروف الثلاثة لكلمة: عبد): **قطب يتضمن سبعين ركنا من أركان رفيع الدرجات** (أي حرف العين مفتاح العلو وعددها ٧٠)، **وقطب يتضمن ركنين من البهاء** (أي باء البهاء وعددها ٢)، **وقطب يتضمن أربعة أركان من أركان الديمومة** (أي دال الدوام وعدده ٤).

فتفيض أركان الرفعة من سبحاتها على صفاء نهر المكالمة الإلهية الجاري من عين التوحيد (أي أن عين كلمة «عبد» تفيض على كلمة «إياك» التي قبل «نعبد»، وفي «إياك» مكالمة العبد لربه، وفي كاف الخطاب توحيده) ،**فيضرب لها شعاع في زوايا عالم الأمر فيشرق** (في كلمة «إياك» يوجد حرف النداء «يا» وهو هنا نداء الأمر الإلهي عباده لعبادته)، **ولأجل هذا النور لا يمسهم نصب في عبادتهم لأن هذا النور يحملهم فيها، فهم المحمولون، ألحقنا الله بهم.**

ويفيض ركنا البهاء من سبحاتها على صفاء نهر العزة، فينعكس الشعاع عليه (أي الباء في قلب كلمة «عبد» تفيض على العين التي قبلها وهي عين العزة، فينعكس الشعاع عليها لأنه لا عزة للعبد أمام مولاه)، **فيكون انعكاسه سببا لتحقق الأولياء بمقام العبودية والحرية بخروجهم بهذا النور عن رق الأكوان، فهم العبيد الأحرار الذين ليس لأحد عليهم سلطان** (حول مقام العبودة وتركها ومقام الحرية وتركها ينظر في «الفتوحات» الأبواب: ١٣١-١٣٢-١٤٠-١٤١).

وتفيض أركان الديمومة من سبحاتها على صفاء نهر الكمال (أي دال كلمة «عبد» من «نعبد» تفيض على كاف الكمال من الآية التالية ﴿**إياك نستعين**﴾)، **فيضرب له شعاع في زوايا الكون المنفصل** (وهو الطالب العون من ربه) **فيظهر له بذلك النور عين الجمع والوجود، فينغمس فيها فيلحق بالكون المتصل ويزول الشرك** (لتحقق ذلك الطالب بقيوميته الدائمة بربه وحتى في طلبه العون منه). **فإن الكون المنفصل عبارة عن وصف النفس بما ليست عليه** (أي بما ليست عليه من كل حول وقوة)؛ **والكون المتصل ما له دعوى ألبتة، تلعب به يد الأقدار حيث شاءت لا حراك له ولا سكون من نفسه. قيل له: أنت، فلم يجب؛ قيل له: ما أنت، فلم يجب؛ قيل له: فإيش تريد أن تكون؟ أثبتناك فلم تجب، أو نفيناك فلم تجب. فقال فانيا في خطابه عن خطابه بخطاب الأمر للأمر من نفس هذا المختص: جوابك في كلامك وسؤالك، فإنك أثبتني ونفيتني، فلو كنت لي مني مثبتا لم تقل «أثبتناك»، ولو كنت لي مني منفيا لم تقل «نفيناك»؛ فكيف يجيب من لا ثبوت له ولا انتفاء. أنت أيها الآمر في أنت وفي أنا** (أي أنه لا طاعة لمخلوق إلا بتوفيق الخالق). **فأنا غير أنت أيها الآمر وأنت غير أنا. فأنت إذا أنت لأنت، لا لأنا، ومن ضرب الواحد في نفسه لم يخرج له سوى نفسه. فاسأل ولا تسأل فما يجيب غيرك، فذم وامدح، وهذا المفتاح فمن شاء فليفتح** (هذا كله تعبير على أن لا قيام للمخلوق في كل آن إلا بربه، وفيه تمهيد للآية التالية: ﴿**إياك نستعين**﴾.

والله الموفق لا رب غيره. وقد علم كل أناس مشربهم .

٦ – حضرة الاشتراك : باب آخر منها، أوله ألف وآخره نون، وهو الباب السادس من سبعة (أي الآية : إياك نستعين).

اعلم أن الله تعالى لما أوجد عالم الهياكل الظلمانية والقوالب الجسمانية، أوجدهم في الكون المنفصل، فظهرت عنهم الدعاوي المهلكة والدعاوي الصادقة، عن غير الحقيقة التي طولبوا بها. فأما أصحاب الدعاوي المهلكة فادعوا الربوبية مطلقا فهلكوا وكانوا من الخاسرين، وهم طائفتان: طائفة ادعت القوة لها كفرعون وغيره؛ وطائفة ادعت أن القوة لله والفعل لها، وهم المعتزلة ومن تابعهم. فهؤلاء أصحاب الدعاوي المهلكة.

وأما أصحاب الدعاوي الصادقة فهم أصحاب غفلات مع العقد السليم، فلله معهم أخذان: إن أخذهم بعقدهم ابتداء سلموا من غير مشقة، وإن أخذهم بغفلتهم شقوا ثم شفع فيهم عقدهم فانتقلوا إلى دار السعادة، ولكن لم يشموا رائحة من الكون المتصل الذي هو عين الجمع والوجود (أي لم يتحققوا بقيومية الحق تعالى التي بها وجود وقيام كل شيئ في كل آن).

وثم طائفة من أصحاب الدعاوي الصادقة، نظر الحق إليهم بعين العناية فهداهم ليستخلصهم لنفسه، واصطنعهم في دار الامتزاج (أي الدنيا) قبل الرحلة إلى دار التخليص (أي الآخرة)، فحصل لهم التخليص هنا، ففرق بين ظلمتهم ونورهم شهودهم الذي أشهدهم.

فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا ... فكانوا في الوجود لسان حقه
وأبقوا ثم أبقوا ثم أبقوا ... فصرفهم على مقدار وفقه
وما أفنوا وما أبقوا فكانوا ... لهم الستور في أطوار خلقه
فناداهم عبيدي من عبادي ... فردوا من تناديه بحقه
مقيم لا يزال يراك فيه ... وتبصره على تحقيق صدقه
فإن أخرجته منه فأهلا ... وسهلا وليكن إخراج شوقه
إلى نزل بتركيب نزيه ... عن التحليل مقرون بأفقه
وري بعد شرب نال منه ... على قدر ولكن بعد ذوقه

فلما ألحقهم بالكون المتصل، ناداهم فلم يجيبوا، فتعطلت الأسماء في حقهم، وما ظهر لها أثر في لطائفهم (أي أنهم من أهل القربة في التجلي

الذاتي). **فبعد هذا المشهد العلي والحال السني، ردهم إلى الكون المنفصل، فنطقوا بلسان التقوى فيه، فكانوا حاكين ما نص لهم، تالين ما أمروا بتلاوته، لا طالبين، فهم الشهود الأمناء، وهم الأبرياء الأخفياء، لا يعرفهم سواه، مجهولة أحوالهم من حيث الشبه بالصورة، واختلاف البواعث والمعاني، فهم يأكلون ويشربون ويركبون وينكحون ويمزحون ويضحكون:** ﴿**ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**﴾ [الآية ٧ من سورة الفرقان]. **انظر ماذا فعلت مشاركة الصور، وإن اختلفت السور** (أي: جمع سورة وهي المنزلة)، **فبهذا اللسان نطقوا، وعن هذه الحقيقة ترجموا، ولو عثر عليهم رجموا؛ هكذا قال ابن عباس- رضي الله عنه؛ فسبحان من سترهم بهم عن أعين المنكرين، وإن كانوا مسلمين صالحين. قال بعض العارفين: «لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق». معنى هذا الكلام: لو نطق بما يقتضيه مقامه وحاله المستور، لكن لا ينطق إلا بالأمر المعتاد، فيخفى بين العباد، فيحيا طيب العيش، نزيه المكان، كثير الإمكان. فهذه أحوال أرباب هذا الباب مجملة.**

ومدار هذا الباب على ثلاثة أقطاب (يعني الشيخ حروف كلمة: «عون» من الآية ﴿**إياك نستعين**﴾): **قطب يتضمن سبعين ركنا من أركان العلم** (أي العين مفتاح العلم والعون، وعددها سبعون)؛ **وقطب يتضمن ستة أركان من أركان الوراثة** (أي الواو مفتاح الوراثة وقلب العون، وعدده ٦)؛ **و قطب يتضمن خمسين ركنا من أركان النور** (أي النون مفتاح النور ونهاية العون، وعددها ٥٠).

فتفيض أركان العلم من سبحاتها على صفاء نهر العبودية (أي عين العون تفيض على الكلمة الأخيرة من الآية السابقة وهب «نعبد»)، **فيضرب لها شعاع في أركان الولاية** (أي تنعكس أنوار العون على العبادة على الواو في قلب العون فيكون الواو واو الولاية)، **فذلك نور الأولياء** ﴿**فهو على نور من رب**﴾ [الآية ٢٢ من سورة الزمر] ﴿**ولهم أجرهم ونورهم**﴾ [الآية ١٩ من سورة الحديد].

وتفيض أركان النور من سبحاتها على صفاء نهر الهداية (أي تفيض نون نور منتهى العون على الكلمة الأولى من الآية اللاحقة وهي «اهدنا»)، **فيضرب لها شعاع في محجة السالكين إلى الله** (أي المهتدون إلى الصراط المستقيم)، **فحيثما وقع ذلك النور فالطريق الظاهر به طريق**

السعادة (أي: **صراط الذين أنعمت عليهم**)، والمجانب له طريق الشقاوة (أي المغضوب عليهم والضالون). فمن كوشف بهذا النور فإنه معصوم إن كان نبيا، ومحفوظ إن كان وليا. والفرق بين العصمة والحفظ، أن العصمة تعم الذات كلها، والحفظ يتعلق بالجوارح مطلقا، ولا يشترط استصحابه في السر، فقد تخطر للولي خواطر لا يقتضيها طريق الحفظ، لكن لا يظهر لها حكم على الجوارح ألبتة. فاعلم، والله الموفق.

٧ – حضرة تمييز الثاني (أي القسم الثاني من الفاتحة المختص بالعبد، حيث أن قسمها الأول مختص بالله تعالى، وقسمها الأوسط مشترك بين الله وعبده). باب أوله ألف وصل وآخره نون، وهو الباب السابع (أي: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

إذا لاح علم الهداية للبصائر طلبته اللطائف بهياكلها (في مثل هذا المعنى قال البوصيري – رحمه الله – في الهمزية: وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الأعضاء)، وذلك لأن العبد إذا أشرقت لعينه أنوار النور، حصل له التميز علما لا غير؛ فيرى طريق المقامات العلية والمشاهد القدسية، عليها الآثار النبوية بالعلامات الربانية والآيات الرحمانية والدلالات الإلهية (يشير الشيخ هنا إلى الأسماء الأربعة الجامعة البارزة في الفاتحة وهي : الله الرب الرحمن الرحيم)، ويرى عكس هذا الطريق من جميع الوجوه، ويرى نفسه عليه أو بينهما. فإن خلع عليه رداء التوفيق مشى بالموافقة على الطريقة المثلى المحفوفة بالسبحات العلى، القائدة إلى المورد الأحلى بالمقام الأعلى، حيث الشهود الأسنى، والمكانة الزلفى، والمرتبة العظمى، حيث تنكشف أسرار المودة والقربى، عند حجاب العزة الأحمى، بساحل بحر العمى (أي: **صراط الذين أنعمت عليهم**).

ألا ليت التراجم مخبرات بما يبدو إلى البصر الغريب
من الأسرار في فلك المعالي إذا يسري على الحكم العجيب
فتبصر ناطقا بلسان غيب غريبا في غريب في غريب

وقام له سر الاستقامة في كل شيئ، من حيث أن كل شيئ منه بدأ وإليه يعود، فليس ظهور الاستقامة فيما يطلق عليه في الاصطلاح اسم المستقيم،فإن الكرة مستقيمة في التدوير، وليس اسم الاستقامة على الخط

المستقيم بأولى من غيره. لو قيل لكل غصن من أغصان الشجرة على اختلافها ودخول أغصانها بعضها على بعض، لماذا خرجت عن خط الاستقامة الذي مشى عليها هذا الغصن الآخر؟ لقال: بل سله لما خرج عن حد الاستقامة التي أنا عليها؟

فمن رأى وجود الأشياء منه سبحانه ابتداء ونشأ، ورأى رجوعها إليه عودا، ورأى معيته في الأشياء بين البدء والعود، لم ير معوجا، بل يرى استقامة محضة لا غير (كثيرة هي الآيات الدالة على هذه الحقيقة، منها قوله تعالى في الآية ١٩١ من سورة آل عمران: ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك**﴾، وفي الآية ٥٦ من سورة هود: ﴿**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**﴾). فالعارف إذا سأل الاستقامة إنما يسأل معرفة حكمة الأشياء في وضعها، ووجود الحق فيها ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ [الآية ٥٣ من سورة الشورى].

فإذا اتضح للعبد طريق السعادة وطريق الشقاوة، ورأى غاية الطريقين إلى الله تعالى، فلا يخلو هذا العبد: إما أن يلحظ نفسه وما يعطيه طبعه، وإما أن لا يلحظ ذلك. فإن لم يلحظ ذلك فلا يقع له التمييز من الطريقين من حيث الغاية، فلا يسأل النجاة من النار، ولا يسأل نعيم الجنان؛ بل ينظر في الطريقين نظر متنزه قد تسامى عن حكم الأكوان فيه، وذلك إذا كان الاسم «الله» في غاية الطريقين حينئذ يكون بهذه المثابة.

فإن لحظ نفسه في هذا المشهد مع الاسم «الله» في الغاية فصل برؤيته نفسه ما في الاسم «الله» من الإجمال، فهرب من النار وطلب الجنة. فإن رأى غاية كل طريق الاسم الخاص به، فرأى في طريق السعادة الاسم «المنعم» (أي صراط الذين أنعمت عليهم)، ورأى في طريق الشقاوة الاسم «المبلي» (أي المغضوب عليهم والضالون)، فر من الله إلى الله: فر من المبلي المنتقم إلى المنعم، واستعاذ به. قال: [أعوذ بك منك] (أي كما ورد في حديث نبوي مشهور]؛ فإنه هرب منه إليه، ولا سيما إن شاهد أهل الحيرة (أي : الضالين) الذين تخيلوا في ضلالتهم أنهم على هدى يشتد تعوذه لعظيم سلطان هذا المكر، حيث مكر بهم من حيث لا يشعرون ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾ [الآية ١٨٢ من سورة الأعراف]؛ فإن الضال إذا عرف أنه ضال فهو على هدى في ضلالته، لكن يكون ظالما مستكبرا عالما فيرجى له؛ لأن العالم لا يمكن أن يلتبس عليه معلومه بعد قيام العلم وحضوره معه، لكن كما قال

تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**﴾ [الآية ١٤ من سورة النمل]. **هذا وصف العالم تشم عليه روائح السعادة.**

وقال في الشقي (أي إبليس وكذلك المغضوب عليهم): ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ [الآية ١٢ من سورة الأعراف]. **فسبب إبايته وتكبره جهله، بخلاف الأول سبب إبايته في الانقياد بالظاهر تكبره على جنسه. فإن العالم لا يتمكن له الإباية بباطنه لحصول العلم عنده، فهو منقاد باطنا معتاص جموح ظاهرا، وأمره إلى الله. وقد تكلمنا عليه في كتاب (لا إله إلا الله) مستوفى، فإن هناك محله ومكانه.**

ثم إن السعيد المجتبى إذا عاين معارج المهتدين الذين تقدموه زمانا (أي ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾)، **ورأى صفاء أنوارهم لما تخلصت عن ظلماتهم، وتلك الضياءات اللامعة المستخلصة من ظلمة الكون الثقلي، بالضرورة يرى نوره دون أنوارهم في الصفاء والشعشعانية، وقد يكون فوق من رأى بالرتبة والفضيلة وهو لا يشعر لما يرى من المفاضلة بين النورين؛ وما يعلم أن سبب قصور نوره أنه للعلاقة الماسكة له لبقاء هذه الجثة الظلمانية وشغله بها، وعدم تخلصه منها، فيسأل حينئذ ربه تعالى في العروج به على معارج هذه الأنوار التي تراءت له رغبة في الصفاء المحض الذي لا يشوبه تكدير، وتكثر رغبته في ذلك وإلحاحه وطلبته** (أي ينادي: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليه**﴾)، **إلى أن يتخلص كما تخلصوا، فيكون صفاؤه عند ذلك على قدر ما اتصف به من المعارف الإلهية، وتحقق به من الصورة المعلومة** (أي صورة كمال الخلافة، وهي الواردة في الحديث الشريف: «خلق الله آدم على صورته»، وفي رواية «على صورة الرحمن». والسورة القرآنية المناسبة لهذه الصورة الرحمانية هي فاتحة الكتاب القرآن العظيم السبع المثاني).

فهذه صورة عالم هذا الباب؛ ومداره على ثلاثة أقطاب (الشيخ يعني الحروف الثلاثة لكلمة: هدى): **قطب يتضمن خمسة أركان من أركان الهوية** (أي الهاء مفتاح الهدى والهوية وعددها ٥)، **وقطب يتضمن أربعة أركان من أركان الديمومة** (أي الدال مفتاح الدوام وقلب الهدى وعدده ٤)، **وقطب يتضمن ركنا من أركان الإنية** (أي ألف «أنا» وآخر الهدى).

فتفيض أركان الهوية وركن الإنية من سبحاتها على صفاء نهر الديمومة (أي طرفا كلمة «هدى» تفيضان على دال مركزها)، **فيضرب**

لها شعاع في زوايا الجنة والنار، فيكون شعاع نور الهوية في جهنم فيقع الحجاب ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [الآية ١٥ من سورة المطففين]، **فالهو مصحوبهم أبد الآبدين** (أي لأن ضمير «هو» يدل على الغائب، فغيبتهم عن شهود الحق سبب حجابهم). **ويكون شعاع نور الإنية في الجنان فتكون الرؤية ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** [الآية ٢٢ من سورة القيامة]، **فالإنية مصحوبهم أبد الآبدين** (أي أن شهودهم كل شيئ قائما بالحق تعالى أورثهم النظرة الدائمة).

ونهر الديمومة يمد الدارين بحقيقته في شعاع كل نور، ولهذا: هؤلاء في السعادة دائمون، وهؤلاء في الشقاوة دائمون.

عصمنا الله وإياكم من غوائل الفتن، وصرف عنا وجوه المحن، إنه ذو الآلاء والمنن.

فصل

فهذا منزل العظمة قد أعطى من حقائقه قدر ما قبله استعداد الوقت؛ صاحبه يصغر إذا كان من أرواح التسخير حتى يصير كالوضع لا غير (يقول الشيخ في الباب ١٧٨ من «الفتوحات»: وقد روينا في خبر مؤيد بكشف أن إسرافيل عليه السلام، وهو أرفع الأرواح العلوية، يتضاءل في نفسه كل يوم لاستيلاء عظمة الله على قلبه سبعين مرة حتى يصير كالوضع. وفي الباب ٢٨١ المتعلق منزل سورة العصر يقول: فلنبين لك من هذا المنزل قيام الواحد مقام الجماعة، وهو عين الإنسان الكامل، فإنه أكمل من عين مجموع العالم، إذ كان نسخة من العالم حرفا بحرف، ويزيد أنه على حقيقة لا تقبل التضاؤل حين قبلها أرفع الأرواح الملكية إسرافيل، فإنه يتضاءل كل يوم سبعين مرة حتى يكون كالوضع أو كما قال. والتضاؤل لا يكون إلا عن رفعة سبقت، ولا رفعة للعبد الكلي في عبوديته، فإنه مسلوب الأوصاف. فلو أنتج لذلك الروح المتضائل حال هذا العبد الكلي في عبوديته لما تكرر عليه التضاؤل. فافهم ما أشرت به إليك. وقد نبهتك بهذا الخبر أن هذا الملك من أعلم الخلق بالله، وتكرار تضاؤله لتكرار التجلي، والحق لا يتجلى في صورة مرتين، فيرى في كل تجل ما يؤديه إلى ذلك التضاؤل. هذا هو العلم الصحيح الذي تعطيه معرفة الله).

وأما نحن في هذا المنزل فلا نصغر بل نفنى، ونفنى عن نفنى بلا نفنى، بل به عنه، ولا عين ولا غير ولا أثر ولا مخبر ولا خبر، ولا

رجوع بعد هذا الفناء بـ «أنا» لكن بـ «هو»؛ فيكون الراجع الهو لا الأنا؛ فيتسامى إذ ذاك عن الاتصاف بالصغر والتعرض للحكم، كما قال أبو يزيد (أي الصوفي الشهير أبو يزيد البسطامي المتوفي سنة ٢٦١هـ) : **«ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي»؛ وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: «لا صباح لي ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي».**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله.

هذا التنزل مكي (إشارة إلى نزول الفاتحة في مكة المكرمة، وإشارة إلى شرح الشيخ لها في الفتوحات المكية كما سبق ذكره، خصوصا في البابين ٥ و٣٨٣)، **قونوي** (أي كتبه الشيخ في قونيه بتركيا، وذلك سنة ٦٠٢ هـ، وسمعه عنه بعض أصحابه كسماعهم له في حلب سنة ٦١٧ هـ، وكسماع صاحبيه الأخصين ابن سودكين وصدرالدين القونوي في دمشق سنة ٦٢٧ هـ. ينظر التفصيل ومواقع مخطوطات الكتاب في كتاب الأستاذ عثمان يحيى حول تصانيف الشيخ المنشور بالفرنسية في دمشق سنة ١٩٦٤: الجزء الأول – صفحة ١٧٩ / ١٨٠– تحت رقم ٧٠)، **فما تخلص من آثار الحكم الفكرية إلا بعد أن جعله الله له من بين يديه ومن خلفه رصدا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.**

حضرة العظمة

هنا نورد نصا للشيخ حول معنى العظمة الموصوف بها منزل الفاتحة، وهو مقتبس من الباب ٥٥٨ من الفتوحات الذي شرح فيه مائة حضرة من حضرات الأسماء الحسنى. يقول– رضي الله عنه –:

إن العظيم الذي تعظمه	**أفعاله ليس من يقول أنا**
ومن يقل إنما تعظمه	**أحسابه لا أرى له ثمنا**
فلا تعظمه إنه رجل	**يحشر يوم الحساب في الجبنا**

يدعى صاحبها عبد العظيم؛ وحال هذا العبد الاحتقار التام مع كونه محلاً للعظمة عند نفسه. وما رأيت أحداً يحكم هذا المقام إلا شخصاً واحداً من حديثة الموصل،وأخبرني شيخي أبو العباس العريبي من أهل العلياء من غرب الأندلس أنه رأى واحداً أيضاً من أهل هذه

الحضرة، وقد تلبس كالحلاج، فيعظم جسمه في أعين الناظرين بالأبصار. وأما حكمها في النفوس فكثير الوقوع، فإنه تقع أمور كثيرة يعظم في النفوس قدرها، بحيث لا تتسع النفس لغيرها، ولا سيما في الأمور الهائلة التي تؤثر الخوف في النفوس: ﴿**ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾ [الآية ٣٢ من سورة الحج] ﴿**ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**﴾ [الآية ٣٠ من سورة لقمان] ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ [الآية ١٣ من سورة لقمان]، ولكن في نفس الموحد، يشاهد عظمته في نفس المشرك لا في نفسه، فيشاهده ظلمة عظيمة إذا أخرج يده فيها لم يكد يراها.

واعلم أن العظمة حال المعظم - اسم فاعل- لا حال المعظم- اسم مفعول-، إلا أن يكون الشيء يعظم عنده ذاته، فعند ذلك تكون العظمة حال المعظم، لأن المعظم- اسم فاعل- ما عظمت عنده إلا نفسه؛ فهو من كونه معظماً نفسه كانت الحال صفته، وما عظم سوى نفسه، فالعظمة حال نفسه.

وهذه الحالة توجب الهيبة والإجلال والخوف فيمن قامت بنفسه؛ قال بعضهم:

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجال

لما في قلوبهم من هيبته وعظمته. وقال الآخر:

أشتاقه فإذا بدا أطرقت من إجلاله
لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله

وهذه الأسباب كلها موجبات لحصول العظمة في نفس هذا المعظم. إلا أن عظمة الحق في القلوب لا توجبها إلا المعرفة في قلوب المؤمنين؛ وهي من آثار الأسماء الإلهية؛ فإن الأمر يعظم بقدر ما ينسب إلى هذه الذات المعظمة من نفوذ الاقتدار، وكونها تفعل ما تريد، ولا رادّ لحكمها، ولا يقف شيء لأمرها، فبالضرورة تعظم في قلب العارف بهذه الأمور، وهي العظمة الأولى الحاصلة لمن حصلت عنده من الإيمان. والمرتبة الثانية من العظمة هي ما يعطيه التجلي في قلوب أهل الشهود والوجود، من غير أن يخطر لهم شيء من تأثير الأسماء ولا من الأحكام، بل بمجرّد التجلي تحصل العظمة في نفس من يشاهده؛ وهذه العظمة الذاتية؛ ولا تحصل

إلا لمن شاهده به لا بنفسه؛ وهو الذي يكون الحق بصره، ولا أعظم من الحق عند من يشهده في تجليه ببصر الحق لا ببصره، فإن بصر كل إنسان وكل مشاهد بحسب عقده وما أعطاه دليله في الله؛ وهذا الصنف من أهل العظمة خارج عما ارتبطت عليه أفئدة العارفين من العقائد؛ فيرونه من غير تقييد؛ فذلك هو الحق المشهود فلا يلحق عظمتهم عظمة معظم أصلاً.

وما أحسن ما جاء هذا الاسم حيث جاء في كلام الله ببنية فعيل فقال عظيم، وهي بنية لها وجه إلى الفاعل ووجه إلى المفعول. ولما كان الحق عظيماً عند نفسه كان هو المعظم والمعظم فأتى بلفظ يجمع الوجهين كالعليم سواء. وقد يرد هذا البناء ويراد به الوجه الواحد من الوجهين كالاسم الحليم هذا لسان الظاهر وعلم الرسم. وأما علم الحقيقة المعتمد عليه عند العارفين فكل فعيل في أسماء الحق وصفاته ونعوته كالحليم والعليم والكريم فلا فرق بين هذه الأسماء وبين العظيم في دلالتها على الوجهين، وذلك لكونه هو الظاهر في مظاهر أعيان الممكنات، فما حلم إلا عنه، ولا تكرم إلا عليه. ألا ترى حكم إيجاد المرجح لا يكون إيجاده عند المتكلمين إلا بالقدرة أو القادرية عند بعضهم، أو بكونه قادراً عند طائفة فهو القادر، ولا يترجح الممكن إلا بالإرادة كما قلنا في القدرة على ذلك الترتيب والمساق فهو المريد. فالمريد إذا أراد ترجيح الوجود على العدم في المخلوق إن لم يكن هو القادر على ذلك، وإلا فعدم الإرادة أو وجودها على السواء. فيحتاج المريد إلى القادر بلا شك، والعين واحدة، ما ثم عين زائدة مع اختلاف الحكم. فلهذا قلنا في هذا البناء في حق الحق يطلب الوجهين. ولا يقدر أحد من الطوائف من العلماء بالله على مثل هذا العلم الإلهي إلا العلماء الراسخون من أهل الله، الذين هوية الحق علمهم، كما هي سمعهم وبصرهم. فاعلم ذلك. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل]. انتهى كلام الشيخ.

القطب الأيوبي المتحقق بحضرة العظمة من آية الكرسي:

وفي الباب ٤٦٣ من الفتوحات في معرفة الاثني عشر قطبا الذين يدور عليهم عالم زمانهم، وضح الشيخ سورة كل واحد من هؤلاء الأقطاب، والحال الذي يتميز به، والنبي الذي ذلك القطب على قدمه. فذكر أن حال القطب الذي على قدم أيوب – عليه السلام – هو حال

العظمة وسورته البقرة، المشتملة على آية الكرسي المنتهية بالاسم ﴿**العلي العظيم**﴾. يقول الشيخ :

[وأما القطب السابع الذي على قدم أيوب عليه السلام وسورته البقرة، وهي البيضاء الحاوية على سيدة آي القرآن، ومنازله بعدد حروفها لا آيها. حال هذا القطب العظمة، بحيث أنه يرى أن العالم لا يسعه، لأن ذوقه كونه وسع الحق قلبه؛ وقد ورد في الخبر أن الحق يقول: «ما وسعني أرضي ولا سمائي و وسعني قلب عبدي»؛ وما كل قلب يسع الحق. وقال: ﴿**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ [الحج/ ٤٦]؛ فبين مكان القلوب. فإذا كان مشهود العبد كون الحق في قلبه، فكما لا يسع العالم الحق لا يسع العالم أيضاً هذا العبد؛ فهذا سبب شهود ضيق العالم عنه.

وما رأيت من تحقق بهذا المقام وشهوده إلا رجلاً بالموصل من أهل حديثة الموصل كان بهذه المثابة، وأطلعه الحق على أمر ولم يطلعه على سره فيه، وكان يطلب على من يوضح له حاله، فذكرني له الإمام نجم الدين محمد بن أبي بكر بن شاي الموصلي المدرس بمدرسة سيف الدين بن علم الدين بحلب في هذا الزمان الذي نحن فيه وهو سنة ثمان وعشرين وستمائة. فطلب الاجتماع بنا، فلما وصل ذكر نازلته، فأوضحتها له فسرى عنه واستبشر، وخرج لي بحاله لما رآني فهمته، فوجدته قد أخذ من مقام العظمة بحظ وافر لكنه دون ذوق هذا القطب فيه، لأنه أخبرني أن النخامة كانت تدور في فيه لا يقدر أن يلقيها من فيه لأنه لا يجد لها محلاً تقع فيه خالياً من الحق؛ وقد علم ما جاء في الأدب في إلقائها في الشرع فكان يتحير. ورأيت آخر مثله بإشبيلية من بلاد الأندلس. وروينا عن الحلاج أنه ذاق من هذا المقام حتى ظهر عليه منه حال المقام، فكان له بيت يسمى بيت العظمة إذا دخل فيه ملأه كله بذاته في عين الناظر، حتى نسب إلى علم السيميا في ذلك لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال.

والمتمكن في هذا المقام لا يظهر عليه بالحال ما يدل على أنه صاحب هذا الذوق، ولكن نعوته تجري بحكم هذا المقام لا حاله؛ فإن الحال يعطي خرق العوائد، كما قال صاحب «محاسن المجالس» فيها لما ذكر الأحوال أنها للمريدين؛ قال: والأحوال للكرامات، يريد خرق العوائد. وليست الكرامات في عرف هذا اللسان إلا خرق العوائد مع الاستقامة

في الحال، أو تنتج الاستقامة في الفور، لا بد من ذلك عندهم. وسبب هذا التحديد أن خرق العادة قد لا يكون كرامة من الله للعبد. فأكملهم في مقام العظمة من يجهل حاله، ولا يعرف فيعرف ما يعامل به، ويحار الناظر فيه؛ إلا أنه على بينة من ربه وبصيرة من أمره. فمن أراد أن يعرف أحوال هذا الإمام، فليتدبر آيات سورة البقرة آية بعد آية حتى يختمها، فهذا القطب مجموع آيها. وبالله التوفيق] انتهى.

معنى التعلق والتخلق والتحقق بالاسم العظيم

وفي كتابه (كشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى) وضح الشيخ معنى التعلق والتحقق والتخلق بكل اسم من الأسماء التسعة والتسعين التي أوردها أبو حامد الغزالي - رحمه الله- في كتابه (المقصد الأسنى). والاسم الرابع والثلاثون هو «العظيم». يقول الشيخ عنه:

[**التعلق**: افتقارك إليه سبحانه في أن تكون عظيما عنده لا عند الكون، إلا أن تكون مبلغا مبينا عن الله أمرا، فيجب أن تقابل بالاحترام، وتثبت عظمتك في قلوب السامعين ليتلقى أمر الله بالحرمة؛ فتكون في هذا الطلب والافتقار إليه فيه ساعيا في تعظيم الحق عند الكون، لا في تعظيم نفسك.

التحقق: العظمة على الإطلاق لا تكون إلا لمن استحق اسم الألوهية، وما سوى هذا فتعظيم إضافي وهو التخلق.

التخلق: العظمة حال يقوم بنفس المعظم- اسم فاعل- لا بنفس المعظم - اسم مفعول-، وقد يكون المعظم بتلك المنزلة وقد لا يكون].

ولمزيد من فهم معاني العظمة عند الشيخ، يرجع في الفتوحات إلى الباب ٤٧٥ وهو في معرفة حال قطب كان منزله ﴿**ومن يعظم شعائر الله**﴾؛ وكذلك الباب ٤٧٩ وهو في معرفة حال قطب كان منزله ﴿**ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**﴾.

الباب الخامس

- **اختصاص الفاتحة بسيدنا محمد ﷺ وأمته**
- **تأويل أم الكتاب المدخرة للأمة المحمدية**
- **مناجاة الفاتحة من كتاب «الإسراء»**

اختصاص الفاتحة بسيدنا محمد ﷺ وأمته

بينت الأحاديث الشريفة السابق ذكرها أن الفاتحة نزلت من كنز عرشي مخصوص بخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، لجمعيتها لكليات القرآن العظيم الجامع لكل الكتب المنزلة السابقة. وقد أكد الشيخ الأكبر على هذا المعنى في العديد من نصوصه؛ منها جوابه على السؤال ١٥٤ من أسئلة الحكيم الترمذي التي طرحها في كتابه «خاتم الأولياء». وقد أجاب الشيخ الأكبر عن كل هذه الأسئلة في الباب٧٣ من الفتوحات؛ ومنها أيضا ما ذكره في كتاب «الإسراء» الذي خصصه لبيان أحد معارجه عبر مراتب الوجود، بأبلغ وأحسن أسلوب، موضحا ما كشف له فيها من المعارف والأسرار القرآنية؛ وفي الباب الذي عنوانه (مناجاة «أو أدنى») نجد فصلا عنوانه «آيات مناجاة الإمام أبي حامد، ركن المعالم والمحامد»، تعرض فيه لتلك الخصوصية. وإنما ذكر الغزالي ليشير إلى أهمية كتابه «جواهر القرآن» الذي صنف فيه آيات القرآن إلى أقسام، وأطلق عليها حسب دلالاتها أوصاف، فقال ما ملخصه: الياقوت الأحمر هو عبارة عن معرفة الذات، والياقوت الأكهب معرفة الصفات، والياقوت الأصفر معرفة الأفعال، ومجموع هذه المعارف هو الكبريت الأحمر. وأما المسك الأذفر فعبارة عن علم الفقه ومعرفة أحكام الشريعة. والعود الرطب عبارة عن علم الترغيب والترهيب والوعد والوعيد. ثم ذكر العلوم الثمانية للفاتحة، وعلاقتها بأبواب الجنة الثمانية. وفي ما يلي النصان:

جواب الشيخ عن سؤال الحكيم الترمذي

[السؤال الرابع والخمسون ومائة: ما تأويل أم الكتاب، فانه ادخرها من جميع الرسل له ولهذه الأمة؟]

الجواب: الأم هي الجامعة، ومنه أم القرى، والرأس أم الجسد، يقال أم رأسه لأنه مجموع القوى الحسية والمعنوية كلها التي للإنسان. وكانت الفاتحة أما لجميع الكتب المنزلة، وهي القران العظيم، أي المجموع العظيم الحاوي لكل شئ. وكان محمد ﷺ قد أوتى جوامع الكلم؛ فشرعه تضمن جميع الشرائع. وكان نبياً وآدم لم يخلق، فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء -عليهم السلام-، هم أرساله ونوابه في الأرض لغيبة جسمه؛ ولو كان جسمه موجودا لما كان لأحد شرع معه، وهو قوله: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». وقال تعالى: ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا**﴾ [المائدة/ ٤٤]، ونحن المسلمون، وعلماؤنا كالأنبياء، ونحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم، فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها، وشرعه أصلها. وأرسل إلى الناس كافة، ولم يكن ذلك لغيره، والناس من آدم إلى آخر إنسان؛ وكانت فيهم الشرائع، فهي شرائع محمد ﷺ بأيدي نوابه؛ فانه المبعوث إلى الناس كافة؛ فجميع الرسل نوابه بلا شك. فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له،ولا حاكم إلا رجع إليه. واقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا، لم يعطه أحد من نوابه؛ ولا بد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث إنه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه وزيادة. وأعطاه أم الكتاب، فتضمنت جميع الصحف والكتب، وظهر بها فينا مختصرة سبع آيات، تحتوي على جميع الآيات، كما كانت السبع الصفات الإلهية تتضمن جميع الأسماء الإلهية كلها (يعني الشيخ بالصفات السبع الأمهات: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام)، ويرجع كل اسم إلهي إلى واحد منها بلا شك. وقد فعل ذلك الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني في كتاب «الجلي والخفي» له، فرد جميع الأسماء إليها، وما وجد من الأسماء الإلهية لصفة الكلام إلا الاسم الشكور والشاكر خاصة، وباقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تتضمنها بلا شك؛ فمنها ما ألحقه بالعلم، ومنها بالقدرة، وسائر الصفات. فكذلك أم الكتاب ألحق الله بها جميع الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء نواب محمد ﷺ، فادخرها له ولهذه الأمة، ليتميز

على الأنبياء بالتقدم، وأنه الإمام الأكبر، وأمته التي ظهر فيها خير أمة أخرجت للناس لظهوره بصورته فيهم؛ وكذلك القرن الذي ظهر فيهم خير القرون لظهوره فيه بنفسه؛ وقبل ذلك وبعده بشرعه].

ثم تكلم الشيخ عن خصوصية بسملة الفاتحة فقال:

[وعلم السيمياء مشتق من السمة، وهي العلامة أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات، من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات. فمن الناس من يعطى ذلك كله في «بسم الله» وحده، فيقوم له ذلك مقام جميع الأسماء كلها، وتنزل من هذا العبد منزلة «كن»؛ وهي آية من فاتحة الكتاب؛ ومن هنا تفعل لا من بسملة سائر السور؛ وما عند أكثر الناس من ذلك خبر. والبسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق هي بسملة الفاتحة؛ وأما بسملة سائر السور فهي لأمور خاصة. وقد لقينا فاطمة بنت مثنى وكانت من أكابر الصالحين، تتصرف في العالم، ويظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب خاصة كل شيئ ، رأيت ذلك منها؛ وكانت تتخيل أن ذلك يعرفه كل أحد؛ وكانت تقول لي: «العجب ممن يعتاص عليه شيئ وعنده فاتحة الكتاب، لأي شيئ لا يقرؤها فيكون له ما يريد؟ ما هذا إلا حرمان بين». خدمتها وانتفعت بها] انتهى.

مناجاة «أو أدنى»، و «الإشارات المحمدية» من كتاب «الإسراء»

قال الترجمان: ما تقول في فاتحة الكتاب؟ قلت: قسمها الباري نصفين، حتى لا يصح في الوجود إلهين اثنين.

قال: ما فيها من الإشارات والرموز والدرر؟ قلت: الياقوت الأحمر والأصفر، والعنبر الأشهب، والعود الرطب الأنضر. أيها الترجمان: أم الكتاب، ليس لها انتساب، بل هي الإمام المبين، لجميع العالمين؛ فمنهم من علم الإمام فاتبعه ورفعه، ومنم من جهله فحطه ووضعه، هي الأصل الثابت فرعها ﴿**في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**﴾ [الآية ٢٥ من سورة إبراهيم] مع استغنائها عن الماء؛ وهي المثاني، بالنظر إلى المباني؛ والفاتحة، بالنظر إلى الطريق الواضحة؛ وأم القرآن، لمن تخلق بالفرقان.

(ومن باب «الإشارات المحمدية»):

قال: وفي قسمة الفاتحة؟ قلت: العبودية الواضحة،

قال: فلم اختصت الرحمة بالثنا؟ قلت: ليتبين من أنت ومن أنا.

قال: والمُلكُ بالتمجيد؟ قلت: لتصحيح التوحيد.

قال: فلم وقع الشرك في العبادة والعون؟ قلت: لتمييز القدرة من عجز الكون.

قال: لم اختص العبد بنصفها الثاني؟ قلت: ليصح عليها اسم المثاني.

قال: قد ساوى موسى لمحمد في الفرقان فكيف صحت له السيادة؟ قلت: لاختصاصه بالقرآن والعبادة.

الباب السادس

شرح منزل الفاتحة أو العظمة الجامعة للعظمات المحمدية من «الفتوحات المكية»

الباب 383 في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية

الفصل الرابع من «الفتوحات» يشتمل على ١١٤ بابا، لكل باب سورة بدءا من الباب ٢٧٠ الذي له سورة الناس، وصعودا حسب ترتيب السور في المصحف، وانتهاء بهذا الباب ٣٨٣ المتعلق بالفاتحة.

ملاحظة : ما بين قوسين شرح لكلام الشيخ

إن العظيم إذا عظمته نزلا ... وإن تعاظمت جلت ذاته فعلا
فهو الذي أبطل الأكوان أجمعها ... من باب غيرته وهو الذي فعلا
وليس يدرك ما قلنا سوى رجل ... قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
وهام في من يظن الخلق أجمعه ... تحصيله وسها عن نفسه وسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا ... رب الوسيلة في أوصافه كملا

(العنوان والأبيات يشيران إلى أن كل سورة مظهر لعظمة القرآن العظيم المجموعةِ كلياتُه في الفاتحة المخصوصة بالعبد الكامل الرسول الخاتم في مقامه الأحمدي المحمود. والعدد خمسة للأبيات يشير إلى الحفظ الخاص الذي تتميز به الفاتحة كما سيفصله الشيخ في هذا الباب؛ وذلك لأن ما تتميز به الخمسة هو حفظها لنفسها ولغيرها كما ذكره الشيخ في عدة مواقع. وسريان الخمسة في الخمسة بضربها في نفسها، أي تفعيل سريان الحفظ في الوجود، يعطي العدد خمسا وعشرين، وهو عدد كلمات الفاتحة بلا بسملة).

اعلم أن لهذا المنزل أربعة عشر حكماً (أي: الفاتحة هي السبع المثاني، أي حاصل ضرب السبعة في الاثنين، وهو الأربعة عشر): **الأول يختص بصاحب الزمان** (أي القطب)؛ **والثاني والثالث يختصان بالإمامين** (أي وزيري القطب)؛ **والرابع والخامس والسادس والسابع تختص بالأوتاد؛ والثامن والتاسع والعاشر والأحد عشر والاثنا عشر والثالث عشر والرابع عشر تختص بالأبدال. وبهذه الأحكام يحفظ الله عالم الدنيا.**

فمن علم هذا المنزل علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا، ونظيره من الطب تقويم الصحة (في هذا إشارة إلى تسمية الفاتحة بالحافظة والشافية الكافية واستعمالها كرقية وعلاج للسموم كما ورد في الحديث الصحيح)؛ **كما أنه بالأبدال تنحفظ الأقاليم؛ وبالأوتاد ينحفظ الجنوب والشمال والمغرب والمشرق؛ وبالإمامين ينحفظ عالم الغيب الذي في عالم الدنيا، وعالم الشهادة وهو ما أدركه الحس؛ وبالقطب ينحفظ جميع هؤلاء، فإنه الذي يدور عليه أمر عالم الكون والفساد.**

وهؤلاء على قلب أربعة عشر نبياً وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وهود، وصالح، وموسى، وداود، وسليمان، ويحيى، وهارون، وعيسى، ومحمد؛ سلام الله عليهم وعلى المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

ولكل واحد ممن ذكرنا طريق يخصه، وعلم ينصه، وخبر يقصه؛ ويرثه من ذكرنا ممن ليست له نبوة التشريع، وإن كانت له النبوة العامة. فلنذكر من ذلك ما تيسر، فإنه يطول الشرح فيه ويتفرع إلى ما لا يكاد ينحصر. ولهم من الأسماء الإلهية: الله، والرب، والهادي، والرحيم، والرحمن، والشافي، والقاهر، والمميت، والمحيي، والجميل، والقادر، والخالق، والجواد، والمقسط. (أي هذه هي الأسماء الحسنى التي عليها مدار الفاتحة). **كل اسم إلهيّ من هذه ينظر إلى قلب نبي ممن ذكرنا؛ وكل نبيّ يفيض على كل وارث؛ فالنبيّ كالبرزخ بين الأسماء والورثة.**

ولهم من حروف المعجم حروف أوائل السور وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والحاء، والقاف، والنون (أورد الشيخ هذه الحروف النورانية الفواتح الأربعة عشر حسب ترتيب ظهورها في القرآن نزولا من سورة البقرة إلى سورة القلم. وهي الفاتحة لتسع وعشرين سورة، على عدد كلمات الفاتحة مع

البسملة ، وكلها موجودة في الفاتحة). **هذا لهم من حيث الإمداد الإلهي الذي يأتيهم في قلوبهم.**

وإنما الذي يأتيهم من الحروف في صور خيالهم بالإمداد أيضاً: فالدال، والذال، والعين، والنون، والراء، والألف، والطاء، والحاء، والواو، والضاد، والغين، واللام، والميم، والتاء، والكاف، والباء، والسين، والقاف، والياء، والهاء، والحرف المركب من لام ألف الذي هو للحروف بمنزلة الجوزهر (هذه هي الحروف المؤلفة لكلمات الفاتحة، وعددها واحد وعشرون، أي سبعة في ثلاثة؛ والحروف الغائبة سبعة وهي: الجيم، والفاء، والشين، والثاء، والزاي، والظاء، والخاء. ومعنى «الجوزهر» : «تقاطع طريق الكواكب لطريق الشمس بممرها في البروج في موضعين: أحدهما يسمى رأس الجوزهر والآخر ذنب الجوزهر»، وشبه الشيخ حرف لام ألف بالجوزهر لأنه ناتج من تقاطع أو تلاحم حرفي اللام والألف). **وهذه الحروف من عالم الأنفاس الإلهية، وما تركب من الكلمات من هذه الحروف خاصة مما وقع عليها الاصطلاح في كل لسان، بما تكون به الفائدة في ذلك اللسان.**

فإن تلك الكلمات لها على ما قيل لي خواص في العالم ليست لسائر الكلم (يشير الشيخ هنا إلى خواص كلمات القرآن عموما، وبالأخص كلمات وحروف الفاتحة، ولاسيما بسملتها التي تنفعل عنها كل الكوائن).

وأما الأرواح النورية، فعين لهؤلاء الأنبياء منهم أربعة عشر روحاً من أمر الله، ينزلون من الأسماء التي ذكرناها الإلهية على قلوب الأنبياء، وتلقيها حقائق الأنبياء عليهم السلام على قلوب من ذكرناه من الورثة؛ ويحصل للفرد الواحد من الأفراد وراثة الجماعة المذكورة، فيأخذون علم الورث من طريق المذكورين من الأرواح الملكية والأنبياء البشريين، ويأخذون بالوجه الخاص من الأسماء الإلهية لا يعلمها من ذكرناه سوى محمد ﷺ، فإن له هذا العلم كله، لأنه أخبر أنه قد علم علم الأولين وعلم الآخرين.

اعلم أن لله كنوزاً في الطبيعة التي تحت عرش العماء (أي المرتبة التي كان فيها ربنا قبل أن يخلق الخلق، حسبما ورد في الحديث النبوي. وهذا باعتبار «كان» حرفا وجوديا معبرا عن حقيقة دائمة)، **اكتنز فيها أموراً فيها سعادة العباد، كاختزان الذهب في المعدن. وصور هذه الكنوز صور**

الكلمات المركبة من الحروف اللفظية، فلا تظهر إذا أراد اللهّٰ إظهارها إلا على ظهر أجسام البشر، على ألسنتهم (يشير الشيخ هنا إلى الحديث النبوي المخبر أن الفاتحة نزلت من كنز تحت العرش. وبكلمة «صور» لوح إلى كلمة «سور»). **وإنفاقها والانتفاع بها عين التلفظ بها؛ مثل قول الإنسان «لا حول ولا قوة إلا باللهّٰ العلي العظيم». فهذه الكلمات من الكنوز المنصوص عليها من اللهّٰ على لسان رسوله ﷺ؛ وأول ما أظهرها اللهّٰ تعالى على لسان آدم -عليه السلام-، فهو أول من أنفق من هذا الكنز، في الطواف بالكعبة، حين أنزله جبريل؛ فطاف بالكعبة، فسأله: ما كنتم تقولون في طوافكم بهذا البيت؟ فقال جبريل - عليه السلام -: كنا نقول في طوافنا بهذا البيت: «سبحان اللهّٰ، والحمد للهّٰ، ولا إله إلا اللهّٰ، واللهّٰ أكبر»؛ فأعطى اللهّٰ آدم وبنيه من حيث لا تعلمه الملائكة كلمة: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»؛ فقال آدم لجبريل -عليهما السلام- وأزيدكم أنا: «لا حول ولا قوة إلا باللهّٰ العلي العظيم». فبقيت سنة في الذكر في الطواف لبنيه ولكل طائف به إلى يوم القيامة** (ومعناها في الفاتحة في الآية ﴿**وإياك نستعين**﴾. وقد ذكر الشيخ في العديد من نصوصه أن هذه الآية البرزخية الوسطى ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ مما اختص بالتحقق بها على التمام الإنسان الكامل الخليفة وكذلك في الباب٤٧٦ والباب ٣١. وضح أن «لا حول ولا قوة إلا بالله» هي الذكر الملازم للقطب، وهي مركز دائرة كل الأذكار الأخرى). **فأخبر رسول اللهّٰ ﷺ أن هذه الكلمات أَعْطِيَهَا آدم -عليه السلام- من كنز من تحت العرش.**

فالكنوز المكتنزة تحت العرش إنما هي مكتنزة في نشأتنا، فإذا أراد اللهّٰ إظهار كنز منها ما أظهره على ألسنتنا، وجعل ذلك قربة إليه، فإنفاقه (هو) النطق به. وهكذا جميع ما اكتنزه مما فيه قربة ومما ليس بقربة فما هو مكتنز، بل يخلق في الوقت في لسان العبد.

وكانت صورة اختزانه - إذ لا يختزن إلا أمر وجودي- أن اللهّٰ لما أراد إيجاد هذا المكتنز، تجلى في صورة آدمية (أي لأن آدم وذريته هم الذين سيظهر فيهم ومنهم ذلك المختزن)، **ثم تكلم بهذا الأمر الذي يريد أن يكتنز لنا** (لأنه لولا كلام الحق تعالى بالقرآن لما تمكن الإنسان من النطق به) **أو لمن شاء من خلقه، فإذا تكلم به أسمعه ذلك المكان الذي يختزنه فيه، فيمسك عليه** (أي كما اكتنز الفاتحة في الروح المحمدي وآدم لم يخلق بعد)؛ **فإذا أنشأ اللهّٰ ذلك المكان صورة** (أي كما ظهر جسم سيدنا محمد

ﷺ صورة في الحس في الدنيا)، **ظهر هذا الكنز في نطق تلك الصورة (أي** كنطقه – عليه السلام – بالفاتحة لما أنزلت عليه، وهي عين صورته وسورته أي منزلته)، **فانتفع بظهوره عند اللّه؛ ثم لم يزل ينتقل في ألسنة الذاكرين به دائماً أبداً. ولم يكن كنزاً إلا فيمن ظهر منه ابتداء، لا في كل من ظهر منه بحكم الانتقال والحفظ. وهكذا كل من سن سنة حسنة ابتداء من غير تلقف من أحد مخلوق إلا من اللّه إليه، فتلك الحسنة كنز اكتنزها اللّه في هذا العبد من الوجه الخاص، ثم نطق بها العبد لإظهارها؛ كالذي ينفق ماله الذي اختزنه في صندوقه. فهذا صورة الاكتناز إن فهمت. فلا يكون اكتنازاً إلا من الوجه الخاص الإلهي، وما عدا ذلك فليس باكتناز. فأول ناطق به هو محل الاكتناز الذي اكتنزه اللّه فيه؛ وهو في حق من تلقفه منه ذكر مقرب، كان موصوفاً بأنه كنز.**

فهذه كلها رموز لأنها كلها كنوز

(وهذا يعني أن نبينا ﷺ هو كنز الفاتحة والقرآن، إذ هو أول ناطق به من البشر).

وبعد أن أعلمتك بصورة الكنز والاكتناز، وكيفية الأمر في ذلك، لتعلم ما أنت كنز له أي محل لاكتنازه مما لست بمحل له إذا تلقنته أو تلقفته من غيرك؛ فتعلم عند ذلك حظك من ربك، وما خصك به من مشارب النبوة، فتكون عند ذلك على بينة من ربك فيما تعبده به، ولا تكون فيما أنت محل لاكتنازه وارثاً، بل تكون موروثاً. فتحقق بما ترثه وما يورث منك.

ومن هذا الباب مسألة بلال الذي نص عليها لنا رسول اللّه ﷺ في قوله له: «بم سبقتني إلى الجنة؟» يستفهمه إذ علم أن السبق له ﷺ، فلما ذكر له ما نص لنا، قال ﷺ بهما، أي بتلك الحالتين. فمن عمل على ذلك كان له أجر العمل، ولبلال أجر التسنين وأجر عملك معا. فهذه فائدة كون الإنسان محلا للاكتناز. وأما تسنين الشر فليس باكتناز إلهي، وإنما هو أمر طبيعي؛ فإن النبي ﷺ يقول معلماً لنا: «والخير كله بيديك»، أي أنت الذي اكتنزته في عبادك، فهو بجعلك فيهم واختزانك؛ ولذلك يكون قربة إليك بالعمل به. ثم قال: «والشر ليس إليك»، أي لم تختزنه في عبادك، وهو قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن اللّه وما

أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/ ٧٩]؛ فأضاف السوء إليك والحسن إليه. وقوله صدق، وإخباره حق.

وأما قوله: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ [النساء/ ٧٨]، أي التعريف بذلك (هو) من عند الله، والحكم بأن هذا من الله وهذا من نفسك، وهذا خير وهذا شر؛ هذا معنى ﴿**كل من عند الله**﴾. ولهذا قال في حق من جهل الذي ذكرناه منهم: ﴿**فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً**﴾ [النساء/ ٧٨]، أي ما لهم لا يفقهون ما حدثتهم به؟ فإني قد قلت: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ [النساء/ ٧٩]، فرفعت الاحتمال، أو نصصت على الأمر بما هو عليه. فلما قلت: ﴿**كل من عند الله**﴾ يعلم العالم بالله أني أريد الحكم والإعلام بذلك أنه من عند الله، لا عين السوء. ولما علم ذلك رسول الله ﷺ قال: «والخير كله بيديك والشر ليس إليك»، وكذلك قوله تعالى: ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها**﴾ [الشمس/ ٧و٨] أنه فجور ﴿**وتقواها**﴾ أنه تقوى، ليفصل بين الفجور والتقوى، إذ هي محل لظهور الأمرين فيها؛ فربما التبس عليها الأمر وتخيلت فيه أنه كله تقوى. فعلمها الله فيما ألهمها ما يتميز به عندها الفجور من التقوى؛ ولذا جاء بالإلهام، ولم يجيء بالأمر؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والفجور فحشاء.

فالذكر للأصل وهو القطب (أي إشارة إلى الآية الأولى من الفاتحة: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، لأنه إذا قالها العبد يقول الله تعالى: «ذكرني عبدي»، كما ورد في الحديث النبوي. واسم القطب في كل زمان هو عبد الله، واسما وزيريه الإمامين: عبد الملك وعبد الرب، حسبما ذكره الشيخ في الباب ٢٧٠ من الفتوحات المتعلق بسورة الناس).

والتحميدان، أعني تحميدي السراء والضراء (أي الآية الثانية من الفاتحة: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾): لما انقسم التحميد بلسان الشرع بين قوله ﷺ في السراء: «الحمد لله المنعم المفضل»، وبين قوله في الضراء: «الحمد لله على كل حال»؛ وماله في الكون إلا حالة تَسُرُّ أو حالة تَضُرُّ، ولكل حالة تحميد. فقسمها على الإمامين. فهؤلاء ثلاثة قد بينت مراتبهم (حول هؤلاء الثلاثة يُنظر في الفتوحات البابان ٢٧٠ و٢٧١ ورسالته المستقلة «منزل القطب والإمامين» ورجعها إلى المعوذتين. وحول القطب والأقطاب يُنظر أيضا الباب ٣٣٦ المتعلق بسورة الفتح، وفيه

يتكلم الشيخ عن كيفية مبايعة القطب عند توليته، وبداية الباب ٧٣، والباب ٢٥٥ حيث يبين الشيخ علاقة خلافة القطب بالحروف النورانية فواتح السور والموجودة كلها في الفاتحة، وأيضا الباب ٤٦٢ والباب ٤٦٣ الخاص بالأقطاب الاثني عشر الذين عليهم مدار عالم زمانهم).

ولما كانت الجهات التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان أربعة، وهي قوله تعالى لنا في كتابه عن إبليس: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ [الأعراف/ ١٧]، وقام على كل جهة من هذه الجهات من يحفظ إيمانه منها؛ جعل الأوتاد أربعة للزومهم هذه الجهات، لكل وتد جهة، أي الغالب عليه حفظ تلك الجهة خاصة، وإن كان له حفظ لسائر الجهات؛ كـ «أفرضكم زيد، وأقضاكم علي»؛ وكالجماعة تحمل ما لا يقدر الواحد على حمله إذا انفرد به، فلكل واحد من الجماعة قوة في حمله، وأغلب قوته حمل ما يباشره من ذلك المحمول.

فلولا الجماعة ما انتقل هذا المحمول، لأن كل واحد لا يقدر على حمله، فبالمجموع كان الحمل (مدد هؤلاء الأوتاد من الأسماء الأربعة في الفاتحة، وهي: الرب الملك **الرحمن** الرحيم). **كذلك هذا الأمر. فهذه سبعة.**

وأما الأبدال فلهم حفظ السبع الصفات في تصريف صاحبها لها، إذ لها تصرف في الخير وتصرف في الشر، فتحفظ على صاحبها تصريف الخير، وتقيه من تصريفها في الشر (للأوتاد والأبدال الآيات الباقية من الفاتحة، أي من ﴿**رب العالمين الرحمن الرحيم ملك...**﴾ إلى ﴿**ولا الضالين. آمين**﴾. وحول الأوتاد والأبدال يُنظر في الفتوحات الأبواب ١٥ و١٦ وبداية الباب ٧٣).

فهذه جملة الأربعة عشر التي ذكرناها لقوم يعقلون من المؤمنين إذا أنصفوا (قول الشيخ «إذا أنصفوا» تلويح للحديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» ثم ذكر الفاتحة في الحديث المشهور السابق ذكره).

ومن حصل له حفظ ما ذكرناه فذلك المعصوم وتلك العصمة، ما ثم غير هذين في الظاهر والباطن، والله بكل شيء عليم.

وإذا علمت هذا وانفتح لك مقفله، مشيت لكل واحد من الذي عينا لك على ما له مما ذكرناه من الأسماء الإلهية، والحروف الرقمية المعينة، والأفهام الموروثة من النبيين المذكورين، والأرواح النورية؛ فيحصل لك - ذوقاً- جميعُ ما ذكرناه، وكشفاً لمعناه، فلا تغفل عن استعماله .

وفي هذا المنزل من العلوم:

- **علم الأذكار المقربة إلى اللهّ تعالى** (أي الفاتحة بالبسملة).

- **وعلم الأسماء الإلهية** (أي الأسماء التي ذكرها الشيخ سابقا، وفي مقدمتها الأكثر بروزا في الفاتحة، أي: الله، الرحمن، الرحيم، الرب، الملك، الفرد، الهادي، المنعم. وسنذكر لاحقا الأسماء الحسنى الاثني عشر القطبية في الفاتحة التي يستمد منها مفاتيح الكنوز الاثني عشر كما فصلها الشيخ في منزل سورة المائدة من الفتوحات).

- **وعلم اختصاص الرحمة وشمولها** (أي: اختصاصها بالسعداء من «الرحيم»، وشمولها من «الرحمن»).

- **وعلم الأسماء المركبة التي لله** (أي مثل: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، أو المضافة مثل: ﴿**رب العالمين**﴾ أو ﴿**ملك يوم الدين**﴾).

- **وعلم عواقب الأمور** (أي: ﴿**الحمد لله**﴾، أي الذي له عواقب الثناء: ﴿**وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**﴾) [يونس/ ١٠].

- **وعلم العالم** (أي: من ﴿**رب العالمين**﴾).

- **وعلم مراتب السيادة في العالم** (﴿**رب العالمين**﴾، والرب هو السيد).

- **وعلم الثناء بالثناء** (﴿**رب العالمين الرحمن الرحيم**﴾)

- **وعلم الملك والملكوت** (﴿**ملك يوم الدين**﴾).

- **وعلم الزمان** (أي اليوم من ﴿**يوم الدين**﴾)

- **وعلم الجزاء** (أي الدين من ﴿**يوم الدين**﴾).

- **وعلم الاستناد** (أي الكاف من ﴿**إياك**﴾).

- **وعلم التعاون** (أي﴿**إياك نستعين**﴾).

- **وعلم العبادة (أي ﴿إياك نعبد﴾).**
- **وعلم البيان والتبيين (أي من ﴿اهدنا﴾ إلى ﴿ولا الضالين﴾).**
- **وعلم طرق السعادة (أي ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾).**
- **وعلم النعمة والمنعم والإنعام (أي ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾).**
- **وعلم أسباب الطرد عن السعادة التي لا يشوبها شقاء (أي: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾).**
- **وعلم الحيرة والمتحير (أي: ﴿ولا الضالين﴾).**
- **وعلم السائل والمجيب (أب: «آمين»).**
- **وعلم التعريف بالذات والإضافة وأي التعريفين أقوى (أي: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم).**

هذه أمهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل (ذكر الشيخ هنا واحدا وعشرين علما على عدد الحروف المؤلفة للفاتحة السابق ذكرها، وهو أيضا عدد الحروف اللفظية في البسملة، **أي** باعتبار ألف المد في «الله» وفي «الرحمن»).

وكل علم منها فتفاصيله لا تنحصر إلا لله تعالى، أي يعلم مع علمه بها أنها لا تنحصر، لأنها لا نهاية لها (لأن كل العلوم متفرعة عن أمهات علوم الفاتحة أم الكتاب)؛ **ومنها تقع الزيادة في العلم لمن طلبها ومن أعطيها من غير طلب؛ وهو قوله: ﴿وقل رب زدني علما﴾** (هذه الآية ١١٤ من سورة «طه»، وعدد حروفها باعتبار تضعيف الباء هو ١٤ أي السبع المثاني، الذي هو أيضا عدد «طه» بحساب الجمل؛ ورقم هذه السورة نزولا من البقرة هو ١٩ عدد حروف البسملة. أما العدد ١١٤ فهو عدد سور القرآن، و: كذلك عدد الاسم «جامع» بحساب الجمل).

فإن تناهى العلم في نفسه ... فإنّه المعلوم لا ينتهي
وقد نهيت النفس عن قولها ... بالانتهاء فيه فلم تنته
لجهلها بالأمر في نفسه ... لذاك قالت إنه ينتهي
وقد رأينا نفراً منهم ... بمكة يجول في مهمه
قد حكمت أوهامهم فيهم ... فانحاز ذو اللب من الأبله

(قوله عن من رآه في مكة، سيعود إليه في آخر هذا الباب).

واعلم أن عالم الإنسان لما كان ملكاً لله تعالى، كان الحق تعالى ملكاً لهذا الملك بالتدبير فيه وبالتفصيل (لتفصيل هذا المعنى خصص الشيخ كتابا بديعا عنوانه «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية»، وأتم فصوله في كتابه الآخر «عنقاء مغرب»)؛ **ولهذا وصف نفسه تعالى بأن ﴿لله جنود السموات والأرض﴾** [الفتح/ ٤]؛ **وقال: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾** [المدثر/ ٣١]. **فهو تعالى حافظ هذه المدينة الإنسانية لكونها حضرته التي وسعته، وهي عين مملكته** (أي: لا وجود ولا قيام لمملكته في كل آن إلا به تعالى).

وما وصف نفسه بالجنود والقوة إلا وقد علم أنه تعالى قد سبقت مشيئته في خلقه أن يخلق له منازعاً ينازعه في حضرته، ويثور عليه في ملكه بنفوذ مشيئته فيه، وسابق علمه وكلمته التي لا تتبدل، سماه الحارث، وجعل له خيلاً ورجلاً، وسلطه على هذا الإنسان، فأجلب هذا العدو على هذا الملك الإنساني بخيله ورجله، ووعده بالغرور بسفراء خواطره التي تمشي بينه وبين الإنسان. فجعل الله في مقابلة أجناده أجناد ملائكته. فلما تراءى الجمعان، وهو في قلب جيشه، جعل له ميمنة وميسرة وتقدمة وساقة؛ وعرفنا الله بذلك لنأخذ حذرنا منه من هذه الجهات، فقال الله – تعالى- لنا أنه قال هذا العدو: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ [الأعراف/ ١٧]؛ **وهو في قلب جيشه في باطن الإنسان** (أي: صورة الإنسان الكامل مطابقة لسورة الفاتحة، وقلبه مطابق لقلبها، لأن في قلبه التحقق بقلب كل الأذكار وهو «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وقلب الفاتحة **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**. ويُنظر مثل هذا المعنى في الفتوحات في الباب ٤٧٥ وهو في معرفة حال قطب كان منزله «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»).

فحفظ الله هذا الملك الإنساني بأن كان الله في قلب هذا الجيش؛ وهذا العسكر الإنساني في مقابلة قلب جيش الشيطان. وجعل على ميمنته الاسم «الرب» (أي من آية الفاتحة: **﴿رب العالمين﴾**)، **وعلى ميسرته الاسم «الملك»** (أي من: **﴿ملك يوم الدين﴾**)، **وعلى تقدمته الاسم «الرحمن»، وفي ساقته الاسم «الرحيم»** (أي من الآية: **﴿الرحمن الرحيم﴾**). **وجعل**

الاسم «الهادي» (أي من الآية: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾) يمشي برسالة الاسم «الرحمن» الذي في المقدمة، إلى هذا الشيطان، وما هو شيطان الجان وإنما أعني به شيطان الإنس، فإن الله يقول: ﴿**شياطين الإنس والجن**﴾ [الأنعام/ ١١٢]. وتمامها هكذا: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)، وقال: ﴿**من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**﴾ [الناس/ ٤-٦]، فإن شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان وباطنه، وشياطين الجن هم نواب شياطين الإنس في بواطن الناس؛ وشياطين الجن هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الإنس ويدبرون دولتهم، فيفصلون لهم ما يظهرون فيها من الأحكام.

ولا يزال القتال يعمل على هذا الإنسان المؤمن خاصة، فيقاتل الله عنه ليحفظ عليه إيمانه؛ ويقاتل عليه إبليس ليرده إليه، ويسلب عنه الإيمان، ويخرجه عن طريق سعادته، حسداً منه؛ فإنه إذا أخرجه تبرأ منه، وجثا بين يدي ربه الذي هو مقدم صاحب الميمنة، ويجعله سفيراً بينه وبين الاسم «الرحمن»؛ وعرفنا الله بذلك كله لنعرف مكايده، فهو يقول للإنسان مما يزين له: «اكفر»، فإذا كفر يقول له: ﴿**إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها**﴾ [الحشر/ ١٦]، لأن الكفر هنا هو الشرك، وهو الظلم العظيم، ولذاك قال: ﴿**وذلك جزاء الظالمين**﴾ [الحشر/ ١٧]، يريد المشركين، فإنهم الذين لبسوا إيمانهم بظلم.

وفسره رسول الله ﷺ بما قاله لقمان لابنه: ﴿**يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم**﴾ [لقمان/ ١٣]، فعلمنا بهذا التفسير أن الله أراد بالإيمان هنا في قوله: ﴿**ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ [الأنعام/ ٨٢] أنه الإيمان بتوحيد الله، لأن الشرك لا يقابله إلا التوحيد. فعلم النبي ﷺ ما لم تعلمه الصحابة، ولهذا ترك التأويل من تركه من العلماء ولم يقل به، واعتمد على الظاهر، وترك ذلك لله إذ قال: ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله**﴾ [آل عمران/ ٧]. فمن أعلمه الله بما أراده في قوله علمه بإعلام الله، لا بنظره. ومن رحمة الله بخلقه أنه غفر للمتأولين من أهل ذلك اللسان العلماء به إذا أخطأوا في تأويلهم فيما تلفظ به رسولهم، إما فيما ترجمه عن الله، وإما فيما شرع له أن يشرعه قولاً وفعلاً.

وليس في المنازل الإلهية كلها على كثرتها، ما ذكرنا منها في هذا الكتاب وما لم نذكر، من يعطي الإنصاف، ويؤدي الحقوق، ولا يترك عليه حجة لله ولا لخلقه، فيوفي الربوبية حقها والعبودية حقها، وما ثَمَّ إلا عبد ورب، إلا هذا المنزل خاصة (أي لأن الفاتحة هي أم القرآن الجامعة لكل الحقائق، السورة المخصوصة بالإنسان المحمدي الكامل). **هكذا أعلمنا اللهّ بما ألهمه أهل طريق اللهّ، الذي جرت به العادة أن يعلم اللهّ منه ورثة أنبيائه. وهو منزل غريب عجيب، أوله يتضمن كله، وكله يتضمن جميع المنازل كلها** (أي أن البسملة منطوية على الفاتحة، والفاتحة تتضمن القرآن كله).

وما رأيت أحداً تحقق به سوى شخص واحد، مكمل في ولايته، لقيته بإشبيلية وصحبته وهو في هذا المنزل، وما زال عليه إلى أن مات - رحمه اللهّ-. وغير هذا الشخص فما رأيته (في الباب ١٧٨ من الفتوحات، وهو في معرفة مقام المحبة وأسرارها، تكلم الشيخ عن هذا الشخص فقال عنه:

وخدمت أنا بنفسي امرأة من المحبات العارفات بأشبيلية، يقال لها فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي؛ خدمتها سنين، وهي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس وتسعين سنة؛ وكنت أستحي أن أنظر إلى وجهها وهي في هذا السن، من حمرة خديها وحسن نعمتها وجمالها؛ تحسبها بنت أربع عشرة سنة من نعمتها ولطافتها. وكان لها حال مع الله. وكانت تؤثرني على كل من يخدمها من أمثالي، وتقول: «ما رأيت مثل فلان، إذا دخل علي دخل بكله لا يترك منه خارجاً عني شيئا، وإذا خرج من عندي خرج بكله لا يترك عندي منه شيئا». وسمعتها تقول: «عجبت لمن يقول أنه يحب الله ولا يفرح به، وهو مشهوده، عينه إليه ناظرة في كل عين، لا يغيب عنه طرفة عين، فهؤلاء البكاؤون كيف يدعون محبته ويبكون؟ أما يستحيون؟ إذا كان قربه مضاعفاً من قرب المتقربين إليه، والمحب أعظم الناس قربة إليه، فهو مشهوده، فعلى من يبكي؟ إن هذه لأعجوبة». ثم تقول لي: «يا ولدي ما تقول فيما أقول؟»، فأقول لها: «يا أمي القول قولك».

قالت: «إني والله متعجبة؛ لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تخدمني؛ فوالله ما شغلتني عنه». فذلك اليوم عرفت مقام هذه المرأة لما قالت

أن فاتحة الكتاب تخدمها. فبينا نحن قعود إذ دخلت امرأة فقالت لي: «يا أخي إن زوجي في شريش شذونة، أخبرت أنه يتزوج بها، فماذا ترى؟ قلت لها: «وتريدين إن يصل؟»، قالت: «نعم»؛ فرددت وجهي إلى العجوز وقلت لها: «يا أم ألا تسمعين ما تقول هذه المرأة؟ قالت: وما تريد يا ولدي؟ قلت: «قضاء حاجتها في هذا الوقت وحاجتي أن يأتي زوجها»؛ فقالت : «السمع والطاعة، إني أبعث إليه بفاتحة الكتاب وأوصيها أن تجيء بزوج هذه المرأة». وأنشأت فاتحة الكتاب فقرأتها وقرأت معها، فعلمت مقامها عند قراءتها الفاتحة: وذلك أنها تنشيها بقراءتها صورة مجسدة هوائية، فتبعثها عند ذلك. فلما أنشأتها صورة سمعتها تقول لها: «يا فاتحة الكتاب تروحي إلى شريش وتجيئي بزوج هذه المرأة ولا تتركيه حتى تجيئي به»؛ فلم يلبث إلا قدر مسافة الطريق من مجيئه، فوصل إلى أهله.

وكانت تضرب بالدف وتفرح؛ فكنت أقول لها في ذلك؛ فتقول لي: «إني أفرح به حيث اعتنى بي وجعلني من أوليائه، واصطنعني لنفسه، ومن أنا حتى يختارني هذا السيد على أبناء جنسي؟ وعزة صاحبي لقد يغار علي غيرة ما أصفها: ما التفت إلى شيء باعتماد عليه عن غفلة ألا أصابني ببلاء في ذلك الذي التفت إليه. ثم أرتني عجائب من ذلك.

فما زلت أخدمها بنفسي، وبنيت لها بيتاً من قصب بيدي على قدر قامتها، فما زالت فيه حتى درجت.

وكانت تقول لي : «أنا أمك الإلهية و «نور» («نور» هو اسم أم الشيخ) أمك الترابية». وإذا جاءت والدتي إلى زيارتها تقول لها: «يا نور هذا ولدي، وهو أبوك، فبريه ولا تعقيه». انتهى كلام الشيخ.

والملاحظ هنا أن اسم أبيها «ابن المثنى» مناسب لاسم الفاتحة «السبع المثاني»، واسم فاطمة يذكر باسم «فاطمة الزهراء عليها السلام» المكناة بأم أبيها ﷺ؛ كما أن الفاتحة أم الكتاب ؛ وفي هذا تلويح لعلاقة مخصوصة متميزة بين المرأة الكاملة سيدة نساء العالمين، وأم الكتاب الفاتحة التي مدارها على اثني عشر اسما من الأسماء الحسنى القطبية الفاتحة لكنوز المعارف القرآنية الفرقانية؛ وهي الممدة للرجال الذين سيأتي ذكرهم في الباب الموالي).

مع أني ما أعرف منزلاً ولا نحلة ولا ملة إلا رأيت قائلاً بها، ومعتقداً لها، ومتصفاً بها باعترافه من نفسه. فما أحكي مذهباً ولا نحلة إلا عن أهلها القائلين بها، وإن كنا قد علمناها من اللهّ بطريق خاص؛ ولكن لا بد أن يرينا اللهّ قائلاً بها، لنعلم فضل اللهّ عليّ وعنايته بي (كلام الشيخ هنا مناسب لما هو مجمل في الفاتحة المتعلق باختلاف طرق السعادة والشقاوة والمنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين).

حتى أني أعلمت أن في العالم من يقول بانتهاء علم اللهّ في خلقه، وأن الممكنات متناهية، وأن الأمر لابد أن يلحق بالعدم والدثور، ويبقى الحق حقاً لنفسه ولا عالم (هذا القول، رغم خطئه الواضح، مناسب لانتهاء سور القرآن عند الفاتحة، بالنسبة لمن يقرأه صعودا من سورة الناس، كما فعل الشيخ في منازل الفصل الرابع من الفتوحات).

فرأيت بمكة من يقول بهذا القول، وصرح لي به معتقداً له، من أهل السوس من بلاد الغرب الأقصى؛ حج معنا وخدمنا؛ وكان يصر على هذا المذهب، حتى صرح به عندنا، وما قدرت على رده عنه؛ ولا أدري بعد فراقه إيانا هل رجع عن ذلك أو مات عليه؟ وكان لديه علوم جمة وفضل، إلا أنه لم يكن له دين، وإنما كان يقيمه صورة عصمة لدمه؛ هذا قوله لي، ويعطيه مذهبه. وليس في مراتب الجهل أعظم من هذا الجهل (أتم الشيخ كلامه في هذا المنزل الجامع بذكر الجهل المناسب للضلال من كلمة «الضالين» آخر كلمة في الفاتحة. لكن الضلال بمفهومه العلوي لا الدوني، يشير إلى الحيرة العرفانية.

وفي جوابه عن السؤال ١٥٤ من أسئلة الحكيم الترمذي ، في الباب ٧٣ من الفتوحات ، وهو السؤال المتعلق بالفاتحة ، وضح كيف يمكن إعطاء معاني إيجابية لكلمات دلالاتها المألوفة سالبة ، ومنها كلمة الضلال، فقال : [فمن جمعية هذه الأمة أن جعل الله لأوليائها حظاً في نعوت أهل البعد عن الله بطريق القربة، فيقع الاشتراك في اللفظ والمعنى ويتغير المصرف؛ كما قلنا في الحرص إنه مذموم، فإذا حرصنا في طلب العلم والتقرب به إلى الله كان محموداً، وهو بإطلاق اللفظ مذموم ، فإنه ما يستعمل مطلقاً إلا في مذموم، فإذا أريد به الحمد قيد، فقيل:حريص على الخير. وهكذا الحسد يتعوذ منه مطلقاً من غير تقييد، فإنه بالإطلاق للذم، ويستعمل في المحمود بالتقييد. فلهذا جمع الله لأولياء هذه الأمة النظر في مثل هذا،

فحصلوا حظوظهم من أسماء الذم في الإطلاق حتى لا يفوتهم شيء، إذ كانوا الجامعين للمقامات كلها، فلهم في كل أمر شرب وحظ (...) ومنهم الضالون، وهم التائهون الحائرون في جلال الله وعظمته، كلما أرادوا ان يسكنوا فتح لهم من العلم به ما حيرهم وأقلقهم؛ فلا يزالون حيارى لا ينضبط لهم منه ما يسكنون عنده؛ بل عقولهم حائرة؛ فهؤلاء هم الضالون الذين حيرهم التجلي في الصور المختلفة].

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

انتهى الباب وشرحه.

والفقرة المناسبة لهذا الباب٣٨٣، في الباب ٥٥٩ من الفتوحات هي التالية:

ومن ذلك الحضرة الجامعة للأمور النافعة

قال: من سمى الحق ذكره (أي: بسم الله الرحمن الرحيم). **ومن شكره حمده، ومن أثنى عليه رحمه** (أي: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم). **ومن سلم إليه أمره مجده** (أي: إياك نعبد). **ومن استند إليه قبله** (أي: إياك نستعين). **ومن دعاه أجابه** (أي: اهدنا، إلى آخر السورة). **فكن مع الله كما هو معك.**

وقال: أنت المؤمن فأنت مرآته (أي لأن من أسماء الحق تعالى: المؤمن). **لذلك أنت الجامع لظهور صورته بك له.**

وقال: إذا ناجيت ربك فلا تناجيه إلا بكلامه؛ واحذر أن تخترع كلاماً من عندك فتناجيه به، فإنه لا يسمعه منك ولا تسمع له إجابة؛ فتحفظ فإن ذلك مزلة قدم.

وقال: كن تالياً لا تكن مقدماً، فإن قدمك الحق تقدم كالسابق والمصلي (السابق في حلبة سباق الخيل هو الأول، والثاني يسمى المصلي). **يقول النبي ﷺ في الإمامة: «إن أعطيتها أعنت عليها وإن سألتها وُكِّلْتَ إليها. فلا تسأل الإمارة فإنها يوم القيامة حسرة وندامة».**

الباب السابع

الأسماء الحسنى الاثنا عشر في كنز الفاتحة ورجالها مفاتيح الكنوز من وتر رسول الله ﷺ من الفتوحات المكية

الفتوحات المكية: من الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة في معرفة منزل الحل والعقد والإكرام والإهانة، ونشأة الدعاء في صورة الأخبار، وهو منزل محمدي.

هذا الباب هو منزل سورة المائدة؛ وفيه تكلم الشيخ عن الرجال مفاتيح الكنوز الاثني عشر. وبالتأمل في أسمائهم يتبين أن مددهم من الأسماء الحسنى القطبية التي عليها مدار الفاتحة المنزلة من كنز محمدي تحت العرش. وسميت الفاتحة بالصلاة في الحديث الصحيح السابق ذكره، ولهذا قرن الشيخ هؤلاء المفاتيح بصلاة وتر رسول الله ﷺ. ويبدو أن مرجع كلامه هذا هو الآية ١٢ من المائدة، وهي قوله - تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ**﴾ الآية. وللشيخ رسالة نفيسة في التعريف بالنقباء وأذكارهم، وهم من الدوائر العليا للولاية.

من جانب آخر، لهؤلاء الرجال مفاتيح كنوز الفاتحة المحمديين تناسب مع الأقطاب الاثني الذين يدور بهم فلك العالم حسب تعبير الشيخ؛ وقد خصص للتعريف بهم الباب ٤٦٣ من الفتوحات، وفي ما يلي نلخص ما ذكره عنهم في بداية هذا الباب الذي افتتحه بقوله:

منتهى الأسماء في العدد ... لاثنتي عشر مع العقد
فبهم حفظ الوجود وما ... في وجود الحق من عدد
وهو المنعوت بالعدد ... وهو المنعوت بالأحد

ظهرت أحكام نشأتهم ... في التي قامت بلا عمد
تم في الأركان حكمهم ... وفي أب منها وفي ولد

فأقطاب هذه الأمة اثنا عشر قطباً، عليهم مدار هذه الأمة؛ كما أن مدار العالم الجسميّ والجسمانيّ في الدنيا والآخرة على اثني عشر برجاً، قد وكلهم الله بظهور ما يكون في الدارين من الكون والفساد المعتاد وغير المعتاد (...) فأما الأقطاب الاثنا عشر فهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام. فالواحد منهم على قلب، وإن شئت قلت على قدم – وهو أولى فإني هكذا رأيته في الكشف بإشبيلية، وهو أعظم في الأدب مع الرسل، والأدب مقامنا، وهو الذي أرتضيه لنفسي ولعباد الله–.

فنقول أن الأوّل – أعني واحداً– منهم على قدم نوح عليه السلام، والثاني على قدم إبراهيم الخليل عليه السلام، والثالث على قدم موسى عليه السلام، والرابع على قدم عيسى عليه السلام، والخامس على قدم داود عليه السلام، والسادس على قدم سليمان عليه السلام، والسابع على قدم أيوب عليه السلام، والثامن على قدم إلياس عليه السلام، والتاسع على قدم لوط عليه السلام، والعاشر على قدم هود عليه السلام، والحادي عشر على قدم صالح عليه السلام، والثاني عشر على قدم شعيب عليه السلام (...).

واعلم أن كل قطب من هؤلاء الأقطاب له لبث في العالم، أعني دعوتهم فيمن بعث إليهم، آجال مخصوصة مسماة تنتهي إليها، ثم تنسخ بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع. وأعني بدعوتهم ما لهم من الحكم والتأثير في العالم (ثم فصل الشيخ أعمار ولايتهم). (...). وهجيرهم (أي ذكرهم الدائم الملازمين له) واحد وهو: «الله الله»، بسكون الهاء وتحقيق الهمزة، ما لهم هجير سواه (...).

فالواحد له سورة يس، والثاني سورة الإخلاص، والثالث سورة إذا جاء نصر الله، والرابع سورة الكافرون، والخامس سورة إذا زلزلت، والسادس سورة البقرة، والسابع سورة المجادلة، والثامن سورة آل عمران، والتاسع سورة الكهف، وهو الذي يقتله الدجال ويدرك عيسى عليه السلام، والعاشر سورة الأنعام، والحادي عشر سورة طه، وهذا القطب هو نائب الحق تعالى كما كان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

نائب محمد ﷺ في تلاوة سورة براءة على أهل مكة، وقد كان بعث بها أبا بكر (رضي الله عنه) ثم رجع عن ذلك فقال: «لا يبلغ عني القرآن إلا رجل من أهل بيتي»، فدعا بعلي (كرم الله وجهه) فأمره، فلحق أبا بكر، فلما وصل إلى مكة حج أبو بكر بالناس، وبلغ عليّ إلى الناس سورة براءة وتلاها عليهم نيابة عن رسول الله ﷺ؛ وهذا مما يدلك على صحة خلافة أبي بكر الصديق ومنزلة علي رضي الله عنهما. والثاني عشر سورة تبارك الملك. فهذه سور الأقطاب من القرآن. إلا أن صاحب سورة المجادلة التي هي: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**﴾ إنما هو سورته الواقعة وله تولع بهذه السورة، وكذلك الذي له سورة الإخلاص]. انتهى كلام الشيخ.

ومن الممكن أن يكون لهؤلاء الأقطاب ولمفاتيح الكنوز نوع من التناسب مع الاثني عشر نبيا الذين ورد خبر نبوي في شأنهم، أورده الحكيم الترمذي في السؤال ١٤٤ (أي الحاصل من ضرب الاثني عشرة في نفسها) من أسئلته في كتابه «خاتم الأولياء»، وأجاب عنها الشيخ الأكبر في الباب ٧٣ من الفتوحات، حيث يقول مستعملا أسلوب التلويح والإشارة:

[السؤال الرابع والأربعون ومائة: «ليتمنين اثنا عشر نبياً أن يكونوا من أمتي»؟

الجواب:

لما كانت أمته خير الأمم، وعندها زيادة على أنبياء الأمم باتباعهم سنن هدى رسول الله ﷺ ، فإنهم ما اتبعوه لأنهم تقدموه. وليس خيرا من كل أمة إلا نبيها، ونحن خير الأمم، فنحن والأنبياء في هذه الخيرية في سلك واحد منخرطون؛ لأنه ما ثم مرتبة بين النبي وأمته؛ ومحمد خير من أمته، كما كان كل نبي خيراً من أمته، فهو ﷺ خير الأنبياء.

فهؤلاء الاثنا عشر نبيا ولدوا ليلاً، وصاموا إلى أن ماتوا وما أفطروا نهارا، مع طول أعمارهم، سؤالاً ورغبة ورجاء أن يكونوا من أمة محمد ﷺ؛ فلهم ما تمنوا، وهم مع من أحبوه يوم القيامة. فيأتي النبي يوم القيامة وفي أمته النبي والاثنان والثلاثة، ويأتي محمد ﷺ وفي أمته أنبياء أتباع، وأنبياء التباع، وأنبياء ما هم أنبياء أتباع (يعني: أنبياء

لهم أتباع من أممهم كهؤلاء الذين تمنوا وعملوا ليكونوا من أمته ﷺ ؛ وأنبياء التباع، أي كعيسى – عليه السلام – عندما ينزل في آخر الزمان تابعا للشريعة المحمدية؛ وأنبياء ما هم أنبياء أتباع، أي أهل مقام القربة كالخضر الذي ليس له أتباع، وهو اليوم تابع للشرع المحمدي، مع كونه كان على شريعة أخرى قبل البعثة المحمدية. وهذا كله لأنها ناسخة للشرائع الأخرى).

فيتبع محمد ﷺ ثلاثة أصناف من الأنبياء. وهذه مسألة أعرض عن ذكرها أصحابنا، لما فيها مما يتطرق إلى الأوهام الضعيفة من الإشكال.

وجعلهم الله اثني عشر، كما جعل الفلك الأقصى اثني عشر برجاً، كل برج منها طالع نبي من هؤلاء الاثني عشر، لتكون جميع المراتب تتمنى أن تكون من أمة محمد ﷺ من الاسم الظاهر، ليجمعوا بينه وبين ما حصل لهم من اسمه الباطن؛ إذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه – عليه السلام – من اسمه الباطن، إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين. فقال تعالى له: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام/ ٩٠]، وما قال: «بهم»، إذ كان هداهم هداك الذي سرى إليهم في الباطن من حقيقتك. فمعناه من حيث العلم: إذا اهتديت بهداهم فهو اهتداؤك بهديك، لأن الأولية لك باطناً، والآخرية لك ظاهراً، والأولية لك في الآخرية ظاهراً وباطناً] انتهى .

من جانب آخر، ثمة علاقة متميزة بين الفاتحة وبعض السور الأخرى، منها السور المفتتحة بالحمد، وهي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، وهي منازل المدح كما سماها الشيخ في الباب ٢٢ في معرفة منزل المنازل؛ ومنها بالخصوص سورة «يس» قلب القرآن (منزلها في الفتوحات الباب٣٤٨)؛ وسورة الفتح (الباب٣٣٦)؛ وسورة «طه» (الباب٣٦٤)؛ ومنزل سورة النور (الباب ٣٦٠) الذي فصل الشيخ فيه بعض حقائق الإنسان الكامل مبينا ما يناسبها في المقولات الجامعة المعروفة عند الحكماء، فجعل لكل مقولة نيابة مخصوصة ينوبها الإنسان الكامل عن الحق تعالى؛ وأيضا منزل سورة «المؤمنون» (الباب٣٦١) الذي بين فيه أثر كل برج من البروج الاثني عشر في الإنسان المؤمن الكامل.

مفاتيح كنوز الفاتحة الاثني عشر

استفتح الشيخ الباب ٣٧٩ المذكور آنفا، المتعلق بسورة المائدة، بقوله مشيرا إلى مائدة المعارف القرآنية:

صحاف من اللجين ... ومن جوهر وعين
أتتنا بها كرام ... عليها ستور صون
فلما بدت إلينا ... أكلنا من كل لون
فمنها علوم نعت ... ومنها علوم كون
ومنها علوم حال ... ومنها علوم عين
فمن قائل بوصل ... ومن قائل ببين
فسبحان من تعالى ... بتشبيه كل عين
فما كونه سواه ... وما كونه بكوني

اعلم أن الاثني عشر منتهى البسائط من الأعداد: أصابع وعقد؛ فالأصابع منها تسعة والعقد ثلاثة، فالمجموع اثنا عشر. ولكل واحد من هؤلاء الاثني عشر حكم ليس للآخر، ومشهد إلهي لا يكون لسواه. ولكل واحد من هذا العدد رجل من عباد الله له حكم ذلك العدد.

فالواحد منهم ليس من العدد. ولهذا كان وتر رسول الله ﷺ إحدى عشرة ركعة، لأن الواحد ليس من العدد. ولو كان الواحد من العدد ما صحت الوترية جملة واحدة، لا في العدد ولا في المعدود. فكان وتر رسول الله ﷺ إحدى عشرة ركعة، كل ركعة منها نشأة رجل من أمته يكون قلب ذلك الرجل على صورة قلب النبي ﷺ في تلك الركعة. وأما الثاني عشر فهو الجامع للأحد عشر.

والرجل الذي له مقام الاثني عشر حق كله في الظاهر والباطن، يعلم ولا يعلم، وهو الواحد الأول. فإن أوّل العدد من الاثنين، فإذا انتهيت إلى الاثني عشر فإنما هي نهايتك إلى أحد عشر من العدد؛ فإن الواحد الأول ليس منه. ولا يصح وجود الاثني عشر إلا بالواحد الأوّل، مع كونه ليس من العدد، وله هذا الحكم؛ فهو في الاثني عشر لا هو، كما تقول: «أنت لا أنت».

وهؤلاء الاثني عشر هم الذين يستخرجون كنوز المعارف التي اكتنزت في صور العالم (بدأ الشيخ هنا تلويحاته إلى كنوز سور القرآن). **فللعالم الصور من العالم** (أي للعلماء بالله تعالى علم صور العالم من علمهم بسور القرآن)، **ولهؤلاء علم ما تحوي عليه هذه الصور، وهو الكنز الذي فيها** (إشارة إلى كنز الفاتحة)، **فيستخرجونه بالواحد الأوّل. فهو أعلم الناس بالتوحيد والعبادة. ولهم المناجاة الدائمة مع اللّه الذاتية المستصحبة استصحاب الواحد للأعداد، مثل قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾** [الحديد/ ٤]، **أي: ليس لكم وجود معين دون الواحد. فبالواحد تظهر أعيان الأعداد؛ فهو مظهرها ومفنيها؛ فالألف نعته، إذ بالألف وقعت ألفة الواحد بمراتب العدد لظهوره، فهو الأوّل والآخر.**

وإذا ضربت الواحد في نفسه لم يظهر في الخارج بعد الضرب سوى نفسه؛ وفي أي شيء ضربت الواحد لم يتضاعف ذلك الشيء ولا زاد؛ فإن الواحد الذي ضربته في تلك الكثرة إنما ضربته في أحديتها، فلهذا لم يظهر فيها زيادة، فإن الواحد لا يقبل الزائد في نفسه ولا فيما ضرب فيه فلا يتضاعف، فهو واحد حيث كان. فتقول: واحد في مائة ألف بمائة ألف، وواحد في اثنين باثنين، وواحد في عشرة بعشرة، لا يزيد منه في العدد المضروب شيء أصلاً؛ لأن مقام الواحد يتعالى أن يحل في شيء، أو يحل فيه شيء. وسواء كان من العدد الصحيح أو المكسور لا فرق، فهو، أعني الواحد، يترك الحقائق على ما هي عليه لا تتغير عن ذاتها، إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه، وتغير الحق في نفسه وتغير الحقائق محال، ولم يكن يثبت علم أصلاً لا حقاً ولا خلقاً. فثبت أن الحقائق لا تنقلب أصلاً، وبهذا يعتمد على ما يعتمد عليه، وهو المسمى علماً.

فلنذكر كل رجل من هؤلاء الأحد عشر الذين انتشؤوا من وتر رسول اللّه ﷺ، بل هذه الصور ربما جعلت رسول اللّه ﷺ يوتر بإحدى عشرة ركعة في الصورة الظاهرة، وهذه الصور منه - صلى اللّه عليه وسلم - في الباطن، فإنه كان نبياً وآدم بين الماء والطين (في كتاب «الإسراء» ذكر الشيخ علاقة هذه المرتبة المحمدية بالفاتحة، فقال في باب مناجاة أسرار مبادئ السور: وليس لهم - أي الرسل عليهم السلام - في الفاتحة نصيب ولا رموا فيها بسهم مصيب، فاختص بها محمد - عليه السلام - على الرسل الكرام، فهي قوله (لمّا سئل): متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الماء والطين، فكان مفتاح النبيين)

فأنشأها لما كانت هذه صفته، فلما ﷺ بجسده استصحبته تلك الصور المعنوية، فأقامت جسده ليلاً، لمناسبة الغيب، فحكمت على ظاهره بإحدى عشرة ركعة كان يوتر بها، فكانت وتره. فهي الحاكمة لمحكومة له، فمنه ﷺ انتشؤوا، وفيه ﷺ ظهروا وعليه حكموا بوجهين مختلفين (هذا المعنى شبيه بقوله ﷺ عن حفيده الحسين - عليه السلام -: « حسين مني وأنا من حسين»).

فمن ذلك صورة الركعة الأولى:

(عبد الكبير: مناسب لافتتاح الصلاة بالفاتحة: الله أكبر. بسم الله)

انتشأ منها رجل من رجال اللهّ يدعي بـ «عبد الكبير»، من حيث الصفة، لا أنه اسم له. وهو نشأة روحانية معقولة، إذا تجسدت كانت في صورة إنسان، صفته ما يدعي به. وهكذا هي كل صورة من صور هؤلاء الاثني عشر.

واعلم أن المفاضلة في الأسماء الإلهية مثل «أعلى» و «أجل» في قول رسول اللهّ ﷺ حين قال المشركون في رجزهم: «أُعْلُ هُبَل، أعل هبل»، فقال رسول اللهّ ﷺ : قولوا؛ فقالوا: يا رسول اللهّ وما نقول؟ قال: قولوا «اللهّ أعلى وأجل». وهم يسلمون هذا القدر، فإنهم القائلون: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللهّ زلفى**﴾ [الزمر/ ٣]، فهو عندهم أعلى وأجل. فلو صدقوا رسول اللهّ ﷺ في أنه رسول من عند اللهّ الذي يطلبون التقرب إليه بعبادة هؤلاء الآلهة، فما سموهم آلهة إلا لكونهم جعلوهم معبودين لهم؛ لأن الإله هو المعبود، والآلاهة (هي) العبادة. وقد قرئ : «ويذرك وإلاهاتك» أي وعبادتك. وإذا قال: «وآلهاتك» يقول: «والمعبودين الذين نعبد».

فلما نسبوا الألوهية لهؤلاء الذين عبدوهم، ونسبتها إلى اللهّ أتم وأعظم عندهم باعترافهم، لذلك قال رسول اللهّ ﷺ ببنية المفاضلة في ذلك؛ يقول لهم أي: «هذا قولكم واعتقادكم». ولهذا جاء في التكبير في الصلاة لفظة «الله أكبر» ببنية المفاضلة، لا أن الحجارة أفضل، ولا ما نحتوه، ولا ما نسبوا إليه الألوهية من كوكب وغيره، وإنما وقعت المفاضلة في المناسبة لا في الأعيان؛ لأنه لا مفاضلة في الأعيان؛ لأنه ليس بين العبد والسيد،

ولا الرب والمربوب، ولا الخالق ولا المخلوق مفاضلة. فإن تحققت ما أو أومأنا إليه في نشء هذه الصورة، علمت مآل المشرك بعد المؤاخذة .

نشء صورة الركعة الثانية من الوتر

(عبد المجيب من « آمين » بعد الفاتحة)

انتشأ منها رجل من رجال اللهّ تعالى يقال له «عبد المجيب».

واعلم أن الإجابة فرع عن السؤال. فهذا عبد مؤثر بسؤاله ودعائه في سيده، مؤثر فيه الإجابة لعبده. فإن اللهّ قد أثبت لنفسه -عز وجل- على لسان رسول اللهّ ﷺ أن العبد يرضي اللهّ فيرضى، ويغضب اللهّ فيغضب، ويسخط اللهّ فيسخط، ويضحك اللهّ فيضحك، وما أشبه ذلك مما ورد في الكتاب والسنة. والحق تعالى يؤثر في العبد السؤال ليجيب، والفعل المسخط للحق ليسخط ؛ وذلك ليلعم أن الأمر دوري كروي؛ وأن منتهى الدائرة يرجع لنقطة ابتدائها، فينعطف الآخر على الأول ليكون هو الأول والآخر. فما أرضاه إلا هو، ولا أسخطه إلا هو، لأنه يتعالى أن يكون مؤثر لغيره. فافهم. وليس للهّ حكم في العالم إلا ما ذكرناه.

ألا تراه يقول: ﴿**سنفرغ لكم أيها الثقلان**﴾ [الرحمن/ ٣١]، ولا شغل له إلا بنا، فمنا يفرغ لنا؛ فلو زلنا لكان ولم يكن، وجوداً وتقديراً. ولا يعقل الأمر إلا هكذا، ولبطلت الإضافات، ولا تبطل لأنها لنفسها هي إضافات. فلا يعقل الرب إلا مضافاً، ولذلك ما جاء في القرآن قط مطلقاً من غير إضافة، وإن اختلفت إضافاته، فتارة يضاف إلى أسماء الضمائر، وتارة يضاف إلى الأعيان، وتارة يضاف إلى الأحوال. وإن لم تعقل معرفتك بربك هكذا وإلا فما عرفت ربك أصلاً؛ وإنما عرفت بالتقسيم العقلي أن حكم الواجب الوجود لذاته أن يكون كذا. وهل ثم واجب وجود لذاته أم لا؟ لا تعرفه إلا بك، وما لم تعرفه إلا بك فلا بدّ أن يكون العلم به موقوفاً على علمك بك. فوجودك موقوف على وجوده، والعلم بربوبيته عليك موقوف على العلم بك. فله الأصل في الوجود، ولك حكم الفرع في الوجود. وأنت الأصل في العلم به، وله حكم الفرع في العلم.

نشء صورة الركعة الثالثة من الوتر

(عبد الحميد : من الآية ﴿**الحمد لله**﴾)

انتشأ منها رجل من رجال اللهّ يدعي «عبد الحميد».

اعلم أن الثناء على اللهّ على نوعين: مطلق ومقيد؛ فالمطلق لا يكون إلا مع العجز، مثل قوله- ﷺ : «لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»؛ قال قائلهم

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني

ولا يمكن أن يحيط مخلوق بما يجب للهّ تعالى من الثناء عليه، لأنه لا يمكن أن يدخل في الوجود جميع الممكنات، ولكل ممكن وجه خاص إلى اللهّ، منه يوجده اللهّ، ومنه يعرفه ذلك الممكن، ومنه يثني عليه الثناء الذي لا يعرفه إلا صاحب ذلك الوجه، لا يمكن أن يعلمه غيره، ولا يدل عليه بلفظ ولا إشارة. فهذا مطلق الثناء على اللهّ بكل لسان مما كان ويكون.

ولهذا ثواب قول القائل: «سبحان اللهّ عدد خلقه» لا يتصور وقوعه في الوجود، لكن لا يزال يوجد ثوابه حالاً بعد حال على الدوام إلى ما لا يتناهى. ولهذا أيضاً جاء به الشرع مثلثاً، أن يقول العبد ذلك ثلاث مرات، ليحصل بذلك الثواب المحسوس، والثواب المتخيل، والثواب المعنوي. فينعم حساً وخيالاً وعقلاً، كما يذكر حساً وخيالاً وعقلاً، كما يعبد حساً وخيالاً وعقلاً. وكذلك ذكر العبد «مداد الكلمات الإلهية»، وكذلك «زنة عرشه» إذا كان العرش العالم كله بتجدده، وكذلك «رضى نفسه» فيما يفعله أهل الجنة وأهل النار، فإنهم ما يفعلون ولا يتصرفون إلا في المراضي الإلهية، لأن الموطن يعطيهم ذلك، بخلاف موطن الدنيا والتكليف، فإنهم يتصرفون في موطن الدنيا بما يرضي اللهّ وبما يسخطه. وإنما كان ذلك لكون النار جعلها اللهّ دار من سخط عليه، فلا بد أن يتحرك أهلها فيما يسخط اللهّ في دار الدنيا، فإذا سكنوا دار النار وعمروها لا يمكن أن يتحركوا إلا في مرضاة اللهّ؛ ولهذا يكون المآل لأهلها إلى حكم الرحمة التي وسعت كل شيء، وإن كانت دار شقاء؛ كما يقول في الرسول الذي انتهت رسالته وفرغ منها وانقلب إلى اللهّ إنه رسول اللهّ، وإن كان في ذلك الحال ليس برسول؛ كذلك نقول في دار الشقاء إنها دار شقاء وإن كان أهلها فيها قد زال عنهم حكم الشقاء.

وأما الثناء المقيد: فالحكماء يقيدونه بصفة التنزيه لا غير؛ وإن أثنوا عليه بصفة الفعل فبحكم الكل أو الأصالة، لا بحكم الشخص. وما عدا الحكماء فيقيدون الثناء على اللهّ بصفة الفعل وصفة التنزيه معاً؛ وهؤلاء هم الكمل، لأنهم شاركوا الحكماء فيما علموا، وزادوا عليهم بما جهله الحكماء ولم يعلموه لقصور هممهم، للشبهة التي قامت لهم وحكمت عليهم بأنه تعالى ما صدر عنه إلا الواحد، المشار إليه فقط ؛ وبأنه تعالى لا يجوز عليه ما نعت به نفسه في كتابه؛ إذ لم يثبت عندهم في نظرهم كتاب منزل ولا شخص مرسل على الوجه الذي هو الأمر في نفسه، وعند أهل الكشف والإيمان انصرف وبعض عقول النظار، مثل المتكلمين وغيرهم ممن يقول بذلك من جهة النظر العقلي.

وقد سرى في العالم كله حكم صور هذه الركعات الوترية النبوية من وقت كونه نبياً ﷺ وآدم بين الماء والطين إلى يوم القيامة (ذكر الشيخ هذا هنا للعلاقة المباشرة بين هذه الصور ورجالها وبين المقام الأحمدي المستمد من اسمه تعالى «الحميد»).

نشء صورة الركعة الرابعة من الوتر

(عبد الرحمن: من الآية ﴿**الرحمن الرحيم**﴾)

انتشأ منها رجل من رجال اللهّ يدعى «عبد الرحمن».

اعلم أن الرحمة الإلهية التي أوجد اللهّ في عباده ليتراحموا بها، مخلوقة من الرحمة الذاتية التي أوجد اللهّ بها العالم حين أحب أن يعرف، وبها كتب على نفسه الرحمة. وهذه الرحمة المكتوبة منفعلة عن الرحمة الذاتية؛ والرحمة الامتنانية هي التي وسعت كل شيء. فرحمة الشيء نفسه تمدها الرحمة الذاتية، وتنظر إليها، وفيها يقع الشهود من كل رحيم بنفسه؛ فإن اللهّ قد وصف نفسه بالحب وشدة الشوق إلى لقاء أحبابه، فما لقيهم إلا بحكم هذه الرحمة التي يشهدها صاحب هذه الرحمة، هي الرحمة التي كتبها على نفسه، لا مشهد لها في الرحمة الذاتية ولا الامتنانية.

وأما رحمة الراحم بمن أساء إليه، وما يقتضيه شمول الإنعام الإلهي والاتساع الجودي، فلا مشهد لها إلا رحمة الامتنان، وهي الرحمة التي يترجاها إبليس فمن دونه. لا مشهد لهؤلاء في الرحمة المكتوبة، ولا في الرحمة الذاتية. وبهذا كان «اللهّ» و «الرحمن»، دون غير «الرحمن» من

الأسماء، له الأسماء الحسنى. فجميع الأسماء دلائل على الاسم «الرحمن» وعلى اسم «اللهّ»، ولكن أكثر الناس لا يشعرون.

وما رأيت أحداً من أهل اللهّ نبه على تثليث الرحمة بهذا التقسيم، فإنه تقسيم غريب كما هو في نفس الأمر؛ فما علمناه إلا من الكشف. وما أدري لماذا ترك التعبير عنه أصحابنا مع ظني بأن اللهّ قد كشف لهم عن هذا؟ وأما النبوات فقد علمت أنهم وقفوا على ذلك وقوف عين، ومن نور مشكاتهم عرفناه، لأن اللهّ رزقنا الاتباع الإلهي والاتباع النبوي. فأما الاتباع الإلهي فهو قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ [الحديد/ ٤]. فاللهّ في هذه المعية يتبع العبد حيث كان؛ فنحن أيضاً نتبعه تعالى حيث ظهر بالحكم؛ فنحن وقوف حتى يظهر بأمر، يعطى ذلك الأمر حكماً خاصاً في الوجود فنتبعه فيه؛ ولا نظهر في العامة بخلافه، كسكوتنا عن التعريف به أنه هو إذا تجلى في صورة ينكر فيها، مع معرفتنا به، فهو المقدم بالتجلي وحكم الإنكار، فنحن نتبعه بالسكوت، وإن لم ننكر ولا نقر. فهذا هو الاتباع الإلهي.

وأما الاتباع النبوي الذي رزقنا اللهّ، فهو قوله: ﴿**لقد كان لكم في رسول اللهّ أسوة حسنة**﴾ [الأحزاب/ ٢١]؛ ثم إنه اتبعنا وتأسى بنا في صلاته إذا صلى بالجماعة، فيكون فيها الضعيف والمريض وذوا الحاجة فيصلي بصلاتهم، فهو ﷺ المتبع والمتبع اسم مفعول واسم فاعل. ثم أمرنا أن نصلي إذا كنا أئمة بصلاة الأضعف،

فاتبعنا الرحمن بما ذكرناه؛ فنحن التابعون. واتبعنا الرحمن بما تعطيه حقائقنا من الاحتياج والفاقة، فيمشي بما نحن عليه، فنحن المتبوعون. فأنظر ماذا تعطي حقائق السيادة في العبيد، وحقائق العبادة والعبودية في السيادة.

فهذا الرجل هذه صفته في العالم. وبهذه الركعة الرابعة ظهرت أحكام الأسماء الأربعة الإلهية (أي: الحي العليم المريد القدير)، وأحكام الطبيعة في النشأة الطبيعية (أي: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة)، وأحكام العناصر في المولدات الثلاثة التي لها هذه الرحمات الثلاثة (أي: المعدن والنبات والحيوان) وأحكام الأخلاط في النشأة الحيوانية (أي: الصفراء والدم والبلغم والسوداء).

فلهذا الرجل المهيمنية على هذه كلها (وهذا يعني أن الأول من هؤلاء الرجال المفاتيح له المهيمنية على الأوليات الوجودية كلها، وللثاني الثنائيات والزوجيات، وللثالث المثلثات، وللخامس الخماسيات، وهكذا بالنسبة للباقين... وللعاشر المعشرات والعقود الوجودية، وللحادي عشر مراتب المئات، وللثاني عشر الاثناعشريات ومراتب الآلاف وفي مجموعهم اجتمعت الكليات الوجودية بأسرها).

نشء صورة الركعة الخامسة من الوتر

(عبد المعطي من الآية: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾)

انتشأ رجل منها رجل من رجال الله يقال له عبد المعطي.

فتارة يكون عطاؤه وهبا، فيكون المعطي عبد الوهاب؛ وتارة يكون عطاؤه إنعاما، فيكون عبد المنعم؛ وتارة يكون عطاؤه كرما، فيكون المعطي عبد الكريم؛ وتارة يكون عطاؤه جودا، فيكون المعطي عبد الجواد؛ وتارة يكون عطاؤه سخاء، فيكون المعطي عبد المقيت و عبد السخي؛ وتارة يكون عطاؤه إيثارا، فيكون المعطي عبد الغني؛ وهذا العطاء أغمض الإعطاءات وأصعبها تصورا، بل يمنعها الجميع إلا نحن؛ وما رأينا أحدا أثبت هذا العطاء في الإلهيات؛ وما يثبته إلا من علم معنى اسمه «الغني» - تعالى-؛ وذلك أنه قد ثبت في الصحيح أن العبد يصل إلى مقام يكون الحق من حيث هويته جميع قواه، في قوله: «كنت سمعه وبصره ويده» وغير ذلك من أعضائه وقواه، الحديث. وهو سبحانه الغني لذاته الغنى الذي لا يمكن إزالته عنه. فإذا قام العبد في هذا المقام، فقد أعطاه صفة الغنى عنه وعن كل شيء، لأن هويته هي أعيان قوى هذا العبد. وليس ذلك في تقاسيم العطاء إلا للإيثار؛ فقد آثر عبده بما هو لهويته؛ قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر/ ٩]، بل بهم خصاصة. ولما كان عطاء الإيثار فضلا يرجع على المعطي، كان الحق أولى بصفة الفضل. فعطاء الإيثار أحق في حق الحق، وأتم في حق العبد. وهذا من علوم الأسرار، التي لا يمكن بسط التعريف فيها إلا بالإيماء لأهلها؛ أشجعهم للعمل عليها، فإنهم في غاية من الخوف لقبولها، فكيف للاتصاف بها. وباقي الأسماء هينة الخطب.

نشء صورة الركعة السادسة من الوتر

(عبد المؤمن من الآية: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾)

انتشا منها رجل من رجال الله يقال له عبد المؤمن.

اعلم أن الإيمان إذا كان نعتا إلهيا، فهو ما يظهر من الدلالات كلها على وجه صحة ما يدعيه المدعي، أي مدع كان على ما كان، من غير تعيين، بشرط أن يكون دليلا في نفس الأمر، كما يشهد له الحس، إن كان الدليل محسوسا؛ حتى لو أعطى العلم الضروري بصدق هذه الدعوى في نفس الحاكم، لكان ذلك العلم الضروري عين الدليل على صدق دعوى هذا المدعي. فناصب هذه الدلالات هو المصدق لصاحب هذه الدعوى؛ فإذا صدقه من صدقه، وحصل العلم بذلك في نفس من حصل عنده، كان ذلك لشخص الحاصل عنده هذا الدليل مصدقا صاحب هذه الدعوى؛ و عاد التصديق كونيا، أي في الخلق، كما هو في الحق. فكان صاحب الدعوى بين مصدقين محصورا، من أي جهة التفت لم يجد إلا مصدقا بما جاء به في دعواه. فأعطاه هذا الحال الأمان في نفسه من تكذيبه من هذين الطرفين ولو جحد الكون؛ فإنه متيقن في نفسه صدق هذا المدعي؛ وليس المراد إلا ذلك؛ أعني حصول العلم بصدقه. فبصورة هذه الركعة سرى التصديق في عالم الإنس و الجان، في بواطنهم، و ذلك حين وقعت منه هذه الركعة في باطن الأمر، إذ كان نبيا و آدم بين الماء والطين. فلم يزل تسري روحا مجردا في كل مصدق، حتى ركعها ﷺ بصورة جسمه، فتجسدت. وليس ذلك الروح من فعله صورة جسدية، لأنها من حركات محسوسة؛ فكان فعلها أقوى عندنا للجمع بين الصورتين، كما كان تأثيره ﷺ بظهور جسمه أقوى في بعثه منه إذ كان نبيا و آدم بين الماء والطين؛ فإنه نسخ بصورة بعثته جميع الشرائع كلها؛ ولم يبق لشريعة حكم سوى ما أبقى هو منها، من حيث هي شرع له، لا من حيث ما هي شرع فقط. نشء.

نشء صورة الركعة السابعة من الوتر

(عبد الرحيم: من الآية ﴿**الرحمن الرحيم**﴾)

انتشأ منها رجل من رجال اللهّ يقال له «عبد الرحيم».

أعلم أن الرحمة في عين القادر على إظهار حكمها تعود عذاباً أليماً على من قامت به، لأنها من ذاتها تطلب التعدي إلى المرحوم، وإظهار أثرها بالفعل فيه. فإذا قامت بالقادر على تنفيذها في المرحوم كان لها أثران: أثر في الراحم، وهو ما زال عنه من الألم بحصول أثرها في المرحوم، فالراحم مرحوم بها من حيث قدرته على تنفيذها؛ والذي نفذت فيه مرحوم أيضاً بها وبقدرة الراحم على تنفيذها، فأثرها فيه من وجهين؛ والأثر (هو) إزالة ما أدى الراحم لتعلق الرحمة بذلك المرحوم.

فما كل رحمة تكون نعيماً إلا إذا كان الراحم قادرا على تنفيذها. فالرحمة تجل في صورة العذاب في حق الراحم الذي نفيت عنه الاقتدار؛ ولها تجل في صورة النعيم في حق الراحم والمرحوم إذا كانت في قادر على تنفيذها. فقد قبلت الصورتين المتقابلتين؛ وهذا من أعجب الأمور أن الرحمة تنتج ألماً وعذاباً. فلو لم تقم الرحمة به، لم يتصف بالألم هذا الذي لا اقتدار له. ثم الذي في المسألة من العجب العجاب أن الرحمة القائمة بالموصوف بنفوذ الاقتدار قد يكون له مانع من تنفيذها من ذاته، فيقوم به ألم الكراهة وذلك حكم ذلك المانع، مع كونه متصفاً بالاقتدار على تنفيذها.

وهذه المسألة من أصعب المسائل في العلم الإلهي. وظهر حكم ذلك في الصحيح من الأخبار الإلهية عن نفسه تعالى – عزّ وجلّ- حيث قال: [ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له من لقائي]؛ وهو الذي جعله يكره الموت، ودل على أن لقاءه تعالى لا يكون إلا بالموت، وهو الخروج عن الحس المطلق إلى الحس المشترك؛ كما نراه في النوم، لكون النوم ضرباً من ضروب الموت، فإنه وفاة وانتقال من عالم الحس إلى عالم الخيال والحس المشترك. فيرى النائم ربه في نومه كما يراه الميت بعد موته؛ غير أن رؤية الميت ولقاءه ربه لا رجعة بعد رؤيته عنه، والنائم يستيقظ مرسلاً إلى الأجل المسمى.

فإن كان اللقاء عن فناء لا عن نوم، ثم رد إلى حال البقاء، فحكمه حكم الميت إذا بعث يوم القيامة، لا يقع له حجاب عنه؛ فهذا الفارق بين النائم والفاني. ولذلك قال عمرو بن عثمان المكي في صفة العارفين: «إنهم كما هم اليوم كذلك يكونون غداً إن شاء الله تعالى».

فلم ير أعجب من حكم الرحمة: ألا ترى الطبيب تقوم به الرحمة لصاحب الأكلة، ولا يقدر على تنفيذها فيه إلا بإيلامه؛ فعلى قدر رحمة ذلك الطبيب بصاحب هذه العلة، يكزن ألمه في نفسه، لعدم إنفاذها فيه من غير إيلامه. فلولا رحمته به ما تألم. ألا ترى المتشفي كيف لا يجد ألماً، بل يجد لذة. فتدبر ما ذكرته لك في العلم الإلهي (أي أن كل الآلام في الكون، دنيا وأخرى، ما هي إلا من مظاهر رحمة الحق تعالى، وإلا كيف يكون من أسمائه «الرحمن الرحيم أرحم الراحمين»).

ولقد رأيته في الكشف الصحيح والمشهد الصريح، ورسول الله ﷺ معي، وقد أمر- تعالى- بقتل الدجال لدعواه الألوهية، وهو يبكي ويعتذر عنه فيما يعاقب به من أجله، وأنه ما بيده في ذلك من شيء. فبكاؤه مثل الألم في نفس الراحم الذي ماله اقتدار على تنفيذ رحمته للمانع (وهذا من تخلقه ﷺ باسم الله «أرحم الراحمين»، وهو الذي حصر الهدف من إرساله في قوله له: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾) [الأنبياء/ ١٠٧].

فما في العلم الإلهي حيرة أعظم من هذه الحيرة؛ ولولا عظمها ما وصف الحق نفسه بالتردد، والتردد حيرة. فافهم .

نشء صورة الركعة الثامنة من الوتر

(عبد الملك: من الآية ﴿**ملك يوم الدين**﴾)

انتشأ منها رجل من رجال الله تعالى يقال له «عبد الملك».

اعلم أن الملك هو الذي أحدث هذه الحقيقة التي تسمى ملكاً. فإذا تسمى بها العبد، واتصف الحق بالملك، لم يتصف به اتصاف المخلوق؛ فإن المخلوق ملك (برفع الميم) على الإطلاق، والحق ملك الملك (برفع الميم)، لا ملك على الإطلاق؛ فإنه لا يكون ملكاً للعبد حتى تظهر عند العبد عبوديته له- تعالى-، ويظهر عنده كونه ملكاً لمليكه وهو الله تعالى.

وإنما قلنا هذا لأجل طائفة أعطاها نظرها إلى الله، أن الله لا يعلم الجزء على التعيين، وإنما يعلم الكل الذي يتضمن الجزء؛ بخلاف أهل الحق، أهل الكشف والوجود. ولهذا كان له اسم الملك والملك (بسكون اللام وكسره)؛ أي هذا الوصف، ظهر عن شدة، لكون أصحاب هذا النظر العقلي لا يثبتونه. فلما لم تجتمع عليه العقول، وقعت فيه المنازعة،

فاستخلصه الحق ملكاً (بفتح الميم وكسر اللام)، أي عن شدة. واستخلص العبد العارف الحق ملكاً (برفع الميم)، أي عن شدة لأجل المنازع، فسماه ملك الملك، ليفرق بينه وبين كون المخلوق ملكاً لله، فيتصف المخلوق بالعبودية لله في كونه ملكاً له، ويتصف الحق بملك الملك ولا يتصف بالعبودية له، وإن كان في الحق تأثير من الخلق كما تقدم؛ ومع هذا فلا يتصف بالعبودية، لأن ذلك ليس عن ذلة، لأنه – تعالى – الأصل في ذلك التأثير، فما عاد عليه إلا ما كان منه؛ بخلاف الخلق، فإن المخلوق يعود عليه ما كان منه، ويقوم به ما لم يكن منه ابتداء من الحق. فاعلم ذلك.

نشء صورة الركعة التاسعة من الوتر

(عبد الهادي: من الآية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾)

انتشأ منها صورة رجل من رجال الله يقال له «عبد الهادي».

اعلم أن الهداية أثر إلهي في قوله: ﴿**من يضلل الله فلا هادي له**﴾ [الأعراف/ ١٨٦]، وأثر كوني في قوله: «ولكل قوم هاد»؛ ويعود معناه إلى الأول، فإن الهادي الكوني لا يكون إلا رسولاً من عند الله، فهو مبلغ لا هاد؛ معناه «لا موفق»، لكنه «هاد»، بمعنى «مبين»؛ قال تعالى في البيان الذي لهم، والتبيان الذي أوجبه عليهم الله تعالى: ﴿**لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ [النحل/ ٤٤]؛ وقال في الهداية التي هي التوفيق: ﴿**ليس عليك هداهم**﴾ [البقرة/ ٢٧٢]، أي ليس عليك أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به، وما أمرتك بتبيانه، ولكن الله يهدي، أي يوفق من،﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ [النحل/ ١٢٥]، أي بالقابلين التوفيق، فإنه على مزاج خاص أوجدهم عليه. فهؤلاء الهداة هم هداة البيان، لا هداة التوفيق؛ وللهادي الذي هو الله الإبانة والتوفيق.

وليس للهادي الذي هو المخلوق إلا الإبانة خاصة، وإنما قلنا ذلك واستشهدنا به، لما تقرر عند من لا علم له بالحقائق، أن العبد إذا صدق فيما يبلغه عن الله في بيانه أثر ذلك في نفوس السامعين، وليس كما زعموا، فإنه لا أقرب إلى الله ومن الله، ولا أصدق في التبليغ عن الله، ولا أحب في القبول فيما جاء به من عند الله، من الرسل – صلوات الله عليهم وسلامه –، ومع هذا فما عم القبول من السامعين؛ بل قال الرسول الصادق في التبليغ: ﴿**وما يزيدهم دعائي إلا فرارا**﴾ [نوح/ ٦]. فلما لم يعم، مع

تحققنا هذه الهمة، علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة في المدعو؛ وأن الذي قبل من السامعين، ما قبل من أثر همة الداعي الذي هو المبلغ، وإنما قبل من حيث ما وهبه اللهّ في خلقه من مزاج يقتضي له قبول هذا وأمثاله. وهذا المزاج الخاص لا يعلمه إلا اللهّ الذي خلقهم عليه، وهو قوله تعالى: ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ [النحل/ ١٢٥].

فلا تقل بعد هذا إذا حضرت مجلس مذكر داع إلى اللهّ، فلم تجد أثراً لكلامه فيك، أن هذا من عدم صدق المذكر، لا بل هو العيب منك من ذاتك، حيث ما فطرك اللهّ في ذلك الوقت على القبول. فإن المنصف ينظر فيما جاء به هذا الداعي المذكر؛ فإن كان حقاً ولم يقبله فيعلم على القطع إن العيب من السامع لا من المذكر. فإذا حضر في مجلس مذكر آخر، وجاء بذلك الذكر عينه وأثر فيه، فيقول السامع بجهله: «صدق هذا المذكر فإن كلامه أثر في قلبي»، والعيب منك وأنت لا تدري.

فلتعلم أن ذلك التأثير لم يكن لقبولك الحق، فإنه حق في المذكرين في نفس الأمر، وإنما وقع التأثير فيك في هذا المجلس دون ذلك، لنسبة بينك وبين هذا المذكر، أو بينك وبين الزمان، فأثر فيك هذا الذكر؛ والأثر لم يكن للمذكر، إذ كان الذكر ولا أثر له فيك؛ وإنما أثرت المناسبة التي بينتها لك: الزمانية أو النسبة التي بينك وبين هذا المذكر. وربما أثر لاعتقادك فيه، ولم يكن لك اعتقاد في ذلك الآخر. فما أثر فيك سواك، أو ما أشبه ذلك. ولهذا قلنا في تفسير الهداية الإلهية بالتوفيق، أي بموافقة النسبة بين السامع والمذكر، لا بالبيان، فإن البيان فرضناه واقعاً في الحالتين من المذكرين، ولم يقع القبول إلا في إحدى الحالين. فاعلم ذلك وتحققه ترشد إن شاء اللهّ.

وأقل فائدة في هذه المسألة: سلامة المذكر من تهمتك إياه بعدم الصدق في تذكيره ورده، وردك الحق. فإن السليم العقل يؤثر فيه الحق، جاء على يدي من جاء؛ ولو جاء على لسان مشرك باللهّ، عدو للهّ، كاذب على اللهّ، ممقوت عند اللهّ؛ لكن الذي جاء هو به حق، فيقبله العاقل من حيث ما هو حق، لا من حيث المحل الذي ظهر به. وبهذا يتميز طالب الحق من غيره.

نشء صورة الركعة العاشرة من الوتر

(عبد ربه: من الآية ﴿**رب العالمين**﴾)

انتشأ منها رجل من رجال اللهّ يقال له «عبد ربه».

اعلم أن الربوبية نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايفين عن الآخر؛ فهي موقوفة على اثنين؛ ولا يلزم أن لا يكونا متباينين، فقد يكونان متباينين، وقد يكونا غير متباينين. فمالك بلا ملك لا يكون وجوداً وتقديراً؛ ومليك بلا ملك لا يكون كذلك؛ والرب بلا مربوب لا يصح وجوداً وتقديراً؛ وهكذا كل متضايفين.

فنسبة العالم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية نسبة المتضايفين من الطرفين. فالعالم يطلب تلك الأسماء الإلهية، وتلك الأسماء الإلهية تطلب العالم؛ كالاسم الرب، والقادر، والخالق، والنافع، والضار، والمحيي، والمميت، والقاهر، والمعز، والمذل، إلى أمثال هذه الأسماء. وثم أسماء إلهية لا تطلب العالم، ولكن يستروح منها نفس – بفتح النون – من أنفاس العالم، من غير تفصيل بين هذه الأسماء التي ذكرناها آنفاً. فأسماء الاسترواح كالغني، والعزيز، والقدوس، وأمثال هذه الأسماء. وما وجدنا للهّ أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات. فإنه ما ثم اسم إلا على أحد أمرين: إما ما يدل على فعل، وهو الذي يستدعي العالم ولا بد؛ وإما ما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق عنها؛ غير ذلك ما أعطانا اللهّ.

فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية للهّ أصلاً، إلا إن كان ذلك في علمه، أو ما استأثر اللهّ به في غيبه مما لم يبده لنا وسبب ذلك لأنه – تعالى – ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء بها عليه؛ فمن المحال أن يكون فيها اسم علمي أصلاً؛ لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمى؛ لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها. وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا؛ وهو المسمى بمعانيها، والمعاني هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية، كالعالم، والقادر، وباقي الأسماء. فللّه الأسماء الحسنى، وليست إلا المعاني، لا هذه الألفاظ؛ فإن الألفاظ لا تتصف بالحسن والقبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها، فلا اعتبار

لها من حيث ذاتها، فإنها ليست بزائدة على حروف ونظم خاص يسمى اصطلاحا. فافهمْ ذلك.

نشء صورة الركعة الإحدى عشرة من الوتر

(عبد الفرد: من كاف الآية ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾)

انتشأ منها صورة رجل من رجال اللهّ يقال له «عبد الفرد».

اعلم أن الفردية لا يعقلها المنصف إلا بتعقل آمر آخر،عنه انفراد هذا المسمى فرداً بنعت لا يكون فيمن انفرد عنه؛ إذ لو كان فيه، ما صح أن ينفرد به، فلم يكن ينطلق عليه اسم الفرد. فلا بد من ذلك الذي انفرد عنه أن يكون معقولاً، وليس إلا الشفع، والأمر الذي انفرد به الفرد إنما هو التشبه بالأحدية .

وأول الأفراد (هو) الثلاثة. فالواحد ليس بفرد؛ فإن اللهّ وصف بالكفر من قال: ﴿**إن اللّه ثالث ثلاثة**﴾ [المائدة/ ٧٣]. وتمامها هكذا: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾، فلو قال: «ثالث اثنين» لما كان كافرا، فإنه – تعالى- ثالث اثنين، ورابع ثلاثة، وخامس أربعة، بالغا ما بلغ، وهو قوله – تعالى -: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ [الحديد/ ٤]. فمن كان في أحديته فهو- تعالى- ثاني واحده؛ ومن كان في تثنيته فهو ثالث اثنينيته؛ ومن كان في تثليثه فهو- تعالى- رابع ثلاثة، بالغا ما بلغ. فهو مع المخلوقين حيث كانوا. فالخالق لا يفارقهم، لأن مستند الخلق إنما هو للاسم الخالق، استناداً صحيحاً لا شك فيه.

وإن كان هذا الاسم يستدعي عدة معاني، فهو يطلبها - أعني الاسم الخالق - بذاته، لكل معنى منها أثر في المخلوق لا في الخالق. فالخالق لهذه المعاني كالجامع خاصة، وأثرها (هو) في المخلوق لا فيه. فالحق لا ينفرد في الأربعة بالرابع، وإنما ينفرد في الأربعة بالخامس، لأنه ليس كمثله شيء؛ ولو كان عين الرابع من الأربعة لكان مثلها، وكل واحد من الأربعة عين الرابع للأربعة من غير تخصيص. ولو كان هذا، لكان الواحد من الأربعة يربع الحق بوجوه، وليس الأمر كذلك، وهكذا في كل عدد.

فمتى فرضت عدداً، فاجعل الحق الواحد الذي يكون بعد ذلك العدد، ولا يد، اللاصق به؛ فإنه يتضمنه. فالخامس للأربعة يتضمن الأربعة، ولا تتضمنه، فهو يخمسها وهي لا تخمسه، فإنها أربعة لنفسها.

وهكذا في كل عدد. وإنما كان هذا لحفظ العدد على المعدودات؛ والحفظ لا يكون إلا لله؛ وليس اللهّ سوى الواحد. فلا بد أن يكون الواحد أبداً له حفظ ما دونه من شفع ووتر. فهو يوتر الشفع، ويشفع الوتر؛ فيقال: رابع ثلاثة، وخامس أربعة؛ ولا يقال فيه: خامس خمسة، ولا رابع أربعة، ولا عاشر عشرة.

فالحكماء يقولون في الفردية أنها الوتر من كل عدد، من الثلاثة فصاعداً في كل وتر منها، كالخامس والسابع والتاسع. فبين كل فردين مقام شفعية، وبين كل شفعين مقام فردية؛ هذا عند الحكماء. وعندنا ليس كذلك، فإن الفردية تكون للواحد الذي يشفع الوتر، وللواحد الذي يوتر الشفع، الذي هو عند الحكماء فرد. ولولا ذلك ما صح أن تقول في فردية الحق أنه رابع ثلاثة، وسادس خمسة، وأدنى من ذلك وأكثر، وهو فرد في كل نسبة؛ فتارة ينفرد بتشفيع الوتر، وتارة بإيتار الشفع؛ وهو قوله: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم**﴾. فما بين في فرديته، بالذكر المعين إلا فردية تشفيع الوتر، الذي لا يقول به الحكماء في اصطلاح الفردية؛ ثم قال في العالم: ﴿**ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم**﴾ [المجادلة/ ٧]. وتمامها : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا، ثم ينبئهم بما عملوا يوم الْقِيَامَةِ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾، سواء كان عددهم وتراً أو شفعاً؛ فإن اللهّ لا يكون واحداً من شفعيتهم، ولا واحداً من وتريتهم، بل هو الرقيب عليهم، الحفيظ الذي هو من ورائهم محيط.

فمتى انتقل الخلق إلى المرتبة التي كانت للحق، انتقل الحق إلى المرتبة التي تليها، لا يمكن له الوقوف في تلك المرتبة التي كان فيها عند انتقال الخلق إليها. فانظر في هذا السر الإلهي ما أدقه، وما أعظمه في التنزيه، الذي لا يصح للخلق مع الحق فيه مشاركة. فالخلق أبداً يطلب أن يلحق بالحق، ولا يقدر على ذلك، لانتقال الحق عن تلك المرتبة. ولهذا كان العدد لا يتناهى؛ فإنه لو تناهى للحق الخلق بالحق. ولا يكون ذلك أبداً. فالخلق خلق لنفسه، والحق حق لنفسه.

ومثال ذلك أن يكون جماعة من ثلاثة، في نجوى بينهم قد جمعهم مجلس؛ فالله بلا شك رابع تلك الجماعة؛ فإن ربعهم إنسان آخر، فجاء وجلس إليهم، انتقل الحق من المرتبة الرابعة بمجرد مجيء ذلك الرجل أو الشخص الذي ربعهم، إلى المرتبة الخامسة؛ فإن أطالوا الجلوس بحيث أن جاء من خمس القوم، انتقل الحق إلى المرتبة السادسة، فيكون سادس خمسة، وهو سادس الجماعة، أعني هذه الجماعة، بعدما كان خامس الجماعة التي خمسها ذلك الواحد. فاعلم.

فقد نبهتك على علم عظيم، تشكرني عليه عند الله؛ فإني أرجو من الله أن ينفعني بمن علم مني ما ذكرته في كلامي هذا من العلم بالله، الذي لا تجده فيما تقدم من كتب المؤلفين في هذا الفن. وهذا كله نقطة من كلمة من القرآن العزيز (ربما يشير الشيخ هنا إلى حرف الكاف من «إياك» في قلب الفاتحة، إذ هو الدال هنا على الفردية). فما عندنا من الله إلا الفهم فيه من الله، وهو الوحي الإلهي الذي أبقاه الحق علينا.

فهذا الذي ذكرناه كان وتر رسول الله ﷺ من صلاة الليل.

نشء صورة الركعة المكملة للاثنتي عشرة من الوتر

(عبد الله: من الآية الأولى ﴿بسم الله﴾)

وأما تمام الاثنتي عشرة فذلك المهيمن الخارج عن نشء صورة الوتر القوي. وهو الواحد الأول، وليس إلا الله؛ فهو المنشيء- سبحانه وتعالى - في كبريائه، الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

«وصل»

فالرجل الذي كمل له به الاثنا عشر، كما كمل الشهور برمضان، ما كملها إلا باسم من أسمائه، وهو رمضان - عز وجل -؛ فبه كمل كل شيء. فكمال الأربعة بالخامس، إذا كان الله خامس أربعة، فإنه الذي يحفظ عليها أربعتها؛ فإذا جاء من جنسها من يخمسها، ذهبت الأربعة، وكان الله سادس الخمسة يحفظ عليها خمستها، لأنه الحفيظ. فانظر ما أعجب هذا الأمر. ومن هنا صح الفرار الموجود، والانتقال من حال إلى حال، فإن الله ينتقل في مراتب الأعداد لما ذكرناه.

واسم هذا الرجل الذي كمل الله به الاثني عشر: «عبد الله». وإنما سمي «عبد الله» لأن الله يتجلى له بحقيقة كل اسم من أسمائه، وهو قوله: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ [الأعراف/ ١٨٠]. فإذا دعوته باسم منها تجلى مجيباً لك في عين ذلك الاسم؛ كصوم شهر رمضان، فإن صومه واجب في الاثني عشر شهراً. فكل صوم في شهر من الشهور الأحد عشر إنما هو تشبيه بصوم يوم من أيام شهر رمضان، لأنه نافلة، والواجب ليس إلا رمضان بالوجوب الإلهي الابتدائي. وإنما قلنا الابتدائي من أجل النذر بالصوم، الذي أوجبه الله عليك بإيجابك إياه على نفسك، عقوبة لك، وليثيبك به إذا أديته ثواب الواجب. لكن الفرق بينه وبين الواجب المبتدأ، أن الواجب المبتدأ تقضيه إذا مضى زمان إيجابه، والواجب الكوني لو نسيته أو مرضت، فلم تقدر على أدائه ومضى زمانه لم تقضه. فهذا هو الفرق بين الواجب الإلهي والواجب الكوني.

فمن عرف ما ذكرناه من أمر هذه الاثني عشر، فقد حصل على كنوز إلهية؛ كما قيل في الفاتحة أن الله أعطاها نبيه محمداً ﷺ خاصة دون غيره من الرسل، من كنز من كنوز العرش، لم توجد في كتاب منزل من عند الله، ولا صحيفة إلا في القرآن خاصة. وبهذا سمي قرآناً، لأنه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل؛ ففيه كل ما في الكتب كلها المنزلة، وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة (يكاد يصرح الشيخ هنا بأن كل ما ذكره في هذا الباب يرجع إلى فاتحة الكتاب). انتهى.

الباب الثامن

علاقة الفاتحة بالرداء الإلهي
من «الفتوحات المكية» وكتاب «التراجم»

علاقة الفاتحة بالرداء الإلهي

سورة الفاتحة عند الشيخ الأكبر هي سورة الإنسان المحمدي الكامل الذي يسميه أحيانا بـ «رداء الرحمن». ولهذا نجده في عدة مواقع يقرن بين الفاتحة والرداء الإلهي. ففي كتاب «التراجم» مثلا، ترجم الشيخ عن بعض إشارات ولطائف آيات، مخصصا لكل سورة بابا، بدءا من سورة الحاقة التي عنوان بابها «ترجمة القهر»، وصعودا حسب ترتيب السور في المصحف، لكل سورة باب، وانتهاء بباب الفاتحة الذي عنوانه «ترجمة معرفة الرداء». وهذه التراجم المتميزة بمنتهى اللطافة والعمق، لها في الفصل الخامس من الفتوحات الخاص بالمنازلات ما يماثلها، كما يظهر جليا بمقارنة عناوين الأبواب الثمانية والسبعين لهذا الفصل مع عناوين أبواب كتاب التراجم. لكن ترتيب السور في هذا الفصل يختلف كثيرا عن ترتيبها في كتاب التراجم، أي عن ترتيبها في المصحف صعودا. وقد بينا هذا الترتيب الخفي في بحث مستقل. وفي فصل المنازلات هذا نجد منازلة سورة الفاتحة في الباب ٤٣٢ ، وفيها يتكلم بالتحديد عن ذلك الرداء فيقول:

الباب ٤٣٢ في معرفة منازلة ما ارتديت بشيء إلا بك فاعرف قدرك وذا عجب شيء لا يعرف نفسه.

إن الرداء الذي لم يدر لابسه ... هو الرداء الذي الرحمن لا بسه
به تزين عند العالمين من الـ ... أرواح والملأ القلبيّ حارسه
فإن بدت منه أخلاق تحيد به ... عن الهدى فرسول الله سائسه

قال الله تعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ [النساء/ ٨٠]؛ وقال: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ [الفتح/ ١٠]؛ وقال تعالى في الخبر عنه: «وسعني قلب عبدي المؤمن». فالأمر حق ظاهره صورة خلق. فهو من وراء ما بدا، كما أن المرتدي من وراء ردائه. فالعبد هو كبرياء الحق وعظمته، فإنه قال: «الكبرياء ردائي»، ولهذا كان المخلوق محل عظمة الله، لأنّ العظمة صفة في المعظم (أي اسم فاعل) لا في المعظم (أي اسم مفعول). ولو كانت في المعظم (اسم مفعول) لما تعوّذ منه من لا يعرفه. قال الله لأبي يزيد (البسطامي) لما خلع عليه أسماءه: «أخرج إلى عبادي بصورتي، فمن رآك رآني»، فلما خطا خطوة غشي عليه، فقال: «ردّوا عليّ حبيبي فإنه لا صبر له عني». فمن عرف نفسه عرف الله، ومن عرف الله لم يعرف نفسه. والعلم بالله تعالى جهلك بك، والعلم بك علمك بالله. فإنك منه، كما قال: ﴿**جميعاً منه**﴾، ما هو منك؛ وليس إلا معرفة المنزلة والقدر: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾، ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾؛ فأنت ليلة القدر، لأنك من طبيعة وحق. فشهد لك بعظم القدر قبل نزول القرآن عليك؛ وأنت خير من ألف شهر، أي خير من الكل، لأنه (أي الألف) منتهى العدد البسيط الذي يقع فيه التركيب إلى ما لا يتناهى. كذلك ما يخلق الله لا يتناهى دائماً، فإنه خالق على الدوام. وجاء بالشهر لشهرة ذلك في كل شهر؛ ومن الألف ليلة القدر، لا بد من ذلك؛ فإن خير الشهور ما كان فيه ليلة القدر، فهي خير من ألف شهر فيه ليلة القدر؛ فهي جامعة لكل أمر، فهي العامة في جميع الموجودات. فالعبد في هذه المنازلة حافظ محفوظ: حافظ من حيث أنه يحفظ المرتدي به غيرة وصوناً، ومحفوظ من حيث أن المرتدي يحتاط عليه لئلا يضيع، فإنه معرّض للضياع فإنه مخلوق، فلا بد له من حافظ .هذا جزاء دوري. فافهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل] انتهى.

وفي الباب ٥٥٩ المشتمل على فقرات مناسبة لأبواب الفتوحات الخمسمائة وستين، لكل باب فقرة، نجد الفقرة المناسبة لهذا الباب٤٣٢ تحت عنوان: (**الإنسان رداء الرحمن**)، وفيه يقول:

[قال: ما ترى الرحمن، برداء أحسن من الإنسان ولا أكمل منه، خلقه على صورته، وجعله خليفة عنه في أرضه؛ ثم شرع له أن يستخلفه على أهله.

وقال: لولا أن الحق أعطاه الاستقلال بالخلافة، ما قال له عن نفسه تعالى آمراً: ﴿**فاتخذه وكيلاً**﴾ [المزمل/ ٩]، ولا قال له ﷺ: «أنت الخليفة في الأهل والصاحب في السفر»، وهو ﷺ القائل: «إن الله أدبني فأحسن أدبي».

وقال: الرداء للتجمل فله الجمال؛ فلا أجمل من الإنسان إذا كان عالماً بربه.

وقال: العالم عند الجماعة هو إنسان كبير في المعنى والجرم؛ ويقول الله تعالى: ﴿**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [غافر/ ٥٧]، فلذلك قلنا: «في المعنى»، وصدق ما نفي العلم عن الكل، وإنما نفاه عن الأكثر. والإنسان الكامل من العالم، وهو له كالروح لجسم الحيوان، وهو الإنسان الصغير وسمي صغيراً لأنه انفعل عن الكبير؛ وهو مختصره، لأن كل ما في العالم فيه؛ فهو وإن صغر جرمه ففيه كل ما في العالم].

وفي نصوص له أخرى يدقق مبينا أن موقع هذا الرداء في الفاتحة هو (الحمد لله). فمثلا في الباب الخامس من الفتوحات الخاص بالفاتحة يقول: [... فإن في قوله: «الحمد» أثبت العبد الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم، وبالثوب عند آخرين]...ويكرر هذا المعنى بعد ذلك فيقول عنه: [... وهو المعبر عنه بالرداء والثوب إذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع. فغاية معرفة العبد أن تصل إليه إن وصلت، والحق وراء ذلك كله، أو قل: مع ذلك كله].

معنى الرداء والإزار:

وضح الشيخ هذا المعنى في الباب ٧٣ من الفتوحات عند إجابته عن أسئلة الحكيم الترمذي، فقال:

السؤال الثالث ومائة : ما قوله «العزة إزاري»؟

الجواب : لما أنعم الحق على عباده حين دعاهم إلى معرفته بالتنزل بضرب الأمثال لهم، ليحصلوا بذلك القدر الذي أراد منهم أن يعلموا منه، مثل قوله: ﴿**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح**﴾ [النور/ ٣٥] إلى قوله: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾؛ فجعل النور نفسه لأنه خبر المبتدأ، أي صفته وهويته النور، من حيث أنه الله النور؛ وأين نور

المصباح من قوله: ﴿**الله نور**﴾؟ وكذلك الخبر «أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان»، وأين كلام الحق تعالى من ضرب سلسلة على صفوان؟ كذلك قوله: «العزة إزاري»، فأنزل نفسه لعباده منزلة من يقبل الاتصاف بالإزار؛ وأن مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الإزار، وما يستره الإزار.

واعلم ان الإزار يتخذ لثلاثة أمور: الواحد للتجمل، والثاني للوقاية، والثالث للستر؛ والمقصود في هذا الخبر من الثلاثة الوقاية خاصة، لأجل قوله: «العزة»، فإن العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول إليه، لأن الإزار بقي موضع الغيرة أن تطلع إليه الأبصار.

ولما كانت العزة منيعة الحمى أن يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات أو مبدع من المبدعات، لاستصحاب الذلة للمخلوقات والمبدعات، وهي تناقض العزة. فلما اتزر الحق بالعزة، منع العقول أن تدرك قبول الأعيان للإيجاد الذي اتصفت به وتميزت لأعيانها. فلا يعلم ما سوى الله صورة إيجاده، ولا قبوله، ولا كيف صار مظهرا للحق، ولا كيف وصفه بالوجود فقيل فيه موجود وقد كان يقال فيه معدوم.

فقال الحق: «العزة أزاري»، أي هي حجاب على ما من شأن النفوس أن تتشوف إلى تحصيله. ولهذا قال: «من نازعني واحد منهما قصمته»؛ فأخبر أنه ينازع في مثل هذه الصفات التي لا تنبغي إلا له، مثل العزة والعظمة والكبرياء.

والعزة القهر الذي نجده عن إدراك السرّ الذي به ظهور العالم.

السؤال الرابع ومائة: ما قوله «والعظمة ردائي»؟

الجواب: إن الله قد نبه أن العظمة التي تلبسها العقول رداء يحجبها عن إدراك الحق عند التجلي. فليست العظمة صفة للحق على التحقيق، وإنما هي صفة للقلوب العارفة به، فهي عليها كالرداء على لابسه، وهي من خلفه، تحجبها تلك العظمة عن الإدلال عليه، وتورثها الإذلال بين يديه. ومن الدليل على أن وصف العظيم بالعظمة أنه راجع إلى العالم به، لا إليه، أن المعظم إذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة ولا تعظيما لجهله به. والذي يعلم مكانته ومنزلته له على قلبه سلطان

العلم به، فيورثه ذلك العلم عظمة في قلبه، فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم.

وقد ورد خبر ذكره أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة: أن جبريل أخذ رسول الله ﷺ فأسرى به في شجرة فيها كوكري طائر، فقعد جبريل في واحد وقعد رسول الله ﷺ في الآخر، فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف درا وياقوتا، فأما جبريل فغشي عليه، وأما محمد ﷺ فبقي على حاله ما تغير عليه شيء، فقال رسول الله ﷺ: «فعلمت فضل جبريل علي في العلم لأنه علم ما رأى وأنا ما علمته». فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل إنما كانت من علمه بما تدلى إليه، فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة، فهي حال للرائي لا للمرئي.

ولو كانت العظمة حالة للمرئي لعظمه كل من رآه، والأمر ليس كذلك. وقد ورد في الحديث الصحيح أن الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة وفيها منافقوها، فيقول: «أنا ربكم»، فيستعيذون منه ولا يجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به، فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها أنه ربهم حينئذ يجدون عظمته في قلوبهم والهيبة. فلهذا قلنا في قوله: «العظمة ردائي»، أي هي رداؤه الذي تلبسه عقول العلماء به. وجعلها رداء ولم يجعلها ثوباً، فإن الرداء له كمية واحدة والثوب مؤلف من كميات مختلفة ضم بعضها إلى بعض كالقميص، وكذلك أيضاً الإزار مثل الرداء، ولم يقل السراويل لأن ذلك أقرب إلى الأحدية من الثوب المؤلف لتنوع الشكل.

السؤال الخامس ومائة: ما الإزار؟

الجواب: حجاب الغيرة والسترة على تأثير القدرة الإلهية في الحقيقة الخامسة الكلية الظاهرة في القديم قديمة وفي المحدثات محدثة. وهو ظهور الحقائق الإلهية والصور الربانية في الأعيان الثابتة الموصوفة بالإمكان التي هي مظاهر الحق. فلا يعلم نسبة هذا الظهور إلى هذا المظهر إلا الله سبحانه وتعالى. فالحجاب الذي حال بيننا وبين هذا العلم هو المعبر عنه بالإزار؛ وهي كلمة «كن»، ولا أريد به حرف الكاف والواو والنون، وإنما أريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور.

السؤال السادس ومائة: ما الرداء؟

الجواب: العبد الكامل المخلوق على الصورة، الجامع للحقائق الإمكانية والإلهية، وهو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه، الذي قال فيه أبو حامد: «ما في الإمكان أبدع من هذا العالم»، لكمال وجود الحقائق كلها فيه، وهو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة ونائباً، وله الأثر الكامل في جميع الممكنات، وله المشيئة التامة، وهو أكمل المظاهر (...).

وإنما سماه رداء لأنه مشتق من الردى المقصورة، وهو الهلاك، لأنه مستهلك في الحق استهلاكا كلياً، بحيث أن لا يظهر له وجود عين، مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه؛ فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيأ من تلك الانفعالات إليه، فيكون حقاً كله؛ وهو قوله ﷺ: «واجعلني نوراً»، أي يظهر في كل شيئ ولا أظهر بشيئ. وقد يستهلك الحق فيه، فلا ينسب بوجوده شيئ إلى الحق، وهو الوجه الذي اعتمد عليه من أثبت «الحق المخلوق به» كأبي الحكم بن برجان وسهل بن عبد الله التستري وغيرهما، وإليه أشرنا بقولنا:

أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء. فانظر من هو المرتدي، فاحكم عليه بأنه مستهلك فيه، فتجد حقيقة ما ذكرناه.

فكل مرتد محجوب بردائه عن إدراك الأبصار، قال تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ [الأنعام/ ١٠٣]؛ لأن الرداء يحجب الأبصار عنه ولا يحجبه عنها، فهو يدركها ولا تدركه. فالأبصار تدرك الرداء، والرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره، ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾ [الرعد/ ٤].

شرح باب ترجمة معرفة الرداء من كتاب التراجم (ما بين قوسين شرح لكلام الشيخ)

إشارة: الخليفة نائب الحق في خلقه، فلذلك تظهر صفاته. ليس العجب مما قلت فهكذا خلقك، وإنما العجب منك كيف لا تعرف ذلك. ليس العجب منك كيف لا تعرف ذلك، وإنما العجب كيف

أقول لك كيف لا تعرف ذلك والحق ما عَرَّفك؛ وأنت لا تعرف حتى يعَّرفك (أي معرفة: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾).

لطيفة : الرداء والإزار: فمن خلعا عليه معا فهو النائب والخليفة. من كان رداء فهو سعيد (أي من الذين ﴿أنعمت عليهم﴾)؛ ومن كان إزارا فهو شقي (أي من «المغضوب عليهم والضالين. وذلك لأن الرداء منسوب للحق تعالى، ومن انتسب إلى أرحم الراحمين سعد؛ أما الإزار فمنسوب للتعظيم الكوني، ومن انتسب لغير الله شقي. والله أعلم).

إشارة : من عرف الحق قبل نفسه لم يعرفه حقا لكن عرفه ذاتا (أي لأن معرفة الحق هي معرفة الربوبية ﴿**رب العالمين**﴾؛ ولا سبيل إلى معرفة الرب إلا بمعرفة المربوب وهو النفس، للخبر»من عرف نفسه عرف ربه». أما الذات فهي غنية عن العالمين المربوبين. فمن عرف الحق قبل نفسه المربوية عرفه ذاتا في مرتبة «كان الله ولا شيئ معه» في مقام «الحمد لله» حيث هو الحامد المحمود).

لطيفة: لولا الألوهية لما تنوعت التجليات (أي لأن الألوهية جامعة للأسماء المتقابلة المتعاكسة آثارها).

لطيفة: التنوعات حقائق الأحكام، فما ثم وثم (أي التنوعات، كتنوعات طرق الهداية والضلالة والسعادة والشقاء المذكورة في الفاتحة، ليست سوى آثار تجليات أحكام الأسماء الإلهية في الخلق، فهو وحده تعالى الهادي والمضل).

الباب التاسع

شرح المدخل إلى المقصد الأسمى في إشارات الفاتحة

شرح المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات

هذا الكتاب اللطيف للشيخ يقع في بضع صفحات، لكنه غزير المعاني لما يشتمل عليه من الإشارات إلى حقائق عالية وتلويحات بعيدة عميقة موجهة لأهل الاختصاص والفهم للمصطلحات العرفانية الأكبرية. وهو صادر من حضرة الجمع المعبر عنها بالآية ١١٥ من سورة البقرة: ﴿**ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله، إن الله واسع عليم**﴾، حيث تظهر المخلوقات كالنائبة عن الأسماء الحسنى القائمة بها والمتجلية فيها. وهو يتعلق بإشارات البسملة التي يمكن اعتبارها كنموذج يمكن تطبيقه على غيرها من نصوص الوحي الإلهي؛ ولهذا ختم الشيخ الكتاب بقوله: [وقد بينا في هذا المدخل كيف ينبغي للعارف أن يأخذ الأسماء والكنايات، وكيف ينزلها. فإنّا لو وسعناها حتى نستوفي ما ظهر في الوجود منها لطال الأمر وحاف على وقتنا وتركنا ما هو الأولى بنا من الاشتغال. فقد مهدنا السبيل، وعرفنا صورة التأويل، والله يعصم إنه على ما يشاء قدير].

وفي ما يلي حذفنا بداية الكتاب والكلام في آخره عن كناية «الكتاب»، لعدم تعلقهما المباشر بالبسملة التي هي موضوع مجموعنا هذا.

الباء من «بسم الله»

افتتح كلامه بالباء (أي القرآن العظيم بباء البسملة)، **وهي اثنان** (أي: الباء هي الحرف الثاني بعد الألف في ترتيب «ابجد ...»، وفي الترتيب الرقمي للحروف من حيث تماثل أشكالها، أي: ا ب ت ث ج...؛ وعددها في حساب الجمل اثنان).

ولم يمكن أن يفتتح بالألف لأنه يريد الظهور، وإدخال الوجود الأول في الثاني (الألف عند الشيخ الأكبر ليست من الحروف، وإنما هي مبدأ الحروف ولها الوجود الأول، كما أن الواحد مبدأ الأعداد وقيومها. وأول تجل للألف ظهر بالباء، فوجودها هو الثاني الحادث القائم بالوجود الأصلي المبدئي. فالحقيقة المحمدية هي المجلى الأول لاسمه تعالى «الظاهر»، فلها حرف الباء، وللألف حضرة «الله الحي القيوم»).

فدخل الباء من أجل أنها اثنان وهو المطلوب (أي دخل الموجود الحادث الأول إلى الوجود العيني، وقد كان له وجود ثبوتي لعينه الثابتة في علم الله تعالى الأزلي؛ لكن باعتبار «كان « حرفا وجوديا لا كفعل مضى. فبظهور الباء كملت مراتب الوجود بقسميها القديم الحقي والحادث الخلقي، كما كملت مراتب العلم بقسميها القديم المطلق والحادث المقيد؛ وبهذا حصل المطلوب).

وهي من عالم الشهادة من أجل الظهور، والغيب مدرج فيه (أي: مخرج الباء من الشفتين، وحروف الشفتين تناسب عالم الملك والشهادة الظاهر؛ بينما حروف الصدر، كالهمزة والهاء، تناسب عالم الغيب الباطن؛ ولهذا قال إن الغيب مدرج في شهادة الباء، أي لأن نهايتها الهمزة التي لها الغيب. وحروف اللسان برزخية تناسب العالم الجبروتي الأوسط. وقد فصل الشيخ تناسب الحروف مع مراتب الوجود في البابين الثاني و١٩٨ من الفتوحات وكتب له أخرى).

وظهر في كلمة «الله» بعد «بسم» (أي ظهر تأثير الباء بالخفض في الاسم «الله» بعد خفضها للفظة «بسم»).

فبدأ بالباء، فلما انتهي إلى السين عاد إلى ما منه بدأ وهو الميم (أي لفظة «بسم» ابتدأت بالباء وانتهت بالميم التي لها نفس مخرج الباء وهو الشفتان).

ثم بدأ بالألف في كلمة «الله». فلما انتهى إلى «اللام» عاد إلى ما منه بدأ وهو الهاء (أي أن الألف والهاء من الاسم «الله» لهما نفس المخرج وهو الصدر).

فالتقى اللام بالسين في معقد الإزار وهو الوسط (أي أن اللام والسين لهما نفس المخرج الأوسط بين غيب الصدر وشهادة الشفتين. ومن

حيث العدد فمجموع عددي اللامين من «الله» هو ستون، وهو نفس عدد السين من «بسم». فالباء والميم في عالم الشهادة الأسفل، وجموع عدديهما بحساب الجمل الصغير هو: ٢+٤=٦، كالنظيرين للهمزة والهاء في عالم الغيب الأعلى، ومجموع عدديهما هو أيضا: ١+٥=٦).

فكل شيء في قولك: «بسم الله» (أي: في لفظة «بسم» كانت الانطلاقة من عالم الشهادة حيث الباء، ثم العروج إلى عالم الجبروت الأوسط حيث السين، ثم الرجوع إلى عالم الملك الظاهر حيث الميم. أما في الاسم «الله» فالانطلاقة من غيب الألف، ثم النزول إلى برزخية اللام الجبروتي، ثم الرجوع إلى غيب هاء الهوية. فاجتمعت في قول «بسم الله» مراتب الوجود كلها، من أقصى الغيب الملكوتي الأعلى، إلى عوالم الجبروت الأوسط ، إلى عالم الشهادة الأسفل. كما ظهرت بها حركات العروج والولوج والترقي والتدلي عبر هذه المراتب).

وإن كان الـ «هو» أنت (الـ «هو» هو الهوية المضمرة في هاء الاسم «الله»، وهي عبارة عن حضرة الحق من حيث البطون والغيب، و «أنت» عبارة عن حضرة الخلق. والـ «هو» أنت: أي لا ظهور لحضرة الحق إلا بالخلق، ولا وجود ولا قيام للخلق إلا بالحق).

فأنت أنت، وهو هو (أي كما يقول الشيخ في بيت من الشعر: «الرب رب والعبد عبد فلا تخالط ولا تغالط»، وقول في الفتوحات: لا يقول بالحلول إلا من دينه معلول، ولا يقول بالاتحاد إلا أهل الإلحاد. فلا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ولا اتصال ولا انفصال، إذ كل هذه الاعتبارات لا تتعلق إلا بالمقيدات والمحسوسات والمخلوقات، وتعالى الحق القدوس الذي ليس كمثله شيء بكمالاته الأزلية المطلقة أن تنسب لجلاله وعزته وكبريائه وغناه عن العالمين مثل تلك الاعتبارات).

فاختص الهاء بالحرفين وهما «كن» (أي اختصت حضرة الحق تعالى بإبراز الموجودات بقول: «كن»).

واختص «أنت» بالكلمتين وهما «بسم الله» (أي أن العبد إذا قصد إحداث أمر فإنه يشهد الفاعل الحقيقي سبحانه فيقول: «بسم الله»).

ولما لم يكن أن يقوم «الأنت» إلا بـ «الهو»، لم يمكن أن تخلو الكلمتين عن حرف لأن الحرفين له، فدخلت الباء. ولما كانت كلمتين احتجنا

حرفا يكون اثنين. فلهذا كانت الباء دون غيرها (أي أن أصل الكلمتين هو: «اسم الله»، وهما تناسبان حرفي «كن» الإلهية، لكن العبد لا قيام له إلا بربه في قوله: «بسم الله»، فاستلزم هذا دخول زيادة على الكلمتين تعبر عن هذه القيومية؛ فكانت الباء هي عين هذه الزيادة لأنها هي الأنسب من جميع الحروف الأخرى شكلا وعددا وصفات في التعبيرعن قيومية الخلق بالحق. فالاثنان عدد الباء هو أول عدد ظهر بقيومية الواحد. وقد روي عن الشيخ الكبير أبي مدين - رضي الله عنه – قوله : «ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء مكتوبة عليه» ، أي كأن لسان الحق يقول: «بي قام كل شيئ».

وقد أشار بعض السادة إلى ما ذكرناه فقال: [«بسم الله» منك بمنزلة «كن» منه].

فهذا بسط ما أشار على الإيجاز. فمن عرف «بسم الله»، لم يحتج إلى علم سواه، فإنه الحاوي لكل شيء، والساري في كل شيء، ولهذا بُدئ به.

وجعل الباء تعمل في الميم (أي ميم «بسم» لها الخفض بفعل الباء لأنها حرف جر) **عمل الإضافة في الهاء** (أي الهاء من الاسم «الله» لها أيضا الخفض بحكم الإضافة إلى «بسم»)، **وهو عمل انخفاض من أجل النزول إلينا لنعرفه؛ فإنا في الخفض، فلو جاء بعامل الرفع لم نطق ذلك.**

كناية «ب» من «بسم»

كنى بالباء عن الـ «هو» عند بعض شيوخنا - رحمه الله – (يعني: «هو اسم الله» بدلا من «بسم الله»). **وليس الأمر كما زعم، فإنه أرسلها مطلقة. ووجه التحقيق في ذلك إنما الكناية بالباء من كونها مكسورة؛ لأن باء الكناية التي هي بمنزلة الـ «هو» تظهر في مرتبة أخرى. ثم حذفت من مرتبتي الخط واللفظ من أجل سكون السين، وهي غيب في السر البرزخي الذي بين الباء والسين** (أي: الـ «هو» الذي هو عبارة عن غيب الحضرة الإلهية مطابق لألف القيومية؛ والألف بين الياء والسين من «بسم» حذفت لفظا وخطا).

وفي موضع هذه الياء الغيبية (أي: حرف «يا» من إنية «إني» في قوله تعالى: ﴿**إني أنا الله**﴾ تكافئ من بعض الوجوه «هو» ضمير الغائب من قوله: «هو الله»؛ وعدد «يا» هو نفس عدد «هو» أي ١١) **ظهرت الألف**

الإنية من: ﴿باسم الله مجريها﴾ [هود:٤١]. **و ﴿اقرأ باسم ربِّك﴾** [العلق :١].

فإن بعض الحذاق جعل الباء بدلا من ألف الوصل، ولو كان ما قاله حقا لما أظهره لتحقق الصادق الإمامة في: ﴿باسم الله مجريها﴾ [هود/ ٤١] **و ﴿اقرأ باسم ربك﴾ (أي: لو كانت الباء بدلا من ألف الوصل كما زعم البعض، لم يصح ظهورها بين الباء والسين في «باسم» من مواقع آيات أخرى غير البسملة).**

لكن الذي يعطي التحقيق، أن الباء من (براءة من الله) بدل من البسملة (أي أن سورة براءة هي السورة الوحيدة الخالية من البسملة في بدايتها، لكن الباء التي هي الحرف الأول من سورة براءة نابت عن البسملة كلها لانطوائها فيها)، **كأنها نقلت إلى سورة النمل في الكتاب السليماني** (أي انتقلت بسملة براءة بعد أن تركت عندها في بدايتها مفتاحها النائب عنها، أي الباء، انتقلت إلى سورة النمل حيث نجد البسملة في مطلع كتاب سليمان - عليه السلام- إلى بلقيس. والملاحظ أن بين السورتين يوجد عدد من السور على عدد حروف البسملة قال الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات: [واعلم أن بسملة سورة براءة هي التي في النمل؛ فإن الحق تعالى إذا وهب شيئا لم يرجع فيه ولا يرده إلى العدم. فلما خرجت رحمة براءة ، وهي البسملة ، بحكم التبري من أهلها برفع الرحمة عنهم، فوقف الملك بها لا يدري أين يضعها لأن كل أمة من الأمم الإنسانية قد أخذت رحمتها بإيمانها بنبيها، فقال: اعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان - عليه السلام-، وهي لا يلزمها إيمان إلا برسولها؛ فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به أعطيت من الرحمة الإنسانية حقها، وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» الذي سلب من المشركين]).

فهذا الحرف البائي إنما وقعت الكناية به في حال كسره (أي لأن العبد الكامل هو المتحقق أكمل تحقق بعبوديته وعبودته وافتقاره وانكساره إزاء الحق تعالى)، **لأنه ثنائي على صورة الحضرة الإلهية** (يعني بثنائية الحضرة الإلهية جمعها بين كل ضدين: فهو الأول الآخر الظاهر الباطن الخافض الرافع) . **فإنه عين العبد الجامع الإنساني الصوري** (سبق القول أن للباء

مرتبة الحقيقة المحمدية المتجلية في الإنسان الكامل المخلوق على صورة الرحمن).

وكذلك بالصورة الإنسانية، وهي حرف الباء، ظهر الاقتدار والحكم في المملكة. وبهذا كنى عنه بالخلافة. فكان ظاهرا لباطنيته المستخلفة، وشهادة لغيبته، ليكون مطلوبا أبدا. فيكون الإفتقار لازما والحاجة. ويكون العبد مقدسا مشهودا حجابا أحمى (أي أن كمال الظهور والبطون الإلهي حصل بوجود العبد الإنسان الكامل، فهو أكمل مظهر للتجلي الإلهي، قال تعالى في سورة الفتح: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح/ ١٠]. **وهو أينية المعنى المطلوب الذي كان في العماء** (يعني بأينية العماء الأينية الواردة في الحديث: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فأجاب ﷺ: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء»؛ فالحق تعالى استوى باسمه الرب في العماء، واستوى على العرش باسمه الرحمن، واستوى على قلب العبد الكامل بالاسم الذاتي الجامع: الله، قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [البقرة/ ٣١]. **وقد أشار من قدس غيبه لذلك فقال:**

«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي». فافهم.

اسم «الله»:

اسم وقع في القرآن باللسانين (أي أن هذا الاسم الأعظم له في القرآن دلالتان، الأولى: دلالته على الذات العلية كقوله تعالى: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [الإخلاص (التوحيد)/ ١]، وقوله: ﴿**والله غني عن العالمين**﴾؛ والثانية: دلالته على مرتبة الألوهية الجامعة للأسماء الحسنى، كقوله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى**﴾، وقوله: ﴿**الله الصمد**﴾). **وهو الاسم المحيط. فجميع الأسماء تحت حيطته، وهو لها كالذات لما تحمله من المعاني. وهو اسم الذات المجازية** (يعني التجليات الإلهية)، **التي ستتنوع في الصور على البصائر والأبصار. وظهر هذا التنوع البصري في أعيان الأرواح كالصورة الدحية، وشبهها** (أي الظهور بصور مختلفة لنفس الذات ظهر أيضا في المخلوقات، كتمثل جبريل – عليه السلام – في صورة الصحابي دحية المتميز بالجمال، حسبما ورد في السيرة). **وظهر هذا التنوع البصري في الإنسان، ويكون له التنوع البصري وقتا** (أي أن بعض الأولياء البالغين درجات عالية متميزة في التروحن واللطافة ظهر

منهم هذا التنوع في الصور المشهودة بالأبصار)، **وفي سوق الجنان قلب الأعيان في صور الإحسان** (يشير الشيخ إلى الحديث النبوي الشريف الوارد في سوق الجنة، حيث تتحول صورة من يدخلها إلى صورة أحسن وإلى الصورة التي يستحسنها). **فقد ظهر التنوع الإلهي في العالم، وهو ما يؤيد باب الصورة المفطورة** (يعني معنى الحديث «خلق الله آدم على صورته»، فتنوع صور العالم في كل آن ليس سوى تنوع التجليات الإلهية التي بها قيام العالم)..

والـ «هُوَ» من هذا الاسم (إي الهاء المرفوعة من اسم «الله»، وبإشباع الرفع تصبح «هو») : **هو اسم الذات الحقيقية التي تتنوع فيها الصور، وتتقدس في نفسها عن التنوع والتحول. وسيأتي اسم الـ «هُوَ» بعد هذا (أي أن الـ «هو» من أسماء الذات. يقول الشيخ في صلاته الأكبرية: «...الهوية التي هي في كل شيئ سارية وعن كل شيئ مجردة وعارية»).**

فهذا الاسم كلمة نفي رفعتها الروحانيات العُلى إليها، وشدت تمكنها بها، لتنفي بذلك كل ما سوى الـ «هو (أي في الآية ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو**﴾ : الـ «هو» مرفوع بالضمة، والرفع مناسب للعالم العلوي حيث الروحانيات العلى؛ ولهذا يقال أن «واو» الرفع مناسب لجبريل - عليه السلام-، وهو روح الهاء أو روح القدس؛ وأشار بالشدة إلى وجودها في الاسم «الله» وفي «إلا»، كما أشار بالنفي إلى «لا إله إلا»...)

وألف الـ «أنا»، ولام الألف النافية موجودة في رسم الـ «هو» (أي بكتابة: «هـاء، تظهر في الخط بعد الهاء ألف وهمزة «أنا»؛ **أي** في الهوية الذاتية تندرج الإنية الإلهية. كذلك إذا كتبت الهاء بالشكل الذي رسمه الشيخ في الفصل ٢٧ من الباب ١٩٨، يصبح شكلها على صورة لام ألف هكذا: ﴿).

هكذا فانظر «هو».

فالله الـ «هُوَ»، والـ «هُوَ» الله (قال تعالى في آخر سورة الحشر: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو**﴾ [الحشر/ ٢٣]، فابتدأ بالـ «هو» واختتم به).

فتارة يكون الـ «هو» بالـ «هو»، ولكن بوجود الـ «أنا» (قال تعالى في الآية ١٤ من سورة طه: ﴿**إني أنا الله لا إله إلا أنا**﴾ [طه/ ١٤]، فجاءت الهاء من «الله» بين «أنا» الأولى و «أنا» الأخيرة).

وتارة يكون الـ «هو» بالـ «أنا»، والـ «أنا» بالـ «هو» (أي: في الآية السابقة: هاء الهوية في «الله» مسبوقة بـ «أنا» الأولى، وهي نفسها السابقة لـ «أنا» الثانية).

فوقعت الألف الإنيّة غير متصلة ولا متصل بها ظاهرا وباطنا (أي: الألف الأولى من «أنا» منفردة غير متصلة بحرف لا قبلها ولا بعدها، فهي تشير لمرتبة الذات الأحدية الغنية عن العالمين).

ووقع الـ «هو» مثل ذلك باطنا لا ظاهرا رسميا (أي: أن الهوية الذاتية المطلقة هي عن كل شيئ عارية رغم أنها في كل شيئ سارية إذ لا قيام لشيئ إلا بها، هذا من حيث المعنى الباطن، أما في رسم الكتابة الرقمية فالهاء تتصل بالحرف الذي قبلها والذي بعدها)، **ولكن ظاهرا فهوانيا** (أي: ولكن في التلفظ يمكن النطق بهاء الهوية منفردا غير متصل بحرف آخر، وهو من أذكار خاصة الخاصة عند الصوفية حسبما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي وغيره). **فإنه لا يصح اتصالها مع كلمة العدم** (أي: «لا إله» النافية لتعدد الآلهة التي لا وجود لها؛ وبالتالي فتفي المعدوم تحصيل حاصل، ولهذا كان ذكر الخاصة بالاسم المفرد «الله» أو «هو»). **فإن الـ «هو» كلمة وجودية** (أي عبارة عن الواجب الوجود بذاته)؛ **وهذه حرف النفي، فإن الألف فيه ظاهر.**

ثم قد يقع الـ «هو» بالهاء، والـ «هيَ» (يشير الشيخ بالـ«هي»إلى الذات)، **وقد أشرنا لذلك، و «الياء» الإضافة في قولنا:**

انظر إذا ما قلت هُو أو قلت ها ... وتفطّن الخريت لي وتنبها
وأنا يولد منها هي والذي ... يعطي أنا تجد الدني تألها
ما ياء إني غير واو الهو ولا هو ... ذاته عند اللطائف والنهى
إن النهى معقولة بنفوسها ... وكذا النفوس بِهُوَ وهي عقلت وها
فإذا دعاها السِّر في غَسَق الدُجى ليحُلّها ... بالعين من عقد اللها
قالت: أنا محبوسة بدعائكم ... ما بين مبدي جودكم والمنتهى

ينظر تفصيل ما يعنيه الشيخ في هذه الأبيات في كتابه: «كتاب الياء وهو كتاب الهو» **وقد اندرج في الكلام في هذا الاسم اللسانان** (أي: لسان

الكلام باعتبار الهوية الذاتية في مرتبة الأحدية الصرفة المطلقة ، ولسان الكلام باعتبار الهوية في مرتبة الألوهية الطالبة للمألوه الذي هو العالم).

وهي إشارات قدسية تتميماتها غيب فيها، ليعرف المدعي المتسور على الحقائق أين هو، فلينتقل.

اسم « الرحمان » :

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الرحمان علَّم القرآن﴾ [الرحمان/ ١،٢].

رحيم بين رحمانين، كنهر بين بستانين؛ وتلميذ حديد القلب مُلقى بين أستاذين. فقل للحاذق النحرير إن السرّ في هذين.

﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ [الأعراف/ ١٨٠]، **وللرحمان الأسماء الحُسنى، وهما المدعوان. لكن «الله» منيع الحمى مفردا أبدا** (أي لم يتسم أحد غير الله تعالى بهذا الاسم الأعظم)؛ **و «الرحمان» منيع الحمى مثله ما دامت ألف أنا، ولام المعرفة معه** (أي لم يتسم أحد باسم «الرحمان» بألف ولام التعريف إلا الله تعالى). **فإذا زالا أخذته الإضافة، فقيل: «رحمان اليمامة»** (وهو الاسم الذي تسمى به مسيلمة الكذاب). **فهو منيع الحمى على الإطلاق، ولهذا ناب مناب الاسم الله.**

وإنما قبل الإضافة لأمرين: الأمر الواحد: ما ذكرناه من زوال ألف الأنا. والأمر الآخر: أنّ الله وهو الـ «هُوَ» إذا وقعت الكناية عنه، دخل النكران كما دخل في رحمان، فقيل: «إلهُكَ» و «إلهي»، كما قيل: «رحمان الدنيا والآخرة».

فلما وقع الشَّبَهُ بين الاسمين كان- كما ذكرناه – لسان من لم يقولوا: «وما الله» حين قيل لهم: «اعبدوا الله».

وقالوا: «وما الرحمان». حين قيل لهم:﴿اسجدوا للرحمان﴾ [الفرقان/ ٦٠].

فإن الرحمة تناقض التكليف، بخلاف الألوهية. فلهذا زادهم نفورا، فإنهم ما عقلوا الحقيقة. ولو عرفوا أن للرحمان الأسماء الحسنى، كما هي لله، لعرفوا أن من أسماء الرحمان المكلف (اسم فاعل) **والمعبود وغير ذلك. فافهم.**

ولما كانت المهيمنيّة (للاسم الرحمن) **على جميع الأسماء، لذلك اختص بالاستواء، وبما في السموات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، وبالعلم بالسّر وما هو أخفى** (أي الآيات ٥/ ٦/ ٧/ ٨ من سورة طه: الرحمن على العرش استوى (٥) له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى(٦) وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى(٧) الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى(٨).

فإن الـ «هو» المجاور للإنّ الحقيقي كناية عن الرحمن (أي: «إنه» من الآية ٧ السابقة راجعة إلى «الرحمن» في الآية ٥)

« الرحمان»: بعدم المعارضة والإعجاز؛ وهي علامته فيه؛ ولكن من كونه قرآنا لا فرقانا (يشير الشيخ إلى الآيات الأولى من سورة «الرحمن»: الرحمن علم القرآن).

ولهذا قال: ﴿قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء: ٨٨]، **ولم يقل الفرقان. فإن مقام الجمع صعب المنال جدا. فالرحمان جمع الجمع . فإنه المعلم الجاعل العلامة في عين الجمع بالتمانع، فافقه. ويكفي هذا القدر باللسانين** (أي بلسان اعتبار الاسم «الرحمن» من أسماء الذات، وبلسان اعتباره متجلي بصفة الرحمة وإمكان إضافته إذا حذفت منه ألف ولام التعريف).

اسم «الرحيم» :

اسم من ثلاثة أسماء ظهرت في كل منزلة (أي هو أحد الأسماء الثلاثة الظاهرة في البسملة الفاتحة **لكل** سورة، فالمنزلة هي السورة).

وهو اسم مشترك في التنكير، مفرد في التعريف (أي بالتنكير يمكن إطلاقه على الحق فهو تعالى «رحيم» بعباده، كما يمكن إطلاقه على المخلوق، فالرسول بالمؤمنين رؤوف رحيم. أما بألف ولام التعريف كما في البسملة فهو خاص بالحق تعالى وحده).

اسم مختص بالإيمان والتقوى والإنفاق والاتباع (أي مخصوص بأهل السعادة من المؤمنين المذكورين في الآية ١٥٦ من سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾).

وهو الاسم الكاتب على نفس الربّ. وهو في الألوهية مطلق (أي كما في البسملة تابع للاسم «الله»). **فإذا أتبع لاسم آخر فليس لضعف فيه، مثل قوله: ﴿غفور رحيم﴾** [البقرة / ١٧٣]، **و ﴿البر الرحيم﴾** [الطور/ ٢٨].

قال: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب/ ٤٣].

وقال: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فإن الرحمانية لها الوجود الإيجادي، ولها الصبغة (أي يمكن اعتبار «الرحمن» من أسماء الذات الواجبة الوجود كما سبق ذكره. وله الوجود الإيجادي لأنه منبع « نفس الرحمن – بفتح الفاء–» الذي ظهرت به وفيه مراتب الوجود. وله أيضا الصبغة باعتباره اسما صفاتيا).

والرحيم له الصبغة والنعت والصفة، وهو شجنة من مسمّاه إذا أطلق على الكون. فهو أبدا يطلب الوصل ويكره القطع والفصل (يذكر الشيخ هنا بالحديث النبوي: «**إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَنْكِبَيِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهَا: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ**»).

هو الآخر والمباشر للمنزلة (أي الاسم «الرحيم» هو آخر كلمة في البسملة، وتتلوه السورة مباشرة).

لأن المنزلة والمرتبة للشيء لا يكون إلا بعد وجود عينه. فكان الله ولا شيء معه. وهو الآن على ما عليه كان .

والرحمان: لإيجاد الأعيان. والرحيم: لتعيين المراتب. ولهذا كانت السورة من القرآن بالسين.

قال النابغة: (ألم تر أن الله أعطاك سورة) أي: منزلة.

ألف «أنا» أيّد الفهوانية به، ولام التعريف نكرة لكونه ليس «هو». فإن الـ «هو» لا يقبل الزيادة، لأنه نفس المعرفة. ولولا هذه الأسماء ما هي نائبة عن الـ «هو» ما كان لها هذا الحكم. ولما لم تكن عين الـ «هو»، لهذا قبلت التعريف (أي: ألف ولام التعريف في «الرحمن» و«الرحيم» من البسملة؛ لكن اللام فيهما لا تظهر في اللفظ فهي هنا نكرة. وألف الوصل فيهما ظاهرة في الفهوانية، أي في اللفظ، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا انفكاك للصفات عن الذات، فهي مظاهرها؛ فليس للأسماء حكم إلا

لأنها مظاهر للهوية الذاتية الظاهرة في آخر الاسم «الله». ولكنها ليست عين الـ «هو» لأن الـ «هو» مطلق بينما كل اسم مقيد في دلالته الخاصة، ولهذا تدخل ألف ولام التعريف على كل اسم إلهي، إلا الاسم المفرد الأعظم «الله» ففيه عين تعريفه، وهو أصل كل تعريف وبه سبحانه يعرف كل شيئ).

اسم « ربٌّ » الإضافة:(أي: من الآية ﴿رب العالمين﴾) :

الربُّ المضاف حُكمه حُكم ما أضيف إليه. لأنه لا يعطى إلاّ بحسب ما يقتضي مرتبة المضاف إليه، وأعلى مراتب الإضافة أن يضاف إلى كل ما سواه. فإنه يقرب من مرتبة الرب المطلق.

أين قوله: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة/ ٢] وغيرها كثير). وقوله: **﴿وهو رب كل شيء﴾** [الأنعام/ ١٦٤]، من قوله : **﴿ربكم وربُّ آبائكم﴾**، أو قوله: **﴿ربّ السموات﴾**.

فإذا أُطلق من غير تقييد فهو الـ «هو» الثابت (ذكر الشيخ نعت «الثابت» لأنه أحد المعاني الخمسة لاسم «الرب»، والأخرى هي: السيد الملك المصلح المربي) **وليس له حكم. فإنه ليس ثمَّ سوى الـ «هو»، وإذا قُيِّد فلا بد من وجود العين وظهور السلطان.**

اسم « مالك الملك » إذا أُظِيفا (أي من الآية ﴿ملك يوم الدين﴾) :

الكلام في إضافته كما تقدم في الرب. وهكذا كل مضاف إليه هذا الاسم تحت حيطة الرب، وهو عنه ومن سريته. ولا يصح أن يكون مطلقا أبدا لا بالقوة ولا بالفعل.

والمُلك مُلكان: مُلك يجوز بيعه، وملك لا يجوز بيعه.

فملك هذا المالك يصح فيه البيع من وجه، ولا يصح في مرتبة أخرى. ولهذا اشترى من المؤمنين أنفسهم، واشترى منه الضلالة بالهدى.

والمَلِكُ مَلِكان: مَلِك يعزل عنه مالكه، على زعم الذي يعزله. وهو قوله: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر/ ١٦]، **وملك لا يعزل عنه مالكه.**

وهـذا كلـه موجـود في الحـضرة الإلهيـة غـير العامـة لتنزلهـا، وعندنـا لمـا تعطيـه الحقائـق، وإن تنـزل. فلـولا مـا أعطـت الحقائـق تنزّلـه مـا تنـزل.

ولمـا كان لا يصـح مُلـك بـين اثنـين قلنـا هـذا، وقـد أقـرَّ لنـا بالملـك، فقـال: ﴿أو مـا ملكـت أيمانكـم﴾ [النسـاء/ ٣]. **فأيَّـدَ الملـك باليمـين التـي هـي القـوة، فصـحَّ. ولا تبـالي مـن الاشـتراك في الملـك، فإنـه ليـس بصحيـح عنـد الانتقـاد والفحـص. فـإن الـذي لهـذا منـه غـير الـذي للشريـك منـه** (أي: لا يملـك المخلـوق إلا مـا ملكـه الله تعـالى لـه، فـلا مالـك في الحقيقـة إلا الله تعـالى الـذي يرجـع إليـه الأمـر والخلـق كلـه). **فالملـك إذا مقِـرون بالوحدانيـة أبـدا.**

كناية « ك » (أي: من الآية ﴿إيك نعبد وإياك نستعين﴾) :

اسـم خطـابي يطلـب الحضـور والمشـاهدة والرؤيـة. لكـن بابـه الحضـور خاصـة، وقـد يكـون الحجـاب وقـد لا يكـون، إلا في حـق الله تعـالى. فـإن الخطـاب والمشـاهدة لا يجتمعـان، فـلا بـد مـن الحجـاب.

وأمـا في الكـون فـلا تبـالي بـشيء إلا المحبـين في وقـت مـا، لا في كل وقـت (أي لأن الخيـال يغلـب أحيانـا عـلى المحـب؛ وفي حـضرة الخيـال وحدهـا يمكـن الجمـع بـين المشـاهدة والخطـاب).

وهـذا الـكاف هـو اسـم للـذات المجازيـة، وكذلـك اليـاء في « إني أنـا ربـك » (طـه١٢)، **وغـير ذلـك** .(الـكاف النائـب عـن المخاطـب وهـو الحـق تعـالى – اسـم مفعـول–، واليـاء النائبـة عـن المتكلـم الحـق تعـالى، وأمثالهـما، لا يمثـلان في الحقيقـة إلا مـا يتصـوره المخاطـب – اسـم فاعـل –والسـامع في جنـاب الحـق تعـالى، وذلـك تابـع لاسـتعداده ومـدى وسـعه أو ضيقـه، فهـذا التجـلي الإلهـي الحاصـل للمخاطـب والسـامع هـو المعـبر عنـه بالـذات المجازيـة؛ أمـا الـذات حقيقـة الحقائـق فـلا يعلـم الله إلا الله: ﴿**ومـا أوتيتـم مـن العلـم إلا قليـلا**﴾) [الإسراء/ ٨٥].

وهـو المؤيـد للتسـعة عـشر (الـكاف المخاطـب كنايـة عـن الحـق تعـالى المعبـود المعـين عبـده الطالـب الإعانـة بقولـه «بسـم الله الرحمـن الرحيـم»)؛

والبسـملة تسـعة عـشر حرفـا. وهـم السـبعة والاثنـا عشر(السـبعة هـي الحـروف السـبعة مـن «بسـم الله»، والاثنـا عـشر حـروف «الرحمـن الرحيـم». وفي آخـر كتابـه «منـزل المنـازل الفهوانيـة» المختـصر في البـاب٢٢ مـن

الفتوحات، وضح الشيخ نظائر هذه السبعة والاثني عشر في العالم وفي دوائر الولاية وفي حضرات التشبيه الإلهي الواردة في الشرع).

ولا بد من عجز الكون، فلا بد من تأييد القادر، وهو العشرون وهو الكاف، وهو نظير الباء في العقد الأول، فإنه ثان (أي: عدد الكاف بحساب الجمل الكبير هو ٢٠، فهو ثاني العقود، وعدده بالحساب الصغير ٢ مساو لعدد الباء. فاشترك الكاف والباء في وظيفة استعانة المخلوق العاجز بالله تعالى القادر).

كناية « العابد » (أي الآية: ﴿إياك نعبد﴾) :

نيابة «مرضت فلم تعدني، وجعتُ فلم تطعمني» (أي لا قيام لأي شيء إلا بالله تعالى سواء كان الشيئ في غاية القوة والنور أو في منتهى الضعف والظلمة، إذ لا إله إلا هو الواحد الأحد؛ ولولا توفيق الله عبده لعبادته لما كان عابدا ولا ذاكرا، ففي الحقيقة هو سبحانه الذاكر المذكور، قال تعالى: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ [**الأنفال/ ١٧**].

وهذا الاسم هو الذي يهب من تحت الأرجل (أي أن العابد إذا رأى نفسه في عبادته قائما بربه على منهاج شرعه وسنة نبيه، فهذا هو السعي الصالح والكسب الفالح المثمر سعادة الأبد فالوهب من تحت الأرجل عبارة عن السعي الدؤوب الصالح تحققا بالعبودة، أي الحرية في عين العبودية؛ والأرض تحت الأرجل مذللة معبدة، وهو تعالى الذي ﴿**في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ [الزخرف/ ٨٤]. تمامها هكذا: «وهو الذى فى السماء اله وفى الارض إله، وهو الحكيم العليم «). وكان الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – يكنى بأبي تراب)، **وكان يدعو عليه السلام، ويستعيذ أن يغتال من تحته.**

ومن تخلق بهذا الاسم «العابد» لم يكن أحد فوقه (أي بقدر تواضع العبد يكون علوه عند الله؛ والمتخلق بـ «العابد» هو المتحقق بالعبودة العابد الله بالله لله، وهو الإنسان المحمدي الكامل القائل بلسان الحق ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ [**الزخرف/ ٨١**].

وهو المدعو بقوله: «اهدنا»، و «لا تؤاخذنا»، و «افعل لنا»، و «اصنع لنا» (أي أن الله تعالى يستجيب لعبده سؤاله بالحال والمقال).

وعن صورة هذا الاسم صدر العالم (لأن الله تعالى خلق العالم لعبادته: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾) [الذاريات/ ٥٦]، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**خلق آدم على صورته**« (أي كما يطيع العبد ربه بتوفيقه، فكذلك الحق تعالى يستجيب لعبده، بل لا قيام للعبد في كل آن إلا به وبعنايته). هذه هي الصورة الحقيقية. وأما الصورة المجازية فمن الذات المجازية (أي أن تحول صورة الإنسان باطنا وظاهرا في كل آن بفعل الخلق المتجدد ، مظهر لتحول صور التجلي الإلهي). ولهذا قال: «**خلق آدم**». فخصّ هذا الاسم. فإن الآدمية لها هذا المقام (كل العالم تتجدد صوره في كل آن، لكن اختص آدم بالجمعية الكاملة لكل ما تفرق).

كناية الـ« نستعين» :(أي الآية: ﴿إياك نستعين﴾) :

نيابة: لا يصح كمال الحمد والمعرفة في الوجود إلا بوجود حمد الكون ومعرفته، وحينئذ تكون المراتب كاملة؛ وكان طلب العون لكمال الحمد والمعرفة والكون إذ ذاك لا شيء، لكنه من الأشياء العلمية (أي: حمد الكون ومعرفته هما الحمد والمعرفة الحادثين المقيدين، بينما الحمد والعلم الإلهيين أزليين؛ وبالتالي لم تكمل ولم تظهر مراتب الوجود والعلم والمعرفة والحمد إلا بوجود الحادث المقيد، فبضدها تتميز الأشياء، والأسماء الحسنى طالبة ظهور آثارها الكونية ، فقبلت الأعيان الثابتة في العلم القديم مساعفتها بظهور الوجود العيني؛ والله تعالى غني عن العالمين الغنى الذاتي).

لأن مراتب الوجود أربعة (هي الوجود في العلم، والوجود في اللفظ أو الفهوانية، والوجود في الرقم أي الكتابة، والوجود العيني الظاهر في الخارج).

فخوطب في مرتبة ما منها بطلب العون. طلبه الاسم العابد بالاسم المستعين. فأجاب الكون، فخرج من وجود العلم إلى وجود العين. فكان العون المطلوب في كمال المراتب. فكان المتعين هذا منه إنما هو مطلوب معاوضة. فطلب العابد والمستعين من المعين والمستعين، والمستهدى من المستهدي.

وكما أعنتك فأعنّي، وكما هديتك فاهدني.

وهـذا في كل نيابـة. فأفهـم سر الله مـا أعجبـه (هـذا كلـه تعبـير عـن المضايفـة بـين الـرب والمربـوب، فـلا ظهـر لأحدهمـا دون الآخ).

كناية « المستهدي » : (أي الآية: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾) :

نيابـة: مـن طلـب منـك العـون في أمـر مـا، فقـد طلـب منـك الهدايـة إلى ظهـور طريـق ذلـك. فإنـه بـك يظهـر، فأنـت المُبين لـه والمُهـدي، فـإن العـين يجـب أن تـراه.

ولهـذا الاسـم المسـتهدي فـإن العلـم بـه ثابـت، لكـن العـين لـه فاقـدة، ولا يهتـدي لطريقـه إلا بوجـوده. فلهـذا كان الكـون المسـتهدي والهـادي (هـذا الـكلام عبـارة عـن أن لا ظهـور للحـق تعـالى بأسـمائه إلا في مظاهـر خلقـه).

ثـم هـذه الكنايـة تتنـوع بحسـب مـا يكنـى بـه عنهـا مـن الأمـور، ومـا يتوجـه بـه عليـه، وقـد يكـون اسـما، ولكـن لا بـد أن يكـون مسـندا فإنـه غـير مسـتقل، كأكثـر الأسـماء، إلا القليـل مثـل الحـي، والثابـت، والعـالم. وقليـل مـن سُرَّ بـه.

الاسم « المُنعِمُ » :

اسـم أظهـر بـه النعمـة التـي هـي أثـره، فهـو عنهـا كـما هـي عنـه، فصـار الأمـر دوريـا، واتصلـت أواخـر الدوائـر بأولهـا. فلـم يتعـين أول عـن آخـر، ولا آخـر عـن أول. غـير أن هـذا الاسـم، وإن انسـحب عـلى جميـع النعـم، كـما تنسـحب عليـه جميـع النعـم مـن بـاب الإجمـال، ولكـن لا بـد مـن تقييـده بنعمـة مخصوصـة، أي لا شـخصية. لا يصـح إطلاقـه مرسـلا، مثـل المنعـم في الفاتحـة بالسـلوك عـلى الـصراط المسـتقيم الـذي هـو السِّرُّ فيـه، أو في الأشـياء بـه، ولا بـد.

فهذا معنى تقييده. وكذا جميع الأسماء والكنايات.

كناية «المغضوب عليه» :

نيابـة ظهـرت في الكـون عنـه تقديسـا للجانـب الأحمـى، توقـاه مـن هـذه الكنايـة بنفسـه، ولهـذا شرف الكـون حيـث كان حبـه الـذم المتعـارف عـن الجانـب القـدسي. وتحقيـق هـذا اللسـان أن كل اسـمين تقابـلا كالمبـلي والمنعـم، ومـا أشـبه ذلـك، إذا ظهـر سـلطان أحدهمـا في المحـل فـإن مقابلـه

معـزول معـروض عنـه، فهـو مغضـوب عليـه، إلى أن يـدور الـدور وتـأتي دولتـه ويعـزل صاحبـه، فينعكـس الغضـب عليـه (أي بظهـور دولـة الاسـم «الخـاذل» يعـزل الاسـم «النـاصر»، وبقـدوم صولـة «الغفـار» تنسـحب جولـة الاسـم «المنتقـم»).

ولذلـك فـإن الغضـب لا يصـح للـذوات، وإنـما يطلـب صاحـب الفعـل وهـو الاسـم المقابـل، فهـو المغضـوب عليـه؛ وهـو المضـل مثـلا، والخـاذل. فـإن الهـادي صاحـب المنعـم، فهـو يطلـب المغضـوب الـذي هـو المضـل. فافهـم.

كنابة « الضَّال » :

نيابـة الضـال هنـا عـن طريـق مخصـوص دعـاه إليـه الاسـم الهـادي (أي أن المهتـدي في طريـق هـو ضـال عـن طريـق آخـر، لكـن الهدايـة الحقيقيـة هـي التـي تـؤول بصاحبهـا إلى السـعادة الأبديـة). **وكان المدعـو عنـك ذلـك بحـب، فسـلك بـه طريـق غـير الهـدى، فسـمى الهـادي المضـل ضـالا، لعدولـه عـما دعـاه إليـه ممـا يوافـق غـرض المدعـو آجـلا لا عاجـلا. فبانـت الحقائـق.**

الباب العاشر

شرح الباب الخامس في أسرار البسملة من الفتوحات المكية

الباب الخامس من «الفتوحات المكية» في معرفة أسرار «بسم الله الرحمن الرحيم» من وجه مّا، لا من جميع الوجوه

بسملة الأسماء ذو منظرين ما بين إبقاء وإفناء عين

(أي: العالم بين بقاء وفناء بحكم الخلق المتجدد في كل آن. والتجلي الذاتي كما يظهر من أسماء الذات في البسملة، أي «الله الرحمن»، يستلزم الإفناء من حقيقة قوله تعالى: ﴿**كل شيئ هالك إلا وجهه**﴾ [القصص/ ٨٨] وقوله: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ [البقرة/ ١١٥] وقوله: ﴿**كل من عليها فان**﴾ [الرحمن/ ٢٦]. وما يتضمنه الاسم «الله» من أسماء الإيجاد والإمداد، والاسمين «الرحمن الرحيم» من رحمة الخلق، يكون بقاء العالم).

إلا بمن قالت لمن حين ما خافت على النمل من الحطمتين

فقال من أضحكه قولها هل أثر يطلب من بعد عين

(يشير الشيخ إلى أن رحمة البسملة التي كان سليمان – عليه السلام– متحققا بها، كما يظهر في بداية كتابه لبلقيس: ﴿**إنه من سليمن وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ [الآية ٣٠ من سورة النمل]، كانت سببا في نجاة النمل من التحطيم، كما جاء في الآية ١٨ من نفس السورة: ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي**

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾. وفي الباب الثاني من الفتوحات، قال الشيخ أن البسملة التي غابت عن بداية سورة براءة سلبت عن المشركين، وأعطيت للبهائم التي آمنت بسليمان - عليه السلام، فنالت من الرحمة الإنسانية حظّها).

يا نفس يا نفس استقيمي فقد عاينت من نملتنا القبضتين

(أي قبضة التحطيم والجلال والقهر والشقاء، وقبضة الرحمة بالإبقاء واللطف والسعادة لمن وفقه الله تعالى للاستقامة الشرعية).

وهكذا في الحمد فاستثنها إن شئت أن تنعم بالجنتين
إحداهما من عسجد مشرق جملتها وأختها من لجين

(في سورة الفاتحة المفتتحة بالحمد بعد رحمات البسملة، جاء ذكر «العالمين» متبوعا برحمتي البسملة من «الرحمن الرحيم»، أي أن العالم مكتنف بالرحمتين السابقة واللاحقة. فهو بين جنة الرحمة الإحاطية من «الرحمن»، والجنة الاختصاصية من «الرحيم». قال تعالى في سورة الحديد: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم (28) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾. وأشار الشيخ بالجنتين إلى قوله تعالى في الآية ٤٦ من سورة الرحمن: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ إلى قوله: ﴿**ومن دونهما جنتان**﴾ الآيات إلى آخر السورة. وجاء في الحديث الشريف وصف إحداهما «كعسجد مشرق»، والأخرى «أختها من لجين»؛

ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما؛ وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما؛ وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.»

لما أردنا أن نفتتح معرفة الوجود وابتداء العالم، الذي هو عندنا المصحف الكبير، الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال، كما أن القرآن تلاوة

قول عندنا. فالعالم حروف مخطوطة مرقومة في رق الوجود المنشور، ولا تزال الكتابة فيه دائمة أبداً لا تنتهي. ولما افتتح الله تعالى كتابه العزيز بفاتحة الكتاب، وهذا كتاب أعني العالم الذي نتكلم عليه، أردنا أن نفتتح بالكلام على أسرار الفاتحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

و «بسم الله» فاتحة الفاتحة؛ وهي آية أولى منها، أو ملازمة لها كالعلاوة، على الخلاف المعلوم بين العلماء. فلا بد من الكلام على البسملة (...).

فأقول إنه لما قدمنا أن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم، وأنها المسلطة عليه والمؤثرة، لذلك كان «بسم الله الرحمن الرحيم» عندنا خبر ابتداء مضمر، وهو ابتداء العالم وظهوره، كأنه يقول: «ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم»، أي: «باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم».

واختص الثلاثة الأسماء، لأن الحقائق تعطي ذلك. فـ «الله» هو الاسم الجامع للأسماء كلها؛ و «الرحمن» صفة عامة، فهو رحمن الدنيا والآخرة، بها رحم كل شيء من العالم في الدنيا؛ ولما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة، فإنها تنفرد عن أختها، وكانت في الدنيا ممتزجة، يولد كافراً ويموت مؤمناً، أي ينشأ كافراً في عالم الشهادة، وبالعكس، وتارة وتارة. وبعض العالم تميز بإحدى القبضتين، بإخبار صادق، فجاء الاسم «الرحيم» مختصاً بالدار الآخرة لكل من آمن. وتم العالم بهذه الثلاثة الأسماء، جملة في الاسم «الله»، وتفصيلاً في الاسمين «الرحمن الرحيم». فتحقق ما ذكرناه، فإني أريد أن أدخل إلى ما في طيّ البسملة والفاتحة من بعض الأسرار، كما شرطناه. فلنبين ونقول:

بسم

الباء:

بالباء ظهر الوجود (لأنها كما سبق بيانه عبارة عن أول موجود أي الحقيقة المحمدية، ومنه تفرعت الكوائن عبر مراتب الوجود)؛ **وبالنقطة تميز العابد من المعبود** (أي لأن صورة الباء على شكل صورة الألف الممدودة ﴿**كل يعمل على شاكلته**﴾ [الإسراء/ ٨٤]؛ ولا تتميزان إلا بالنقطة تحت الباء؛ فآدم حتى إن كان مخلوقا على صورة الرحمن، فهو حادث مخلوق مقيد عاجز ليس له من الأمر شيئ، والأمر كله لله تعالى

الـذي ليـس كمثلـه شـيء وهـو السـميع البصـير)؛ **قيـل للشـبلي - رضي الله عنـه -: «أنـت الشـبلي»؟ فقـال: «أنـا النقطـة التـي تحـت البـاء»، وهـو قولنـا: النقطـة للتمييـز؛ وهـو وجـود العبـد بـما تقتضيـه حقيقـة العبوديـة. وكان الشـيخ أبـو مديـن- رحمـه الله- يقـول: «مـا رأيـت شـيئا إلا رأيـت البـاء عليـه مكتوبـة»**.

فالبـاء المصاحبـة للموجـودات مـن حـضرة الحـق في مقـام الجمـع والوجـود، أي: «بي قـام كل شيء وظهـر». وهـي مـن عـالم الشـهادة (أي: مخرجهـا مـن الشـفتين. والحـروف الشـفوية مناسـبة لعـالم الشـهادة الظاهـر؛ كـما أن الحـروف الصدريـة، كالهمـزة والهـاء، تناسـب عـالم الغيـب الباطـن؛ ومـا بينهـما يناسـب العـالم الجـبروتي الأوسـط).

هـذه البـاء بـدل مـن همـزة الوصـل التـي كانـت في الاسـم قبـل دخـول البـاء؛ واحتيـج إليهـا إذ لا ينطـق بسـاكن؛ فجلبـت الهمـزة المعـبر عنهـا بالقـدرة محرّكـة، عبـارة عـن الوجـود، ليتوصـل بهـا إلى النطـق، الـذي هـو الإيجـاد، مـن إبـداع وخلـق، بالسـاكن الـذي هـو العـدم، وهـو أوان وجـود المحـدث بعـد أن لم يكـن، وهـو السـين. فدخـل في الملـك بالميـم: ﴿ألسـت بربكـم قالـوا بلـى﴾ [**الأعـراف/ ١٧٢**] (أي أن الهمـزة، وهـي التـي لهـا الأولية في الحـروف كالألف،هـي هنـا عبـارة عـن القـدرة الإلهيـة المبدعـة للخلـق السـاكن في العـدم، لكـن هـذا السـكون المتمثـل في سـين «بسـم» اسـتلزم أولا ظهورالبـاء قبلهـا، إذ لا ينطـق بسـاكن. وهكـذا حصـل الإبـداع بالمـرور مـن سـكون العـدم إلى ميـم الملـك الكـوني المقـر بربوبيـة خالقـه كـما في الآيـة المذكـورة. وهـي ميـم البسـملة. فظهـرت الحقائـق الكليـة في هـذه الحـروف الثلاثـة الأولى: بـاء الحقيقـة المحمديـة النائبـة عـن همـزة وصـل القـدرة التـي تبـدع ميـم الملـك المسـبوق بسـين العـدم).

فصـارت البـاء بـدلاً مـن همـزة الوصـل، أعنـي القـدرة الأزليـة. وصـارت حركـة البـاء لحركـة الهمـزة، الـذي هـو الإيجـاد. ووقـع الفـرق بـين البـاء والألـف الواصلـة؛ فـإن الألـف تعطـي الـذات، والبـاء تعطـي الصفـة، ولذلـك كانـت لعـين الإيجـاد أحـق مـن الألـف بالنقطـة التـي تحتهـا، وهـي الموجـودات. فصـار في البـاء الأنـواع الثلاثـة: شـكل البـاء، والنقطـة، والحركـة: العـوالم الثلاثـة. فكـما في العـالم الوسـط توهـم مـا (أي لأن العـالم الجـبروتي الأوسـط هـو الـبرزخ بـين عـالم الأرواح والمعـاني المجـردة وبـين الأجسـام

الحسية الكثيفة؛ وفي هذا البرزخ عوالم الخيال التي أشار الشيخ إليها بأن فيها توهم ما، لأن التوهم من ضروب التخيل)؛ **كذلك في نقطة الباء** (أي لأن نقطتها واقعة في الوسط البرزخي بين شكل الباء وشكل الكسرة تحت النقطة). **فالباء ملكوتية، والنقطة جبروتية، والحركة شهادة ملكية** (أي باعتبار الكتابة الرقمية، فإن الرسم الأعلى مناسب لأعلى العوالم وهو الملكوت، وهو هنا الباء؛ والرسم الأوسط للعالم الأوسط وهو الجبروت، وهو هنا النقطة؛ والرسم الأسفل لعالم الملك والشهادة، وهو هنا الكسرة المعبرة عن **الخفض**).

والألف المحذوفة التي هي بدل منها، هي حقيقة القائم بالكل- تعالى -، واحتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء (أي رحمة بالمخلوقات التي لا طاقة لها برؤية سبحات أنوار العزة الإلهية؛ فكانت الحقيقة المحمدية الحجاب الأعظم المتلقي لها لتقسمها بأمر الله تعالى وقدرته على الخلائق وفق استعداداتها. قال تعالى عن كلامه العزيز الثقيل التي تتصدع له الجبال: ﴿**فإنما يسّرناه بلسانك**﴾، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «وإنما أنا قاسم والله يعطي»).

وعلى هذا الحد تأخذ كل مسألة في هذا الباب مستوفاة بطريق الإيجاز.

حروف «بسم» :

فـ «بسم» و «الم» واحد (أي: كما ظهرت الحقائق الكلية والعوالم الثلاثة الجامعة في «بسم» كما سبق بيانه،فكذلك الشأن في الحروف الفاتحة لسورة البقرة بعد الفاتحة: فالألف من الصدر مخرجها المناسب لعالم الملكوت الأعلى، واللام من اللسان أي العالم الجبروتي الأوسط ، والميم من مخرج الشفتين المناسب لعالم الملك والشهادة. وكذلك ما في الباء من العوالم الثلاثة، نجده في الألف: فهمزتها غيب ملكوتي، ولامها جبروتي أوسط، ومخرج الفاء مشترك بينها وبين الباء والميم، أي الشفتان).

ثم وجدنا الألف من بسم قد ظهرت في: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق/ ١]، و ﴿باسم الله مجراها﴾ [هود/ ٤١]، بين الباء والسين، ولم تظهر بين السين والميم. فلو لم تظهر في «باسم» السفينة ما جرت السفينة (أي لا جريان للسفينة، كما لا حركة ولا سكون في الكون إلا بقيومية الحق

تعالى الذي هو على كل شيئ شهيد)؛ **ولو لم تظهر في ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق/ ١] ما علم المثل حقيقته ولا رأى صورته** (يشير الشيخ بـ «المثل» إلى الإنسان الكامل سيدنا محمد ﷺ، من الآية ﴿**ليس كمثله شيئ**﴾ [الشورى/ ١١]؛ فلولا قيومية الحق تعالى، المشار إليها بألف الوصل، ما استطاع أحد أن يعرف حقيقته ولا حقيقة أي شيئ، ولا استطاع الإنسان أن يرى صورته الكمالية التي خلق عليها، المذكورة في الحديث النبوي: «خلق الله آدم على صورته»، وفي رواية «**على صورة** الرحمن»)، **فتيقظ من سنة الغفلة وانتبه. فلما كثر استعمالها في أوائل السور حذفت لوجود المثل مقامه في الخطاب وهو الباء. فصار المثل مرآة للسين** (السين هنا هو الموجود التالي للموجود الأول، كالسين بعد الباء من «بسم». والموجود الأول هو القلم الأعلى المسمى أيضا بالعقل الأول، أي أول مظاهر الحقيقة المحمدية المشار إليها بالباء؛ والموجود الثاني هو اللوح المحفوظ المسمى أيضا بالنفس الكلية. فكما جاءت الباء على صورة الألف، كذلك جاءت سين اللوح على صورة باء القلم، فصارت مثلا لها، والعلاقة بينهما كعلاقة آدم بحواء).

فصار السين مثالاً. وعلى هذا الترتيب نظام التركيب (أي صارت كل مرتبة وجودية مثالا للمرتبة التي تتلوها: فالأرض صورة في كرة السماوات، والسماوات صورة في الكرسي، والكرسي صورة في العرش، والعرش صورة في الهباء، والهباء صورة في الطبيعة، والطبيعة صورة في النفس الكلية اللوح المحفوظ، والنفس صورة في العقل الكلي، وهذا العقل مظهر للحقيقة المحمدية العنصر الأعظم، وهو صورة في العماء، وهو صورة في علم الله الأزلي).

وإنما لم تظهر بين السين والميم، وهو محل التغيير وصفات الأفعال (أي لأن الميم عبارة عن ملك عالم الشهادة)، **أن لو ظهرت لزال السين والميم إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء** (أي من حيث كون الباء مظهرا لصفة القدرة الخلاقة لا من حيث حرفيتها المخلوقة الحادثة)، **فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم، إذ كان سبب بقاء وجودهم: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ [الشورى/ ٥١]؛ وهو الرسول** (أي الباء ظاهرا، أما باطنا فهو ألف الوصل الغائبة شهودا الحاضرة وجودا وإيجادا،إذ لا قيام للرسول إلا بمن أرسله).

فهذه الباء والسين والميم العالم كله.

الميم:

ثم عمل الباء في الميم الخفض، من طريق الشبه بالحدوث، إذ الميم مقام الملك، وهو العبودية؛ وخفضتها الباء،عرفتها بنفسها، وأوقفتها على حقيقتها (أي لأن وظيفة الرسول تعريف الخلق بعبوديتهم لله تعالى). **فمهما وجدت الباء وجدت الميم في مقام الإسلام** (أي مقام التسليم للحق الذي جاء به الرسول، والتسليم يتمثل في الحروف بحركة الخفض التي سببها هنا الباء لأنها حرف جر).

فإن زالت الباء يوماً ما لسبب طارئ، وهو ترقي الميم إلى مقام الإيمان، فتح في عالم الجبروت بسبح وأشباهه (أي الآية: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ [سبح/ ١]، حيث تكون الميم منصوبة بحركة الفتح الوسطى بين الخفض والرفع؛ والوسط مناسب لعالم الجبروت الأوسط بين عالم الملك والشهادة وعالم الملكوت الرفيع الأعلى).

فأمر بتنزيه المحل لتجلي المثل فقيل له: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ [سبح/ ١] **الذي هو مغذيك بالمواد الإلهية فهو ربك** (أي لأن الرب هو المربي المغذي)، **بفتح الميم. وجاءت الألف ظاهرة وزالت الباء، لأن الأمر توجه عليها بالتسبيح، ولا طاقة لها على ذلك، والباء محدثة مثلها، والمحدث من باب الحقائق لا فعل له، ولابد لها من امتثال الأمر، فلا بد من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم.**

فلما ظهر فعلت القدرة في الميم التسبيح فسبح كما أمر. وقيل له «الأعلى»، لأنه مع الباء في الأسفل (أي لأن الباء حرف جر تخفض المتصل بها). **و (هو) في هذا المقام في الوسط ، ولا يسبح المسبح مثله، ولا من هو دونه، فلابد أن يكون المسبح أعلى. ولو كنا في تفسير سورة** ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ **لأظهرنا أسرارها.**

فلا يزال في هذا المقام حتى يتنزه في نفسه، فإن من ينزهه منزه، فإنه منزه عن تنزيهه؛ فلابد من هذا التنزيه أن يعود على المنزه، ويكون هو الأعلى. فإن الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه «الأعلى»، فإنه من أسماء الإضافة، وضرب من وجوه المناسبة، فليس بأعلى ولا أسفل ولا أوسط، تنزه عن ذلك وتعالى علوّاً كبيراً. بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل

إليه نسبة واحدة؛ فإذا تنزه (أي الميم الذي هو عبارة عن العبد المترقي في معارج الإيمان) **خرج عن حد الأمر، وخرق حجاب السمع** (أي انتقل من المخاطبة إلى الشهود والمعاينة)، **وحصل المقام الأعلى، فارتفع الميم بمشاهدة القديم، فحصل له الثناء التام بـ ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾** (أي أصبحت للميم حركة الرفع العلوي لالتحاقه بالملإ الأعلى). **فكان الاسم عين المسمى، كذلك العبد عين المولى** (أي من حيث أن لا وجود للعبد ولا قيام له في كل آت إلا بمولاه): **من تواضع لله رفعه الله؛ وفي الصحيح من الأخبار أن الحق يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره** (أي في الحديث الصحيح المشهور عن المتقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد تمام الفرائض). **لو لم يقبل الخفض من الباء في بـ «اسم»، ما حصل له الرفع في النهاية في «تبارك اسم».**

ثم اعلم أن كل حرف من «بسم» مثلث على طبقات العوالم. فاسم الباء: باء وألف وهمزه. واسم السين: سين وياء ونون. واسم الميم: ميم وياء وميم. والياء مثل الباء، وهي حقيقة العبد في باب النداء (أي كندائه تعالى: ﴿**قل يا عبادي**﴾)، **فالياء هنا لها الخفض، مع وجود نقطتيها في العالم الأسفل كالباء.**

فما أشرف هذا الموجود، كيف انحصر في عابد ومعبود؛ فهذا شرف مطلق، لا يقابله ضد؛ لأن ما سوى وجود الحق تعالى ووجود العبد عدم محض، لا عين له.

السين :

ثم إنه سكن السين من «بسم» تحت ذل الافتقار والفاقة، كسكوننا تحت طاعة الرسول لما قال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾. فسكنت السين من «بسم» لتتلقى من الباء الحق اليقين؛ فلو تحركت قبل أن تسكن لاستبدت بنفسها وخيف عليها من الدعوى، وهي سين مقدسة، فسكنت، فلما تلقت من الباء الحقيقة المطلوبة، أعطيت الحركة؛ فلم تتحرك في بعض المواطن إلا بعد ذهاب الياء؛ إذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ في أمر مّا سوء أدب، إلا أن يأمره، فامتثال الأمر هو الأدب.

فقال عند مفارقة الباء يخاطب أهل الدعوى، تائهاً بما حصل له في المقام الأعلى: ﴿**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون**﴾ [الأعراف/ ١٤٦]؛ ثم تحرك لمن أطاعه بالرحمة واللين فقال: ﴿**سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ [الزمر/ ٧٣]، يريد حضرة الباء، فإن الجنة حضرة الرسول -عليه السلام-، وكثيب الرؤية حضرة الحق. فصدق وسلم تكشف وتلحق.

فهذه الحضرة هي التي تنقله إلى الألف المرادة؛ فكما أنه ينقلك الرسول إلى الله، كذلك تنقلك حضرته التي هي الجنة إلى الكثيب الذي هو حضرة الحق.

ثم اعلم أن التنوين في «بسم» لتحقيق العبودة وإشارات التبعيض (لمعرفة الفرق بين العبودية والعبودة والحرية وتركها ينظر في الفتوحات الأبواب: ١٣٠- ١٣١-١٤٠ -١٤١/ ؛ والعبودة هي غاية العبودية، أو الحرية في العبودية، كالتنوين الذي يظهر بخفض الخفض). فلما ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين، بإضافة التشريف والتمكين، فقال: «بسم الله» فحذف التنوين العبدي لإضافته إلى المنزل الإلهي (أي: لا وجود للتنوين في سين « بسم الله» بسبب إضافة «اسم» إلى الله. أي عندما لا يلتجئ العبد إلا إلى مولاه ولا ينتسب إلا إليه- ونسب الله هو التقوى- يحصل له الاصطفاء، ويبدل الله سيآته حسنات، ونقائصه كمالات، بحلوله مقام القرب من حضرة ربه، وزوال النظر إلى وهم الإنية المستقلة لنفسه). ولما كان تنوين تخلق، لهذا صح له هذا التحقق؛ وإلا فالسكون أولى به (أي إن لم يكن للعبد تحقق بالكمال المستودع فيه، فثبوته وسكونه في عدميته أولى به، كما قال تعالى عن حال الكافر يوم القيامة: ﴿**ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**﴾ [النبأ/ ٤٠]. فاعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل قوله: «الله» من «بسم الله»

ينبغي لك أيها المسترشد أن تعرف أولاً ما تحصل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف، وحينئذ يقع الكلام عليها إن شاء الله. وحروفها «ا ل ل ا ه و». فأول ما أقول كلاماً مجملاً مرموزاً، ثم نأخذ في تبيينه ليسهل قبوله على عالم التركيب.

وذلك أن العبد تعلق بالألف تعلق من اضطر والتجأ، فأظهرته اللام الأولى ظهوراً ورثه الفوز من العدم والنجاة. فلما صح ظهوره، وانتشر في الوجود نوره، وصح تعلقه بالمسمى، وبطل تخلقه بالأسماء، أفنته اللام الثانية، بشهود الألف التي بعدها، فناء لم تبق منه باقية، وذلك عسى ينكشف له المعمي. ثم جاءت الواو بعد الهاء لتمكن المراد، وبقيت الهاء لوجوده آخراً عند محو العباد، من أجل العناد. فذلك أوان الأجل المسمى.

وهذا هو المقام الذي تضمحل فيه أحوال السائرين، وتنعدم فيه مقامات السالكين، حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل. لا غير يثبت لظهوره، ولا ظلام يبقى لنوره. فإن لم تكن: تره. اعرف حقيقة «إن لم تكن»: تكن أنت، إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات، وهي العبودية.

يقول بعض السادة وقد سمع عاطساً يقول: «الحمد لله»، فقال له ذلك السيد: «أتمها كما قال الله رب العالمين»، فقال العاطس: يا سيدنا ومن العالم حتى يذكر مع الله؟»، فقال له: «الآن قله يا أخي، فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر». وهذا هو مقام الوصلة، وحال وله أهل الفناء عن أنفسهم. وأما لو فني عن فنائه لما قال «الحمد لله»، لأن في قوله الحمد أثبت العبد، الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم، وبالثوب عند آخرين (ينظر بيان هذا المعنى في النصوص السابقة المتعلقة بالرداء).

ولو قال: «رب العالمين» لكان أرفع من المقام الذي كان فيه. فذلك مقام الوارثين، ولا مقام أعلى منه، لأنه شهود لا يتحرك معه لسان، ولا يضطرب معه جنان. أهل هذا المقام في أحوالهم: فاغرة أفواههم، استولت عليهم أنوار الذات، وبدت عليهم رسوم الصفات، هم عرائس الله المخبؤون عنده، المحجوبون لديه، الذين لا يعرفهم سواه، كما لا يعرفون سواه؛ توجهم بتاج البهاء، وإكليل السناء، وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب، في بساط الأنس، ومناجاة الديمومية بلسان القيومية؛ أورثهم ذلك قوله: ﴿**على صلاتهم دائمون**﴾ [المعارج/ ٢٣]. ونظيرها في: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ كما في: [المعارج/ ٣٤] و﴿**بشهادتهم قائمون**﴾ [المعارج/ ٣٣].

فلم تزل القوّة الإلهية تمدهم بالمشاهدة، فيبرزون بالصفات في موضع القدمين (يعني به مقام الكرسي، حيث تتثنى الكلمة الإلهية العرشية الواحدة ، فيظهر الأمر والنهي، وما يؤول بأهله إلى قدم الصدق السعيدة أو قدم الجبار للأشقياء)؛ **فلا وله إلا من حيث الاقتداء، ولا ذكر إلا إقامة سنة أو فرض، لا يحيدون عن سواء السبيل؛ فهم بالحق وإن خاطبوا الخلق وعاشروهم فليسوا معهم، وإن رأوهم لم يروهم، إذ لا يرون منهم إلا كونهم من جملة أفعال الله، فهم يشاهدون الصنعة والصانع، مقاماً عمرياً. كما يقعد أحدكم مع نجار يصنع تابوتاً، فيشاهد الصنعة والصانع، ولا تحجبه الصنعة عن الصانع، إلا إن شغل قلبه حسن الصنعة، فإن الدنيا كما قال- عليه السلام- : «حلوة خضرة»، وهي من خضراء الدمن، جارية حسناء في منبت سوء، من أحسن إليها وأحبها أساءت إليه، وحرمت عليه أخراه. ولقد أحسن القائل** (وهو أبو نواس الحسن بن هانئ : ١٤٦- ١٩٨هـ)

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فهذه الطائفة الأمناء الصديقون، إذا أيدهم الله بالقوة الإلهية وأمدهم، فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال. وهذا أعلى مقام يرقى فيه، وأشرف غاية ينتهى إليها هذه الغاية القصوى، إذ لا غاية إلا من حيث التوحيد، لا من حيث الموارد والواردات؛ وهو المستوى، إذ لا استواء إلا (حيث) الرفيق الأعلى. فهنيئاً لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة، وهنيئاً لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة.

مرّ بنا جواد اللسان في حلبة الكلام فلنرجع إلى ما كنا بسبيله والسلام.

فأقول:

همزة هذا الاسم المحذوفة بالإضافة: تحقيق اتصال الوحدانية، وتمحيق انفصال الغيرية (أي أن الهمزة حذفت من الألف الأولى من الاسم «الله» في «بسم الله»، لأنها ألف وصل، وهي تشير إلى الوحدانية التي لا يمكن لأي شيئ الانفصال عنها لأن وجوده وقيامه لا يكون إلا بها، وبالتالي فهي ماحقة لكل توهم وجود انفصال ناجم عن توهم وجود غيرية مزاحمة لوحدانية الحق تعالى).

فالألف واللام الملصقة كما تقدم لتحقيق المتصل، ومحق المنفصل. والألف الموجودة في اللام الثانية لمحو آثار الغير المتحصل (أي كما محقت وحدانية ألف الوصل الأولى توهم وجود غيرية، فكذلك ألف المد بعد اللام الثانية محقت وحدانيتها كل أثر للغيرية يمكن أن ينجم من النظر إلى حرف اللام).

والواو التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر (إي باعتبار الهاء مشبعة الرفع بحيث يظهر في اللفظ واو، رغم عدم وجوده في الخط). **ومعناها في الوجود: بهاء الهوية، قد انتشر، أبداها في عالم الملك بذاتها، فقال «هو الله الذي لا إله إلا هو»** (أي هاء الهوية التي هي في كل شيئ سارية وعن كل شيئ مجردة وعارية، ظهرت في عالم الملك بالواو؛ لأن الهاء من الصدر المناسب مخرج حروفه لعالم الغيب؛ فللهاء البداية، بينما الواو آخر الحروف اللفظية مخرجا في الشفتين، وإليه انتهى النفس – بفتح الفاء –، و مخرج الحروف الشفوية مناسب لعالم الملك والشهادة الذي انتهى إليه النفس الرحماني).

فبدأ بالهوية وختم؛ وملكها الأمر في الوجود والعدم (أي تثبت الوجود الحق الواجب الوجود، وتمحي توهم الغيرية العدمية)؛ **وجعلها دالة على الحدوث والقدم** (أي هي دالة على الحدوث لأن قائلها مخلوق حادث نطق بضمير الغائب عنه، وهي دالة على القديم الأزلي- سبحانه- لدلالتها على الهوية الذاتية التي لها الأول والآخر، وبها ذكر الحق – تعالى- نفسه قبل أن يذكره خلقه).

وهو آخر ذكر الذاكرين وأعلاه، فرجع العجز على الصدر (أي انتهى ذكر الاسم «الله» بالهاء النبي مخرجها الصدر، تعبيرا عن عجز المخلوق أن يذكر الله تعالى حق الذكر كما يليق بمطلق كمالاته اللامتناهية؛ قال تعالى: ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ [الزمر/ ٦٧]، وقال أكمل الخلق ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»)، **فلاحت ليلة القدر** (إشارة إلى الآية: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ [القدر/ ١]، فالهوية الغيبية تنزلت بالإنية الحاضرة في ليلة قدر الذاكر العارف، عند عجزه عن ذكر ربه والثناء عليه كما ينبغي لجلال وجهه العظيم)؛ **وقف بوجودها أهل العناية والتأييد، على حقائق التوحيد.**

فالوجود في نقطة دائرة هذا الاسم ساكن؛ وقد اشتمل عليه بحقيقته اشتمال الأماكن على المتمكن الساكن. ولله المثل الأعلى:

والله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

البيت للشاعر أبي تمام: ١٨٨-٢٣١ هـ)

فقال تعالى: ﴿والله بكل شيء محيط﴾؛ ﴿أحاط بكل شيء علما﴾؛ وصير الكل اسماً ومسمى؛ وأرسله مكشوفاً ومعمى.

حل المقفل وتفصيل المجمل

يقول العبد: «الله» فيثبت أولاً وآخراً، وينفي باللامين باطناً وظاهرا (أي: الألف الأولى والهاء الأخيرة من الصدر المناسب لعالم الغيب الأعلى الذي له الثبوت، والعارض هو توهم وجود الغيرية، فلا بد من نفيه باللام العارضة بين الأول والآخر).

لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية (أي ألف المد بين اللام الثانية والهاء، وسنبين لاحقا لماذا وصفها الشيخ بالعلمية): **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾** [المجادلة/ ٧]، **الثلاثة اللام** (أي لأن عدده في حساب الجمل الصغير ثلاثة، وفي الكبير ثلاثون)؛ **﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾** [المجادلة/ ٧] ، **فالألف سادس في حق الهاء، رابع في حق اللام**(أي لأن عدد الهاء خمسة، وعدد اللام ثلاثة).

﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان/ ٤٥]: **العرش ظل الله، العرش: اللام الثانية وما حواه (أي**: الألف الأولى تشير إلى الحضرة الإلهية، واللام الأولى إلى ظلها الظاهر لأن تلك الألف الأولى ظاهرة للعين في الخط، واللام الثانية إلى ظلها الباطن وهو العرش وما حواه، لأنه مسامت لألف المد الموجودة لفظا الباطنة رقما حيث لا تشهد في الخط).

اللام الأولى بطريق الملك (أي من باب قوله تعالى: **﴿لله ملك السماوات والأرض﴾**) [الفتح/ ١٤]. **واللامان هما الظاهر والباطن من باب الأسماء، ظهرتا بين ألف الأول وألف الآخر؛ وهو مقام الاتصال؛ لأن النهاية تنعطف على البداية وتتصل بها اتصال اتحاد.**

ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة مخرج الانفصال (أي في اللفظ تكون الهاء الأخيرة منفصلة عن ألف المد التي بينها وبين اللام)، **والجزء المتصل بين اللام والهاء هو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيد؛ وذلك مركز الألف العلمية، وهو مقام الاضمحلال** (أي فوق الخط المرقوم المشهود بين اللام والهاء، تقف ألف المد بقيوميتها وصمديتها وواحديتها، وعندها يشاهد العبد سيده).

ثم جعل تعالى في الخط المتصل، جزءا بين اللامين، للاتصال بين اللام الأولى التي هي عالم الملك (أي لأن عالم الملك هو عالم الشهادة المناسب للام الظل الظاه)، **وبين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت** (أي لأن عالم الملكوت الباطن مناسب للام الثانية التي هي الظل الباطن للحضرة)، **وهو مركز العالم الأوسط عالم الجبروت، مقام النفس** (عالم الجبروت يقع بين عالم الملك الأدنى وعالم الملكوت الأعلى، فهو في الوسط، ومركزه هو مسقط المرتبة التي فوقه وهي مرتبة الملكوت، حيث أن ما من مرتبة وجودية إلا ومركزها القطبي القلبي مسقط للمرتبة التي فوقها، ومنها تستمد. وهذا العالم الأوسط هو في الإنسان مقام النفس، لأن مرتبتها وسطى بين مقام الروح الملكوتي والجسم الملكي المحسوس، وكذلك النفس الكلية بين الروح أو العقل الكلي وجسم العرش).

ولابد من خطوط فارغة بين كل حرفين، فتلك مقامات فناء رسوم السالكين من حضرة إلى حضرة (أي عند الانتقال من مقام إلى مقام، يفنى السالك عن المقام السابق مستعدا للترقي إلى المقام التالي، وهو المسمى بالوقفة بين المقامين، وهي حالة تجرد وفناء لأنه تخلى عن السابق ولم يتحل بعد باللاحق ، وإلى هذا الفراغ تشير الخطوط الفارغة بين كل حرفين).

تتميم:

الألف الأولى التي هي ألف الهمزة، منقطعة. واللام الثانية ألفها متصل بها.

قطعت الألف في أوائل الخطوط، لقوله عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه»؛ فلهذا قطعت، وتنزه من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها، والحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية التي هي الأمهات (أي أنها سبعة على عدد الأسماء الحسنى الأمهات التي

ترجع إليها كل الأسماء الأخرى، وهي: الحي، العليم، المريد، القدير، السميع، البصير، المتكلم).

وكذلك إذا كانت آخر الحروف، تقطع الاتصال من البعدية الرقمية، فكان انقطاع الألف تنبيهاً لما ذكرناه (أي تنزه الألف عن الاتصال بما بعدها إذا كانت في آخر الكلمة، يشير إلى تنزه واحدية الحق تعالى عن الاتصال والحلول والاتحاد. أما الألف في أول الكلمة المنقطعة عن ما قبلها وما بعدها فتشير إلى الأحدية حيث لا ظهور لأي غيرية إطلاقا).

وكذلك إخوته: فالألف للحق، وأشباه الألف للخلق، وذلك:[د ذ ر ز و] (ذكر الشيخ هذه الحروف التي لا تتصل في الخط بالحروف التي بعدها، مع الألف ولام الألف ، في عدة مواقع من الفتوحات مبينا أهمية رمزيتها. فمثلا في جوابه عن السِؤال ١٣٨ من أسئلة الحكيم الترمذي، المتعلق بحروف الاسم الأعظم يقول: « (هي): الألف، ولام الألف، والواو، والزاي، والراء، والدال، والذال. فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم، ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره، وانفعل عنه جميع ما توجهه عليه» - يعني بطوله تصرفه في عالم الآرواح ، وعرضه تصرفه في عالم الأجسام-... **وفي الباب ٢٧٥ المتعلق بسورة «الكافرون»، يتكلم عن عبادة الحرف للحرف وعبادة المعنى للمعنى فيقول:** «ولهذا كانت الألف في الوضع الإلهي بالخط العربي، إذا تقدمت في الكلمة لا تتصل ولا يتصل بها، وإذا تأخرت اتصل بها بعض الحروف، ممن لا علم له بالأحدية المطلقة التي تستحقها هذه الذات؛ إلا خمسة أحرف لا غير من جميع الحروف وهي: الدال، والذال، والراء، والزاي، والواو؛ وهي خمسة أحوال من اتصف بها عرف الأحدية وكانت عبادته ذاتية لم يقترن بها أمر، وهي عبادة المعنى للمعنى، فإن الأمر عبادة الحرف للحرف، فلا يخطر لعابد المعنى فرق بين الذات والألوهية ولا كثرة، بل يرى عيناً واحدة تستحق ما هو عليه هذا العارف من حيث معناه، لا من حيث حرفه. وهذا مقام الجلال، والعظمة، وأحدية العبد التي أعطته معرفة الأحدية الذاتية، والتنزيه، والغنى. فهذه أحوال خمسة تدل عليها الحروف الخمسة، التي لا تتصل بها الألف الواقعة في أواخر الكلم مثل جبيرا وعزيزا وأحدا وإذا وعلوا. فدلت الألف في أول الكلمة من عدم الاتصال على قوله : «كان الله ولا شيء معه»، وهو على ما عليه كان؛ مع وجود الأشياء من عدم الاتصال كما لم تتصل الألف بالكلمة.

ودل عدم اتصال الحروف الخمسة بها في آخر الكلمة على حال معرفة مقام بعض العباد، من العلماء بالله دون غيرهم، حيث رفعوا النسبة بينهم وبين الله تعالى، وأنهم مشاهدون لما ذكرناه من الجلال والعظمة والأحدية والتنزيه والغنى. وما عدا هذه الطائفة جعلوا نسبة ورابطة بين الإله والمألوه، وما فرقوا بين المرتبة والذات، لما لم يعرفوا الله إلا من نفوسهم بحكم الدلالة، لاستناد الممكن إلى المرجح؛ فطلبوه وطلبهم؛ ولهم من الحروف كل حرف اتصل بالألف في آخر الكلمة. ولهؤلاء الأكابر أيضاً قسم وحظ وافر في منزل هذه الحروف التي اتصلت من حيث حرفيتهم لا من حيث معناهم». انتهى كلام الشيخ... ويبدو أن الألف لها الأحدية الذاتية، وللدال العظمة، وللذال الجلال، وللراء رؤية أحدية العبد الذي ذكرها، وللزاي التنزيه، وللواو الغنى الذاتي. والملاحظ أن الذال يرجع في رسمه إلى الدال، كرجوع الجلال إلى العظمة؛ والزاي يرجع إلى الراء ، كرجوع التنزيه إلى رؤية أحدية العبد؛ والدال يرجع إلى رأس الواو، كرجوع العظمة إلى الغنى؛ والراء ترجع إلى تعريقة الواو، لأن تلك الرؤية ترجع إلى الغنى الذاتي المطلق؛ والواو هو آخر الحروف اللفظية مخرجا من الشفتين، ففيه طاقات كل الحروف التي انتهت بأنفاسها إليه، كالإنسان الكامل الذي انتهى إليه نفس الرحمن، فكان جامعا لكل الحقائق. وقلب الواو ألف الأحدية، فإليها المرجع الأخير: ﴿**وإليه يرجع الأمر كله**﴾ [هود/ ١٢٣].

في جميع الحقائق: جسم، متغذ، حساس، ناطق، وما عداه ممن له لغة؛ وانحصرت حقائق العالم الكلية (أي أن هذه الخمسة الكلية مناسبة للحروف الخمسة المذكورة التي لا تتصل بما بعدها من الحروف الرقمية).

فلما أراد وجود اللام الثانية، وهي أول موجود في المعنى، وإن تأخرت في الخط (لأنه كما سبق ذكره: اللام الثانية هي الظل الباطن، فلها الروح والملكوت، واللام الأولى هي الظل الظاهر، فلها الجسم والشهادة)، **فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهداً؛ وكذلك الخط شاهداً، وهي: عالم الملكوت، أوجدها بقدرته، وهي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرى من الإضافة؛ وهي لا تفارق الألف.**

فلما أوجدت هذه الألف اللام الثانية، جعلها رئيسة، فطلبت مرؤوساً تكون عليه بالطبع، فأوجد لها عالم الشهادة، الذي هو اللام الأولى. فلما نظرت إليه أشرق وأنار (أي كإشراق الجسم عندما تطلع عليه شمس الروح)، ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب**﴾ [الزمر/ ٦٩]، **وهو الجزء الذي بين اللامين** (أي أن الخط الواصل بين اللامين عبارة عن النور الواصل بين الروح والجسم، وبين الملكوت الغيبي وملك الشهادة، وهو الكتاب: ﴿**لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾). **أمر سبحانه اللام الثانية أن تمد الأولى بما أمدها به تعالى من جود ذاته؛ وأن تكون دليلها إليه؛ فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها، يكون لها كالوزير، فتلقي إليه ما تريده، فيلقيه على عالم اللام الأولى.**

فأوجد لها الجزء المتصل باللامين، المعبر عنه بالكتاب الأوسط، وهو العالم الجبروتي وليست له ذات قائمة مثل اللامين، فإنه بمنزلة عالم الخيال عندنا، فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء، وارتقم فيه ما أريد منها، ووجهت به إلى اللام الأولى، فامتثلت الطاعة حتى قالت: «بلى». (القصة الواردة في سورة الأعراف/ ١٧٢: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾.

فلما رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية، بوساطة الجزء الذي هو الشرع، صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء، راغبة له في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده، فلما صرفت الهمة إلى ذلك الجزء، واشتغلت بمشاهدته، احتجبت عن الألف التي تقدمتها: ﴿**ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً**﴾ [الحديد/ ١٣]. **ولو لم تصرف الهمة إلى ذلك الجزء، لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة، ولكن لا يمكن لسر عظيم، فإنها ألف الذات والثانية ألف العلم** (أي كأن سائلا يسأل: لماذا لم تتلق اللام الأولى الأمر مباشرة من أقرب ألف إليها وهي الألف الأولى من الاسم «الله»؟ فيجيب الشيخ أن الألف الأولى التي لا تتصل بما قبلها ولا بما بعدها هي عبارة عن ألف الذات في أحديتها التي لا وجود لأي غيرية عندها، وبالتالي فلا موصول ولا واصل، والتعلق والأمر والامتثال والعبادة لا يمكن أن تتعلق بالذات لغناها عن العالمين، إنما تتعلق بمرتبة الألوهية الطالبة لإيجاد وإمداد المألوه؛ وألف المد للام الثانية هي المشيرة إلى هذه المرتبة، ولهذا سماها الشيخ الألف العلمية،

لأنها تابعة لما يتصوره ويعلمه المخلوق من ربه، وهي أيضا ألف الوحدانية الجامعة للصفات، لا الأحدية الذاتية).

إشارة:

ألا ترى أن اللام الثانية لما كانت مرادة مجتباة، منزهة عن الوسائط، كيف اتصلت بألف الوحدانية اتصالاً شافياً، حتى صار وجودها نطقاً، يدل على الألف دلالة صحيحة، وإن كانت الذات خفيت (أي أن ألف المد هذه خافية عن الشهود لأنها غير مرقومة، وإنما تظهر في اللفظ لا في الخط، ومثلها مرتبة الألوهية التي تعلم- برفع التاء - ولا تشهد - برفع التاء-، بينما الذات- كما سبق ذكره- تشهد ولا تعلم)؛ **فإن لفظك باللام يحقق الاتصال، ويدلك عليها.**

«**من عرف نفسه عرف ربه**»: **من عرف اللام الثانية عرف الألف، فجعل نفسك دليلاً عليك؛ ثم جعل كونك دليلاً عليك دليلاً عليه، في حق من بعد. وقدم معرفة العبد بنفسه على معرفته بربه. ثم بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه، لما كان المراد منه أن يعرف ربه. ألا ترى تعانق اللام الألف، وكيف يوجد اللام في النطق قبل الألف؛ وفي هذا تنبيه لمن أدرك** (أي عند النطق بحرف لام ألف: اللام المشير إلى النفس، تسبق الألف المشيرة لحضرة الرب).

فهذه اللام الملكوتية (أي اللام الثانية) **تتلقى من ألف الوحدانية** (أي ألف المد بين اللام والهاء) **بغير واسطة، فتورده على الجزء الجبروتي** (أي الخط الواصل بين اللامين) **ليؤدّيه إلى لام الشهادة والملك** (ي اللام الأولى).

هكذا الأمر مادام التركيب والحجاب. فلما حصلت الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، أراد تعالى كما قدم الألف منزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف، أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء. فلا يصح بقاء للعبد أولاً وآخراً. فأوجد الهاء مفردة بواو هويتها.

فإن توهم متوهم أن الهاء ملصقة إلى اللام، فليست كذلك؛ وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام. والألف لا يتصل بها في البعدية شيء من الحروف. فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء؛ فذلك الاتصال باللام

في الخط ليس باتصال. فالهاء واحدة، والألف واحدة، فاضرب الواحد في مثله يكن واحداً. فصح انفصال الخلق عن الحق؛ فبقي الحق.

وإذا صح تخلق اللام الملكية، لما توردِه عليها لام الملكوت، فلا تزال تضمحل عن صفاتها، وتفني عن رسومها، إلى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها. فإذا فنيت عن ذاتها، فني الجزء لفنائها، واتحدت اللامان لفظاً، ينطق بها اللسان مشددة للإدغام الذي حدث؛ فصارت موجودة بين ألفين اشتملا عليها وأحاطا بها.

فأعطتنا الحكمة الموهوبة، لما سمعنا لفظ الناطق بـ «لا»، بين ألفين، علمنا علم الضرورة أن المحدث فني بظهور القديم؛ فبقي ألفان أولى وأخرى؛ وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النفي (أي كلمة النفي «لا»، التي تظهر بمد اللام الثانية). فضربنا الألف في الألف (أي ألف الذات الأولى في ألف المد العلمية الثانية)، ضرب الواحد في الواحد، فخرجت لك الهاء. فلما ظهرت زال حكم الأول والآخر، الذي جعلته الواسطة، كما زال حكم الظاهر والباطن؛ فقيل عند ذلك: «كان الله ولا شيء معه».

ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع ولابد (لأن من أسمائه تعالى: ﴿**رفيع الدرجات**﴾ [غافر/ ١٥]. فإن انفتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه أو خفضه؛ فهي عائدة على العامل الذي قبل في اللفظ.

تكملة:

ثم أوجد سبحانه، الحركات والحروف والمخارج، تنبيهاً منه- سبحانه وتعالى- أن الذوات تتميز بالصفات والمقامات. فجعل الحركات نظير الصفات؛ وجعل الحروف نظير الموصوف؛ وجعل المخارج نظير المقامات والمعارج.

فأعطى لهذا الاسم من الحروف، على عموم وجوهه من وصل وقطع: [ء، ا، ل، ه، و]: همزة، وألفاً، ولاماً، وهاء، وواواً. فالهمزة أولاً، والهاء آخراً، ومخرجهما واحد مما يلي القلب. ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام، ومخرجه اللسان، ترجمان القلب؛ فوقعت النسبة بين اللامين

والهمزة والهاء، كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام، وبين اللسان المترجم عنه، قال الأخطل (١٩ – ٩٠ هـ):

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلما كانت اللام من اللسان، جعلها تنظر إليه (أي تنظر إلى الألف المسامتة له لفظا ورقما) **لا إلى نفسها، فأفناها عنها، وهي الحنك الأسفل؛ فلما نظرت إليه، لا إلى ذاتها،علت وارتفعت إلى الحنك الأعلى، واشتد اللسان بها في الحنك اشتدادا، لتمكن علوها وارتفاعها بمشاهدته. وخرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر مخبوة دالة عليه** (هي مخبوة لعدم ظهورها في الرقم ولا في اللفظ في الاسم «الله»، إلا بإشباع ضمة الهاء). **وذلك مقام باطن النبوة** (أي لأن الوظيفة الأساسية للنبوة هي الدلالة على الله تعالى، وهاء الهوية هي المشيرة لحضرته سبحانه، وروح هاء الهوية هو الواو، لأنه المحرك لها رفعا)؛ **وهي الشعرة التي فينا من الرسول** ﷺ **وفي ذلك يكون الورث** (أي وراثة الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وشعور بالحضور).

فخرج من هذا الوصل، أن الهمزة والألف والهاء من عالم الملكوت (لأن مخارجها من الصدر المناسب للعالم الملكوتي الأعلى)، **واللام من عالم الجبروت** (لأن مخرجه من اللسان المناسب للعالم الأوسط وهو الجبروت)، **والواو من عالم الملك** (لأن مخرجه من الشفتين المناسب لعالم الشهادة والملك).

وصل قوله «الرحمن» من البسملة

(حروف «الرحمن السبعة ودلالتها على الصفات الأمهات السبعة):

الكلام على هذا الاسم في هذا الباب، من وجهين: من وجه الذات، ومن وجه الصفة. فمن أعربه بدلاً، جعله ذاتاً؛ ومن أعربه نعتاً جعله صفة. والصفات ست؛ ومن شرط هذه الصفات الحياة، فظهرت السبعة؛ وجميع هذه الصفات للذات؛ وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من الرحمن (لأنه كما سبق بيانه: ألف المد، التي سماها الشيخ الألف العلمية، هي المشيرة لمرتبة الألوهية الجامعة للأسماء الصفاتية).

ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي ﷺ أن «الله خلق آدم على صورته»، من حيث إعادة الضمير على الله. ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله - عليه السلام - «على صورة الرحمن». وهذه الرواية وإن لم تصح من طريق أهل النقل، فهي صحيحة من طريق الكشف.

فأقول أن الألف، واللام، والراء: للعلم، والإرادة، والقدرة. والحاء، والميم، والنون، مدلول: الكلام، والسمع، والبصر. وصفة الشرط التي هي الحياة مستصحبة لجميع هذه الصفات. ثم الألف التي بين الميم والنون، مدلول الموصوف؛ وإنما حذفت خطاً لدلالة الصفات عليها دلالة ضرورية، من حيث قيام الصفة بالموصوف. فتجلت للعالم الصفات، ولذلك لم يعرفوا من الإله غيرها، ولا يعرفونها.

(دلالات حروف العلة والمد):

ثم الذي يدل على وجود الألف ولابد، ما ذكرناه وزيادة، وهي إشباع فتحة الميم. وذلك إشارة إلهية إلى بسط الرحمة على العالم، فلا يكون أبداً ما قبل الألف إلا مفتوحاً، فتدل الفتحة على الألف في مثل هذا الموطن، وهو محل وجود الروح، الذي له مقام البسط لمحل التجلي. ولهذا ذكر أهل عالم التركيب، في وضع الخطوط في حروف العلة: الياء المكسور ما قبلها إذ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها؛ وكذلك الواو المضموم ما قبلها؛ ولما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها، إذ لا توجد إلا والفتح في الحرف الذي قبلها؛ بخلاف الواو والياء. فالاعتدال للألف لازم أبداً.

فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منزها عن جميع النقائص إلا الله- تعالى-، نسي الروح القدسي الأعلى، فقال: «ما في الوجود إلا الله». فلما سئل في التفصيل، لم يوجد لديه تحصيل.

وإنما خصصوا الواو بالمضموم ما قبلها، والياء بالمكسور ما قبلها، لما ذكرناه. فصحت المفارقة بين الألف وبين الواو والياء. فالألف للذات، والواو العلية للصفات، والياء العلية للأفعال وهو الخفض (أي كما يكون المنخفض تابعا لمن هو أعلى منه، كذلك الأفعال تابعة للصفات، ولليباء الخفض، وللواو الرفع).

الألف للروح (لأنه هو الأصل وله الحياة منبع كل الصفات الأخرى)، **والعقل صفته، وهو الفتحة. والواو: النفس، والقبض صفتها، وهو الضمة** (ومن شأن النفس النزوع إلى الرفعة والعلو والتعالي والتسامي). **والياء: الجسم، ووجود الفعل صفته، وهو الخفض.**

فإن انفتح ما قبل الواو والياء، فذلك راجع إلى حال المخاطَب (بفتح الطاء). **ولما كانتا غيراً ولابد** (أي لأنه لا يدل على حضرة الحق تعالى إلا الألف، والحروف الأخرى كلها دالة على الخلق)، **اختلفت عليهما الصفات. ولما كانت الألف لا تقبل الحركات، اتحدت بمدلولها، فلم يختلف عليها شيئ البتة.**

وسميت حروف العلة، لما نذكره: فألف الذات علة لوجود الصفة؛ وواو الصفة علة لوجود الفعل؛ وياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه في عالم الشهادة، من حركة وسكون؛ فلهذا سميت علاً.

ثم أوجد النون من هذا الاسم: نصف دائرة في الشكل، والنصف الآخر محصور معقول في النقطة التي تدل على النون الغيبية، الذي هو نصف الدائرة. ويحسب الناس النقطة أنها دليل على النون المحسوسة.

ثم أوجد مقدم الحاء مما يلي الألف المحذوفة في الرقم، إشارة إلى مشاهدتها، ولذلك سكنت، ولو كان مقدمها إلى الراء لتحركت (أي لأن مشاهدة الحق تستلزم االبهت وانعدام الحركة أي السكون. وإنما كانت مشاهدة الحاء للألف لا للراء لانقطاعها في الخط عنها واتصالها بالألف).

فالألف الأولى للعلم، واللام للإرادة، والراء للقدرة وهي صفة الإيجاد (أي أن ترتيب الحروف في الاسم «الرحمن»، جاء وفق ترتيب الأسماء الأمهات، حيث أنه يعطي الأسبقية بعد الحياة للعلم، لأن الإرادة تابعة للعلم، كما أن القدرة تابعة للإرادة). **فوجدنا الألف لها الحركة من كونها همزة؛ والراء لها الحركة؛ واللام ساكنة؛ فاتحدت الإرادة بالقدرة، كما اتحد العلم والإرادة بالقدرة. إذا وصلت «الرحمن» بـ «الله»، فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة بعد ما قلبت راء، وشدت لتحقيق الإيجاد، الذي هو الحاء، وجود الكلمة ساكنة. وإنما سكنت لأنها لا تنقسم، والحركة منقسمة. فلما كانت الحاء ساكنة سكوناً حسياً، ورأيناها مجاورة الراء، راء القدرة، عرفنا أنها الكلمة، وتثمينها** (أي كون عدد الحاء ثمانية في

حساب الجمل. ويعني بالكلمة كلمة التكوين الإلهي: «كن»، حيث أن القدرة تتجلى في قول هذه الكلمة).

تنبيه:

(الفرق بين الخلافة والوراثة من حيث الاسم «الرحمن»):

أشار من أعربه بدلا من قوله: «الله»، إلى مقام الجمع واتحاد الصفات، وهو مقام من روى: «خلق آدم على صورته»؛ وذلك وجود العبد في مقام الحق، حد الخلافة، والخلافة تستدعي الملك بالضرورة؛ والملك ينقسم قسمين: قسم راجع لذاته، وقسم راجع لغيره. والواحد من الأقسام يصلح في هذا المقام، على حد ما رتبناه. فإن البدل في الموضع يحل محل البدل منه، مثل قولنا: «جاءني أخوك زيد» فزيد بدل من أخيك، بدل الشيء من الشيء، وهما العين واحدة. فإن زيداً هو أخوك، وأخاك هو زيد بلا شك. وهذا مقام، من اعتقد خلافه فما وقف على حقيقة، ولا وجد قط موجده.

وأما من أعربه نعتاً، فإنه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة؛ وهو مقام من روى: «خلق آدم على صورة الرحمن». وهذا مقام الوراثة، ولا تقع إلا بين غيرين: مقام الحجاب بمغيب الواحد وظهور الثاني؛ وهو المعبر عنه بالمثل (أي من الآية: ﴿**ليس كمثله شيئ**﴾ [الشورى/ ١١] باعتبار الكاف غير زائدة، والآية: ﴿**وله المثل الأعلى**﴾) ورد في آيتين: [النحل/ ٦٠، و :الروم/ ٢٧]) وفيما قررنا دليل على ما أضمرنا. فافهم.

(رمزية حرف النون والحاء):

ثم أظهر من النون الشطر الأسفل؛ وهو الشطر الظاهر لنا من الفلك الدائر من نصف الدائرة؛ ومركز العالم في الوسط، من الخط الذي يمتد من طرف الشطر إلى الطرف الثاني. والشطر الثاني المستور في النقطة، هو الشطر الغائب عنا من تحت، نقيض الخط بالإضافة إلينا؛ إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل، في جهة. فالشطر الموجود في الخط هو المشرق، والشطر المجموع في النقطة هو المغرب؛ وهو مطلع وجود الأسرار. فالمشرق وهو الظاهر المركب ينقسم؛ والمغرب وهو الباطن البسيط لا ينقسم؛ وفيه أقول:

عجباً للظاهر ينقسم ولباطنه لا ينقسم
فالظاهر شمس في حمل والباطن في أسد جلم
حقق وانظر معنى سترت من تحت كنائفها الظلم
إن كان خفي هو ذاك بدا عجباً والله هما القسم
فافزع للشمس ودع قمراً في الوتر يلوح وينعدم
واخلع نعلي قدمي كوني علمي شفع يكن الكلم

(في البيت الثاني قرن الظهور بالشمس في برج الحمل، لأنه برج شرف الشمس، أي عندما يكون أثرها في العالم أقوى، في الدرجة ١٩ منه. أما برج الأسد فهو بيتها حسب مصطلحات الفلك التراثي، وطبعه ناري كالشمس، أي حار يابس. والجلم هو الهلال المستمد نوره من الشمس. وباطن كل شيئ هو طبعه الممد لظاهره. فالنون العلوية الغيبية الباطنة في نقطتها هي الممدة للنون السفلية الشهادية الظاهرة. وفي البيت الرابع إشارة إلى أوسع قسم – بفتح القاف – أقسم الله تعالى به في القرآن، وهو قوله تعالى في الآية٣٨ من سورة الحاقة: ﴿**فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون**﴾؛ أي ما خفي هو ما لا يبصر، وما بدا هو ما يبصر. وفي البيت السادس تمثيل لحضرة الحق تعالى بالشمس، ولحضرة الخلق بالقمر المستمد من الشمس، ولا وجود لنوره إلا منها، كالخلق الذي لا وجود له ولا قيام في كل آن إلا بالحق تعالى. وفي البيت الأخير ينصح الشيخ بعدم الالتفات للشفعية الكونية إذا شغلت عن شهود وترية الحق تعالى، المتوجه في كل آن إلى عباده بكلامه الدال عليه، ولكن القليل منهم هم السامعون).

ولذلك يتعلق العلم بالمعلومات، والإرادة الواحدة بالمرادات، والقدرة الواحدة بالمقدورات؛ فتقع القسمة والتعداد في المقدورات والمعلومات والمرادات، وهو الشطر الموجود في الرقم؛ ويقع الاتحاد والتنزه عن الأوصاف الباطنية، من علم وقدرة وإرادة (أي أن المعرفة الكاملة تشمل شطر التنزيه الذي لا ينقسم المرموز في نقطة النون العلوية الباطنة لعدم ظهورها في الخط، وشطر التشبيه المركب المرموز في نصف دائرة النون السفلية المشهودة. ويمكن أيضا القول أن في النقطة المركزية إشارة إلى البطون الذاتي، وفي الشطر الغائب إشارة إلى حضرة الأسماء، وفي الشطر

الظاهر إشارة إلى المكونات، وهي المعلومات المرادات المقدورات). **وفي هذا إشارة. فافهم.**

ولما كانت الحاء ثمانية (أي عددها ثمانية كما سبق ذكره)، **وهو وجود كمال الذات** (أي أن الكمال يستلزم اعتبار الذات والأسماء الأمهات السبعة)؛ **ولذلك عبرنا عنه بالكلمة والروح؛ فكذلك النون خامسة في العشرات** (أي عددها خمسون)، **إذ يتقدمها الميم الذي هو رابع** (أي عددها أربعون). **فالنون جسماني، محل إيجاد مواد الروح والعقل والنفس ووجود الفعل** (أي أن النون السفلية مناسبة للجسم للفعل، وللنون العلوية الصفة والروح المتصرفة في الجسم بواسطة العقل المناسب للنقطة، وبواسطة النفس). **وهذا كله مستودع في النون. وهي كلية الإنسان الظاهرة؛ ولهذا ظهرت** (أي ظهرت في منتهى الاسم «الرحمن»، واسم «الإنسان»؛ كظهور الإنسان في منتهى سلسلة مراتب الوجود، مستوعبا لها كلها).

تتمة :

رمزية الميم وعلاقاتها بالنون :

وإنما فصل بين الميم والنون بالألف: «مان»؛ إذ الميم ملكوتية لما جعلناها للروح؛ والنون ملكية؛ والنقطة جبروتية، لوجود سر سلب الدعوى (أي تقدم الميم التي عددها أربعون، عن النون التي عددها خمسون، وتقدمها عنها في اسم «الرحمن»، كتقدم الروح على الجسم إذ هو الممد له بالحياة، يعني أن الميم بهذا الاعتبار ملكوتية لمناسبتها للروح الذي هو ملكوتي؛ بينما النون ملكية لأن الملك يأتي تحت الملك؛ لكن بينهما العالم الجبروتي الأوسط الذي تحتله النقطة، أي نقطة النون؛ أو باعتبار آخر: نقطة مركز دائرة الميم الظاهر فيها الشطران أو النونان العلوية والسفلية. ومن جانب آخر، ففي رمزية الكتابة تعتبر الحروف المكتوبة فوق السطر، كالميم مثلا، علوية ملكوتية لها الروح؛ بينما الحروف المكتوبة تحت السطر، كالنون، ملكية شهادية لها الجسم).

كأنه يقول: «أي يا روح - الذي هو الميم - لم نصطفك من حيث أنت، لكن عناية سبقت لك في وجود علمي، ولو شئت لاطلعت على نقطة العقل ونون الإنسانية، دون واسطة وجودك؛ فاعرف نفسك؛ واعلم

أن هذا اختصاص بك مني، من حيث أنا، لا من حيث أنت؛ فصحت الاصطفائية؛ فلا تجل لغيره أبداً؛ فالحمد لله على ما أولى».

فتنبه يا مسكين في وجود الميم دائرة على صورة الجسم مع التقدم (الشكل الأصلي للأفلاك الجسمية كلها، وكذلك شكل نطفة الجنين في بطن أمه، هو الشكل العرشي الدائري. وحتى مراحل نمو الجنين تمر بأربعينات من الشهور، كما هو معروف، أي وفق عدد الميم)، **كيف أشار به إلى التنزه عن الانقسام؛ وانقسام الدائرة لا يتناهى؛ فانقسام روح الميم بمعلوماته لا يتناهى؛ وهو في ذاته لا ينقسم؛ ثم انظر الميم إذا انفصل وحده، كيف ظهرت منه مادة التعريق، لما نزل إلى وجود الفعل، في عالم الخطاب والتكليف** (أي تعريقة الميم المنفصلة عن ما بعدها من الحروف، تنزل في الرسم إلى منتهى أسفل السطر، المناسب لمرتبة الأفعال في عالم الشهادة الأرضية والتكليف للثقلين)؛ **فصارت المادة في حق الغير، لا في حق نفسه؛ إذ الدائرة تدل عليه خاصة؛ فما زاد فليس في حقه، إذ قد ثبتت ذاته، فلم يبق إلا أن يكون في حق غيره. فلما نظر العبد إلى المادة، مد تعريقاً، وهذا هو وجود التحقيق** (أي أن التحقيق لا يحصل إلا باستيعاب كل المراتب الذاتية والصفاتية والفعلية).

ثم اعلم أن الجزء المتصل بين الميم والنون، هو مركز ألف الذات (أي: الذات العلمية في مرتبة الألوهية، لا الذات الأحدية الماحقة لكل غيرية، كما سبق بيانه في الفرق بين الألف التي لا اتصال لها بعدي ولا قبلي، وبين الألف المتصلة بما قبلها). **وخفيت الألف ليقع الاتصال بين الميم والنون بطريق المادة؛ وهو الجزء المتصل. ولو ظهرت الألف لما صح التعريق للميم، لأن الألف حالت بينهما** (أي: لما صح تجلي حضرة الأفعال والتكليف، الذي هو غاية الظهور في العالم السفلي. لأن ظهور الألف المشيرة لحضرة الحق وحده يستلزم نفي الفعل التكليفي ونسبة الأفعال للخلق).

وفي هذا تنبيه على قوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن﴾ : وجود الألف، المرادة هنا، على من أعربه مبتدأ؛ ولا يصح من طريق التركيب؛ والصحيح أن يعرب بدلاً من «الرب»؛ فتبقى الألف هنا عبارة عن الروح (هنا يعطي الشيخ دلالة أخرى لألف المد بين الميم والنون، وذلك باعتبارها امتدادا للميم الممثل للروح كما سبق

ذكره، وبالتالي فمدها الحاصل بهذه الألف يجعل الألف روحا). **والحق قائم بالجميع؛ والميم: السماوات، والنون الأرض** (هنا أيضا يعطي الشيخ دلالة أخرى للميم والنون: فالميم الكروي مناسب لكرة السماء، والنون بشطره النصف دائري مناسب لنصف كرة الأرض، الذي يجعلنا لا نرى من الفلك إلا نصفه. وقد تعمد الشيخ إعطاء هذه الدلالات المختلفة لنفس الحرف، ليبين أن هذا العلم لا ينحصر في منظومات نسقية جامدة، وإنما هو مفتوح على اعتبارات شتى، تتنوع حسب نظر المتأمل، وكشف المفتوح عليه، حسب مقامه وحاله ومستويات إلهامه).

وإذا ظهرت الألف بين الميم والنون، فإن الاتصال بالميم لا بالنون (أي لأن الألف لا تتصل بما بعدها)؛ **فلا تأخذ النون صفة أبداً من غير واسطة، لقطعها. ودل اتصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة** (أي بلا واسطة ألف المد المتلفظ بها، لكنها غير مرقومة في الخط). **والعدم الذي صح به القطع، فيه يفنى النون، ويبقى الميم محجوباً عن سر قدمه بالنقطة التي في وسطه، التي هي جوف دائرته، بالنظر إلى ذاته، بعد أن لم تكن، فيما ظهر له** (أي: خلال مد الميم، بحيث لا يظهر في اللفظ إلا ألف مد الميم، يفنى النون لأنه لم يظهر بعد في النطق مادام المد حاصلا، وهذا عبارة عن تحقق العبد، أو المقيد، بعينه الثابتة في العلم القديم قبل بروزه لوجوده العيني، قبلية حكمية لا زمانية؛ أما الميم الممدودة، فبحكم مدها وعدم ظهور ألف المد إلا بها، لا تزال ناظرة إلى نفسها في إنية نقطتها المركزية، محجوبة عن الألف المجردة التي لا قيام لها إلا بها، حيث لا قيام للدائرة إلا بقطبها الذي هو قطرها وهو عين الألف، التي تجلت في ذلك المد).

سؤال وجوابه :

قيل: «فكيف عرفت سر قدمه ولم يعرفه هو، وهو أحق بمعرفة نفسه منك إن نظرت إلى ظاهرك؟ أو هل العالم بسر القدم فيه، هو المعنى الموجود فيك، المتكلم فيه، وهو ميم الروح، فقد وقف على سر قدمه؟

الجواب عن ذلك: إن الذي علم منا سر القدم هو الذي حجبناه هناك. فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم، غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم. ونقول إنما حصل له ذلك علماً لا عيناً. وهذا موجود؛ فليس من شرط من علم شيئا أن يراه؛ والرؤية للمعلوم أتم من العلم

بـه مـن وجـه، وأوضـح في المعرفـة بـه؛ فـكل عـين علـم، وليـس كل علـم عيناً. إذ ليـس مـن شرط مـن علـم أن ثـم مكـة رآهـا؛ وإذا رآهـا قطعنـا أنـه يعلمهـا. ولا أريـد الاسـم، فللعـين درجـة عـلى العلـم معلومـة، كـما قيـل (والقائـل هـو الإمـام ابـن حـزم الأندلـسي: ٣٨٤-٤٥٦هـ):

ولكـن للعيـان لطيـف معنـى لـذا سـأل المعاينـة الكلـيم

بـل أقـول: إن حقيقـة سر القـدم، الـذي هـو حـق اليقـين، لأنـه لا يعايـن، فلـم يشـاهده لرجوعـه لـذات موجـده. ولـو علـم ذات موجـده لـكان نقصـاً في حقـه. فغايـة كمالـه في معرفـة نفسـه بوجودهـا، بعـد أن لم تكـن عينـاً (في هـذا الفصـل، ينبـه الشـيخ عـلى التمييـز بـين المراتـب الثلاثـة لليقـين، أي: علـم اليقـين، وعـين اليقـين، وحـق اليقـين، ولم يذكـر هنـا المرتبـة الرابعـة التـي هـي مرتبـة حقيقـة اليقـين. وقـد تكلـم الشـيخ عـن هـذه الأربعـة في تأليـف لـه عنوانـه «كتـاب اليقـين»).

هذا فصل عجيب أن تدبرته وقفت على عجائب. فافهم.

تكملـة:

اتصلـت الـلام بالـراء (أي في «الرحمـن») **اتصـال اتحـاد نطقـاً، مـن حيـث كونهـما صفتـين باطنتـين، فسـهل عليهـما الاتحـاد. ووجـدت الحـاء التـي هـي الكلمـة، المعـبر عنهـا بالمقـدور للـراء، منفصلـة عـن الـراء التـي هـي القـدرة، ليتميـز المقـدور مـن القـدرة، ولئـلا تتوهـم الحـاء المقـدورة أنهـا صفـة ذات القـدرة. فوقـع الفـرق بـين القديـم والمحـدث. فافهـم يرحمـك الله.**

ثـم لتعلـم أن «رحمـن» هـو الاسـم، وهـو للـذات؛ والألـف والـلام اللـذان للتعريـف همـا الصفـات (لأن معرفـة الشـيء لا تكـون إلا بمعرفـة صفتـه)؛ **ولذلـك يقـال: «رحمـان» مـع زوالهـما؛ كـما يقـال: «ذات»، ولا تسـمى صفـة معهـا. انظـر في اسـم مسـيلمة الكـذاب تسـمى بـ «رحمـان»، ولم يهـد إلى الألف والـلام، لأن الـذات محـل الدعـوى عنـد كل أحـد، وبالصفـات يفتضـح المدعـي.**

فـ «رحمـان» مقـام الجمـع، وهـو مقـام الجهـل؛ أشرف مـا يرتقـي إليـه في طريـق الله الجهـل بـه تعـالى؛ ومعرفتـه الجهـل بـه (أي الجهـل بالـذات، وبالحقيقـة المطلقـة الإحاطيـة اللامتناهيـة للصفـات، لأن المخلـوق- مهـما

كان وسعه وقربه- مقيد. وأنى للمقيد معرفة المطلق إلا بقدر تقييده. قال تعالى: ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾)؛ **فإنها حقيقة العبودية. قال تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾، فجردك** (أي جردك من ملكية أي شيئ). **ومما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾، وقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾.**

فبحقيقة الاستخلاف سلب مسيلمة وإبليس والدجال؛ وكان من حالهم ما علم. فلو استحقوه ذاتاً ما سلبوه البتة. ولكن إن نظرت بعين التنفيذ والقبول الكلي، لا بعين الأمر، وجدت المخالف طائعاً (أي طائعا للإرادة الإلهية النافذة حتى إن كان مخالفا للأمر التكليفي، لأنه سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وله تعالى الحجة البالغة، ولا عذر لعاص فيما حكم به القضاء)، **والمعوج مستقيماً** (أي معوج بالنسبة للتكليف ، مستقيم بالنسبة للإرادة القاهرة)؛ والكل داخل في الرق، شاءوا أم أبوا. **فأما إبليس ومسيلمة فصرحا بالعبودية، والدجال أبى. فتأمل من أين تكلم كل واحد منهم، وما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم هذه الأحوال؟**

تتمة :

لما نطقنا بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يظهر للألف واللام وجود؛ فصار الاتصال من الذات للذات. و «الله» و «الرحمن» اسمان للذات، فرجع على نفسه بنفسه؛ ولهذا قال ﷺ : «وأعوذ بك منك» لما انتهى إلى الذات لم ير غيرا. وقد: «أعوذ بك»، ولا بد من مستعاذ منه، فكشف له عنه، فقال: «منك»؛ ومنك هو؛ والدليل عليه: «أعوذ»، ولا يصح أن يفصل، فإنه في الذات، ولا يجوز التفصيل فيها.

فتبين من هذا أن كلمة «الله» هي العبد (أي أن التلفظ بها من العبد، وما يتصوره ويعلمه من دلالات ما تلفظ به، هو أيضا كله به منه، فالحاصل حينئذ أن هذه الكلمة هي عين المتكلم بها). **فكما أن لفظة «الله» للذات دليل، كذلك العبد الجامع الكلي، فالعبد هو كلمة الجلالة** (أي: حيث أن ليس للاسم وظيفة سوى الدلالة على المسمى، وحيث أن الإنسان الكامل هو أعظم دال على الله تعالى، فهو إذن الاسم الأعظم الجامع الكافي من حيث كمال جمعية دلالته).

قال بعض المحققين في حال ما: «أنا الله»، وقالها أيضاً بعض الصوفية، من مقامين مختلفين، وشتان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وجد له. فقابل تعالى الحرف بالحرف: «أعوذ برضاك من سخطك»؛ وقابل المعنى بالمعنى: «وأعوذ بك منك». وهذا غاية المعرفة. (في الفتوحات نصوص عديدة توضح هذا المعنى، منها الباب **٤٨٢ الذي جاء فيه:** [لما كان الاسم «الله» قد عصمه الله أن يسمى به غير الله، فلا يفهم منه عند التلفظ به وعند رؤيته مرقوماً إلا هوية الحق، لا غير؛ فإنه يدل عليه - تعالى- بحكم المطابقة. قال أبو يزيد عند ذلك: «أنا الله»؛ يعني ذلك المتلفظ به في الدلالة على هويته؛ يقول - رضي الله عنه -: «أنا أدل على هوية الله من كلمة الله عليها». ولذاك سماه كلمته. وقال- عليه السلام-: «إن أولياء الله هم الذين إذا رأوا ذكر الله»؛ وسموا أولياء الله لقيام هذه الصفة التي تولاهم الله بها بهم].

وفي الباب ٥٠ يقول: [فتعلمت هذه الطائفة في تحصيل شيء مما وردت به الأخبار الإلهية من جانب الحق، وشرعت في صقالة قلوبها بالأذكار، وتلاوة القرآن، وتفريغ المحل من النظر في الممكنات، والحضور، والمراقبة، مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة، من غض البصر عن الأمور التي نهي أن ينظر إليها، من العورات وغيرها، وإرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار والاستبصار، وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه وقلبه؛ وما ثم في ظاهره سوى هذه السبعة، والقلب ثامنها؛ ويزيل التفكر عن نفسه جملة واحدة، فإنه مفرّق لهمه؛ ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه، عسى الله أن يفتح له الباب إليه، ويعلم ما لم يكن يعلم، مما علمته الرسل وأهل الله، مما لم تستقل العقول بإدراكه وإحالته. فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب، حصل له تجل إلهيّ، أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه، فينسب إلى الله منه أمراً لم يكن قبل ذلك يجراً على نسبته إلى الله سبحانه، ولا يصفه به إلا قدر ما جاءت به الأنباء الإلهية، فيأخذها تقليداً؛ والآن يأخذ ذلك كشفاً، موافقاً مؤيداً عنده لما نطقت به الكتب المنزلة، وجاء على ألسنة الرسل عليهم السلام؛ فكان يطلقها إيماناً، حاكياً من غير تحقيق لمعانيها ولا يزيد عليها؛ والآن يطلق في نفسه عليه – تعالى- ذلك علماً محققاً، من أجل ذلك الأمر الذي تجلى له؛ فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر؛ ويعرف معنى ما يطلقه، وما حقيقة ذلك. فيتخيل في أول تجل أنه قد

بلغ المقصود، وحاز الأمر، وأنه ليس وراء ذلك شيء يطلب سوى دوام ذلك؛ فيقوم له تجل آخر بحكم آخر، ما هو ذلك الأول، والمتجلي واحد لا يشك فيه، فيكون حكمه فيه حكم الأول. ثم تتوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه؛ فيعلم عند ذلك أن الأمر ماله نهاية يوقف عندها؛ ويعلم أن الإنية الإلهية ما أدركها؛ وأن الهوية لا يصح أن تتجلى له؛ وأنها روح كل تجل؛ فيزيد حيرة، لكن فيها لذة، وهي أعظم من حيرة أصحاب الأفكار بما لا يتقارب. فإن أصحاب الأفكار ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فلهم أن يحاروا ويعجزوا؛ وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهود إلا فيه، فهو مشهودهم والأمر بهذه المثابة. فكانت حيرتهم باختلاف التجليات، أشد من حيرة النظار في معارضات الدلالات عليه. فقوله ﷺ أو قول من يقول من هذا المقام: «زدني فيك تحيراً»، طلب لتوالي التجليات عليه. فهذا الفرق بين حيرة أهل الله وحيرة أهل النظر فصاحب العقل ينشد:

وفي كل شيء لـه آيـة تـدل عـلى أنـه واحـد

(من أقوال الإمام علي بن أبي طالب)

وصاحب التجلي ينشد قولنا في ذلك:

وفي كل شيء لـه آيـة تـدل عـلى أنـه عينـه

فبينهما ما بين كلمتيهما. فما في الوجود إلا الله. ولا يعرف الله إلا الله. ومن هذه الحقيقة قال من قال: «أنا الله»، كأبي يزيد، و «سبحاني»، كغيره من رجال الله المتقدّمين. وهي من بعض تخريجات أقوالهم رضي الله عنهم].

وفي الباب٣٦٢ يقول: [وحكي عن بعض العارفين، ورأيته منقولاً عن أبي يزيد البسطامي، أنه قال في بعض مشاهده مع الحق من الأحوال: «أنانيتي أنانيتك»، أي كما ينطلق على الاسم المضمر بحقيقته، كذلك ينطلق عليك ما هو مثل الاسم الظاهر، ولا مثل الوصف الظاهر. وهذا عين ما قلناه من قوة المضمرات. ولما وقع في الكون التشبيه والاشتراك في الصور، بحيث أن يغيب أحد الشخصين ويحضر الآخر، فيتخيل الناظر إلى الحاضر أن الحاضر عين الغائب، وضع الله في العالم الإشارات في الإخبارات والضمائر لارتفاع هذا اللبس، والفصل بين ما هو، وبين من يظهر بصورته، واعتمدوا عليه. ولما أخبر الله – تعالى- أن

الإنسان مخلوق على الصورة، قال عيسى - عليه السلام -: «كنت أنت الرقيب عليهم»، ففصل بين الحق وبين ما هو على الصورة. فكأنه قال: «كنت من حيث عينك، لا من هو على صورتك، الرقيب عليهم». فناب «أنت» في هذا الموضع مناب العين المقصودة. ولنا جزء في هذه الأسماء المضمرات سميناه كتاب «الهو»، وهو جزء حسن، بالغنا فيه في هذه الأسماء المضمرة؛ وهي تقبل كل صورة قديمة وحديثة، لتمكنها وعلو مقامها. والعالم وإن تكثر فهو راجع إلى عين واحدة].

وفي الباب ٣٣١ يقول: [واعلم أن الآلهة المتخذة من دون الله آلهة طائفتان: منها من ادعت ما ادعي فيها، مع علمهم في أنفسهم أنهم ليسوا كما دعوا، وإنما أحبوا الرياسة وقصدوا إضلال العباد، كفرعون وأمثاله؛ وهم في الشقاء إلا إن تابوا، وهم ممن تشهد عليهم ألسنتهم بما نطقت به من هذه الدعوى فما دونها، مما يجب عنه السؤال، فتنكر. ومنها من ادعت ذلك على بصيرة وصحو وتحقق معرفة، في مجلس لقرينة حال اقتضاها المجلس، لما رأوا أن الحق عين قواهم، وما هم هم إلا بقواهم، وبقواهم يقولون ما يقولون، فقواهم القائلة لا هم، وهي عين الحق كما أخبر الحق، وكما أعطاه الشهود بانخراق العادة في قولهم عندهم، فقالوا: «أنا لله» و«إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون»، كأبي يزيد ممن نقل عنه مثل هذا مع صحوه وثبوته، وعلمه بأنه الحق هو الظاهر بأفعاله في أعيان الممكنات، وأنه في بعض الأعيان قد نص أنه هو، وفي بعض الأعيان لم يذكر أنه هو. ولذلك قال بعض العارفين في حق التلميذ الذي استغنى بالله على زعمه عن رؤية أبي يزيد: «لأن يرى أبا يزيد مرة خير له من أن يرى الله ألف مرة»؛ فعبر أبو يزيد، فقيل له هذا أبو يزيد، فعندما وقع بصره عليه مات التلميذ؛ فقيل لأبي يزيد في موته؟ فقال: «رأى ما لا يطيق، لأنه تجلى له من حيث أنا فلم يطقه، كما صعق موسى، لأن الله من حيث أنا، مجلاه أعظم من حيث المجلى الذي كان يشهده فيه ذلك المريد». ومنها من ادعت ذلك في حال سكر، كالحلاج فقال قول سكران فخبط وخلط لحكم السكر عليه، وما أخل

قد تصبرت وهل يص ... بر قلبي عن فؤادي
مازجت روحك روحي ... في دنوي وبعادي
فأنا أنت كما أن ... ك أني ومرادي

ويقول في الباب٤٠٧ :[إن قيل أنه – تعالى- أوجد العبد والعمل، فلو لم يكن العبد قابلاً لإيجاد القادر إياه لما وجد دليلنا المحال. فلا بد من قبول الممكن، فلا بد من الاشتراك في الإيجاد، إن كان في إيجاد العبد فلا بد منه؛ وإن كان في إيجاد العمل التكليفي فلا بد من العبد. فعلى كل حال لا بد منك ومنه. إلا أنك منعوت بالضعف فقال تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف**﴾، لكون الممكن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الترجيح على كل حال؛ ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾، للتكليف. إلا أنه لا يستقل، فأمر بطلب المعونة. فلولا أن للمكلف نسبة وأثر في العمل، ما صح التكليف، ولا صح طلب المعونة من ذي القوّة المتين. فإن شئت سميت أنت ذلك القدر من الاشتراك: كسباً؛ وإن شئت سميته :خلقاً، بعد أن عرفت. وأما أهل الله أرباب الكشف، فكما قلنا إن ذلك كله أحكام أعيان الممكنات في العين الوجودية الظاهرة في الصور عن آثار الأسماء الإلهية الحسنى، من حيث أن الممكن متصف بها، فهي للحق أسماء، وهي للممكن نعوت وصفات، في حال عدم الممكن؛ لأن وجود عينه من حيث الحقيقة، قد بينا أنه لا يتصوّر؛ فما استفاد الممكن إلا ظهور أحكامه بوجود الصور، التي تتبعها أسماء الممكنات. فكما أن أسماء الله الحسنى للممكن على طريق النعتية، كذلك الكونية التي تنطلق على الصور الكائنة في عين الوجود هي أسماء للعين الوجودية؛ قال تعالى: «قل سموهم»، في معرض الدلالة؛ فإذا سموهم قالوا: هذا حجر، هذا شجر، هذا كوكب، والكل اسم عبد. ثم أبان الحق تعالى ذلك كله، ليعقل عنه، فقال تعالى: ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾، فقلتم عن العين من أجل الصورة إنها حجر، أو شجر، أو كوكب، أو أي اسم كان من المعبودين، الذين ما لهم اسم «الله». فما قال أحد من خلق: «أنا الله» إلا الله، المرقوم في القراطيس، إذا نطق بقول «أنا الله». فتعلم عند ذلك ما معنى قوله «أنا الله»، وأنه حق؛ أعني هذا القول في ذلك اللسان المصطلح عليه. ويقوله أيضاً العبد الكامل الذي الحق لسانه وسمعه وبصره وقواه وجوارحه، كأبي يزيد وأمثاله. وما عدا هذين فلا يقول: «أنا الله»؛ وإنما يقول الاسم الخاص الذي له في ذلك اللسان له. فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل].

وفي آخر حضرة المجد من الباب٥٨٥ يقول: [... وكما قال الآخر في مثل هذا: «أنا الله»؛ فإنه ما عبد إلا ما اعتقده، وما اعتقد إلا ما أوجده في نفسه،فما عبد إلا مجعولا مثله. فقال عندما رأى هذه الحقيقة من الاشتراك في الخلق، قال: «أنا الله»؛ فأعذره الحق ولم يؤاخذه؛ فإنه ما قال : «الأعلى»، كما قال من أخذه الله نكال الآخرة والأولى (أي فرعون). وأما من قالها بحق، أي من قال ذلك والحق لسانه وسمعه وبصره، فذلك دون صاحب هذا المقام. فمقام الذي قال: «أنا الله»، من حيث اعتقاده، أتم ممن قالها بحق فإنه ما قالها إلا بعد استشرافه على ذلك، فعلم من عبد؛ والفضل في العلم يكون].

خاتمة :

ولعلك تفرق بين «الله» وبين «الرحمن»، لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى: «اعبدوا الله»، ولم يقولوا: «وما الله»؟ ولما قيل لهم: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان/ ٦٠]، قالوا: ﴿وما الرحمن﴾؟ ولهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم، وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾، فجعلها للذات.

ولم تنكر العرب كلمة «الله»، فإنهم القائلون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر/ ٣]؛ فعلموه. ولما كان «الرحمن» يعطي الاشتقاق من الرحمة، وهي صفة موجودة فيهم، خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم، فأنكروا وقالوا : ﴿وما الرحمن﴾؟ لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه. ولهذا قال: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾، لما كان اللفظان راجعين إلى ذات واحدة. وذلك حقيقة العبد (أي أن كل ما يتلفظ به العبد ويتصوره ويتعقله، سواء في ذلك الأسماء الحسنى أو غيرها ، فإن ذلك كله راجع في الحقيقة إلى العبد نفسه لأنه هو الذي أنشأه في ذهنه وعقله وخياله). **والباري منزه عن إدراك التوهم والعلم المحيط به، جل عن ذلك.**

وصل في قوله «الرحيم» من البسملة

«الرحيم»: صفة محمد ﷺ ، قال تعالى (عنه) : ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة/ ١٢٩]؛ وبه كمال الوجود؛ وبـ «الرحيم» تمت البسملة؛

وبتمامها تم العالم خلقاً وإبداعاً. وكان- عليه السلام- مبتدأ وجود العالم عقلاً ونفساً: «متى كنت نبياً»؟ قال: «وآدم بين الماء والطين». فبه بدئ الوجود باطناً، وبه ختم المقام ظاهراً في عالم التخطيط ؛فقال: «لا رسول بعدي ولا نبي».

فـ «الرحيم» هو محمد ﷺ. و «بسم» هو أبونا آدم (عليه السلام)؛ وأعني في مقام ابتداء الأمر ونهايته. وذلك أن آدم -عليه السلام- هو حامل الأسماء، قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [البقرة/ ٣١]، ومحمد ﷺ حامل معاني تلك الأسماء، التي حملها آدم- عليهما السلام -؛ وهي الكلم، قال ﷺ : «أوتيت جوامع الكلم». ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثنى عليه، كيحيى وعيسى -عليهما السلام- (أي قوله – تعالى – في الآية ١٥ من سورة مريم، عن يحيى– عليه السلام -: ﴿**وسلام عليه**﴾؛ وفي الآية ٣٢ عن عيسى – عليه السلام -: ﴿**والسلام علي**﴾). أومن حصل له الذات، فالأسماء تحت حكمه؛ وليس من حصل الأسماء أن يكون المسمى محصلاً عنده.

وبهذا فضلت الصحابة علينا؛ فإنهم حصلوا الذات، وحصلنا الاسم. ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات، ضوعف لنا الأجر، ولحسرة الغيبة التي لم تكن لهم؛ فكان تضعيف على تضعيف. فنحن الإخوان، وهم الأصحاب. وهو ﷺ إلينا بالأشواق؛وما أفرحه بلقاء واحد منا. وكيف لا يفرح وقد ورد عليه من كان بالأشواق إليه؟ فهل تقاس كرامته به وبره وتحفيه؟ وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه، لا من أعيانهم، لكن من أمثالهم، فذلك قوله: «بل منكم»؛ فجدوا واجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً، لو أدركوه ما سبقوهم إليه. ومن هنا تقع المجازاة. والله المستعان.

تنبيه :

ثم لتعلم أن «بسم الله الرحمن الرحيم» أربعة ألفاظ، لها أربعة معان؛ فتلك ثمانية؛ وهم حملة العرش المحيط؛ وهم من العرش. وهنا هم الحملة من وجه، والعرش من وجه. فانظر، واستخرج من ذاتك لذاتك.

تنبيه :

ثم وجدنا ميم «بسم» الذي هو آدم- عليه السلام- معرقاً؛ ووجدنا «ميم» الرحيم معرقاً الذي هو محمد ﷺ تسليماً؛ فعلمنا أن مادة ميم آدم - عليه السلام- لوجود عالم التركيب، إذ لم يكن مبعوثاً؛ وعلمنا أن مادة ميم محمد ﷺ لوجود الخطاب عموماً، كما كان آدم عندنا عموماً. فلهذا امتدا.

إنتباه :

قال سيدنا الذي لا ينطق عن الهوى: «إن صلحت أمتي فلها يوم، وإن فسدت فلها نصف يوم». واليوم رباني، فإن أيام الرب كل يوم من ألف سنة مما نعد؛ بخلاف أيام الله وأيام ذي المعارج. فإن هذه الأيام أكبر فلكاً من أيام الرب. وسيأتي إن شاء الله ذكرها في داخل الكتاب في معرفة الأزمان. وصلاح الأمّة بنظرها إليه ﷺ، وفسادها بإعراضها عنه.

فوجدنا «بسم الله الرحمن الرحيم» يتضمن ألف معنى (بحساب الجمل المغربي الكبير، عدد البسملة هو ١٠٢٦، وباعتبار مد الألف في «الله» و «الرحمن»، يكون العدد ١٠٢٨؛ وهو عدد له أهمية كبرى عند الحكماء القدامى وعند الشيخ الأكبر، لما يتضمنه من دلالات أساسية، منها مثلا أنه مجوع منتهى مراتب العدد المناسب لعدد آخر حرف، وهو العدد ألف، مع عدد الحروف العربية، أي٢٨. وهو عدد أقسام الفلك المكوكب مع أفلاك السماوات السبعة). **كل معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول، ولابد من حصول هذه المعاني التي تضمنها «بسم الله الرحمن الرحيم»، لأنه ما ظهر إلا ليعطي معناه. فلابد من كمال ألف سنة لهذه الأمة** (كتب الشيخ هذا الكلام في بداية القرن السابع الهجري)، **وهي في أول دورة (برج) الميزان، ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة. ولهذا ظهر فيها من العلوم الإلهية ما لم يظهر في غيرها من الأمم. فإن الدورة التي انقضت كانت ترابية، فغاية علمهم بالطبائع؛ والإلهيون فيهم غرباء قليلون جداً؛ يكاد لا يظهر لهم عين. ثم إن المتأله منهم ممتزج بالطبيعة ولا بد. والمتأله منا صرف خالص، لا سبيل لحكم الطبع عليه** (يعني بالدورة الترابية دورة برج السنبلة السابق لبرج الميزان الذي نحن في حكمه منذ بعثة نبينا ﷺ ؛ فطبع السنبلة بارد يابس كالتراب، وطبع الميزان حار رطب كالهواء).

مفتاح (ألف الذات وألف العلم)

ثم وجدنا في «الله» وفي «الرحمن» ألفين: ألف الذات، وألف العلم. ألف الذات خفية (أي الألف الأولى من الاسمين، خفية لا تظهر في النطق، وهي ظاهرة في الخط)، **وألف العلم ظاهرة لتجلي الصفة على العالم** (وهي ألف المد بين اللام والهاء، وبين الميم والنون، الظاهرة في اللفظ، الغائبة في الخط). **ثم أيضاً خفيت في «الله» ولم تظهر لرفع الالتباس في الخط بين الله و «اللاه»**.

ووجدنا في «بسم» الذي هو آدم- عليه السلام- ألفاً واحدة(أي التي بين الباء والسين)، **خفيت لظهور الباء. ووجدنا في «الرحيم» الذي هو محمد** ﷺ **ألفاً واحدة ظاهرة وهي ألف العلم** (حسب ما تقدم في الاسمين «الله» و «الرحمن»، كان من المفروض أن تكون ألف «الرحيم» ألف الذات لعدم اتصالها القبلي والبعدي؛ لكن الشيخ هنا اعتبرها ألف العلم؛ لماذا؟ الجواب هو أن في الاسمين السابقين دلالة على الذات، أما في «الرحيم» فلا توجد هذه الدلالة، وإنما توجد الصفة فقط التي هي الرحمة، وهي الأنسب لصفة العلم؛ وفي هذا إعلام من الشيخ أن ألف العلم هي أيضا في أصل حقيقتها المعنوية لا الحرفية ألف الذات، حيث لا قيام للصفة وللاسم' إلا بالموصوف والمسمى. والذات الموصوفة بـ «الرحيم» هنا في هذا السياق، هي الذات المحمدية –عليه **السلام**-).

ونفس سيدنا محمد ﷺ **الذات. فخفيت في آدم- عليه السلام- الألف، لأنه لم يكن مرسلاً إلى أحد، فلم يحتج إلى ظهور الصفة، وظهرت في سيدنا محمد** ﷺ **لكونه مرسلاً، فطلب التأييد** (أي تأييد الحضرة الإلهية المشار إليها بالألف)، **فأعطى الألف، فظهر بها**.

ثم وجدنا الباء من «بسم» قد عملت في ميم «الرحيم» (أي عملت فيه حركة الخفض)؛ **فكان عمل آدم في محمد** ﷺ **وجود التركيب** (أي أن أصل جسمه المركب ﷺ هو جسم آدم – عليه السلام -)؛ **وفي «الله» عمل بسبب داع** (السبب الداعي هو أن العبد لا يعرف من «الله» تعالى إلا بقدر ما عليه استعداده؛ فالألوهية كما يتصورها في عقيدته وخياله، تابعة مجرورة لاستعداده الآدمي الخاص بمزاجه. وكلمة «الداعي» تعني أن هذا المزاج المنجر عنه الاعتقاد والتصور ، هو وضع إلهي تقديرا وخلقا وإبداعا. والله أعلم بمراد الشيخ)؛

وفي الرحمن عمل بسبب مدعو (أي خفض هذا الاسم بالباء الأولى من البسملة، سببه طلب المخلوق من ربه الرحمة، طلب مدعو من طرف استعداده وحاله وافتقاره الدائم).

ولما رأينا أن النهاية أشرف من البداية، قلنا: «من عرف نفسه عرف ربه»؛ والاسم سلم إلى المسمى. ولما علمنا أن روح «الرحيم» (أي سيدنا محمد ﷺ) **عمل في روح «بسم»** (أي سيدنا آدم – عليه السلام –)، **لكونه نبياً وآدم بين الماء والطين** (أي روحه ﷺ هي الممدة لكل الأنبياء والمرسلين، وأولهم آدم –عليه السلام–)؛ **ولولاهما ماً كان سمى آدم** (إشارة إلى أن منتهى اسم «آدم « هو بداية اسم «محمد»)، **علمنا أن «بسم» هو «الرحيم»، إذ لا يعمل شيء إلا من نفسه لا من غيره. فانعدمت النهاية والبداية** (أي بتطابق بداية البسملة مع نهايتها، لم يبق إلا المسمى « الله الرحمن») **والشرك والتوحيد، وظهر عز الاتحاد وسلطانه** (أي أن التوحيد بالنفي والإثبات كما في كلمة «لا إله إلا الله» يوجد عند توهم وجود الأغيار التي ينبغي نفيها؛ فإذا زال هذا التوهم لم يبق إلا الحق الثابت أزلا أبدا الذي لا يحتاج صاحبه إلى ذلك التوحيد المشعر بالأغيار؛ وكما هو الحال في كل المتقابلات: إذا زال أحدهما زال الآخر، أي إذا انتفى الشرك من أصله، انتفى مقابله وهو التوحيد المفتعل، لأن صيغة كلمة التوحيد على وزن التفعيل. وأحدية الحق تعالى منزهة عن التفعيل فهو الأول والآخر والظاهر والباطن).

فمحمد للجمع وآدم للتفريق (لأن له ﷺ الذات، وهو القائل: «أوتيت جوامع الكلم « وأوتي القرآن وهو الجمع؛ وآدم – عليه السلام – أوتي الأسماء الدالة على معاني متفرقة، ومنه تفرقت الذرية سعيدهم وشقيهم).

إيضاح (ألف العلم في «الرحيم») :

الدليل على أن الألف في قوله «الرحيم» ألف العلم، قوله: «ولا خمسة إلا هو سادسهم» (أي الألف في «الرحيم» هي المسدسة للحروف الخمسة الأخرى. فلو تجلت ألف الذات على الخمسة لأفنتهم عن وجودهم لأن تجلي الذات ماحق).

وفي ألف «باسم»: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ (أي أن الألف في «باسم» هي التي ربعت الحروف الثلاثة الأخرى)، **فالألف الألف** (أي إذا كان عدد العباد تسعمائة وتسعة وتسعون ، فألف الألوهية العلمية الحافظة لهم يكون لها العدد ألف)؛ **﴿ولا أدنى من ذلك﴾ باطن التوحيد** (الأدنى من ثلاثة هو الاثنين والواحد؛ فإن كانوا اثنين فالله تعالى ثالثهم؛ ومن جانب آخر: الثلاثة هي الموحد – اسم فاعل – والتوحيد والموحد – اسم مفعول- وهذا ظاهر التوحيد؛ أما حقيقته وباطنه فله مقام **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾**. وإن كان واحدا فالله تعالى مثنيه. وأول الأفراد الثلاثة ، كما أن أول الأزواج الاثنين، وللأولية البطون ، وللكثرة التي تتلوها الظهور.)، «**ولا أكثر**»، **يريد ظاهره.**

ثم خفيت الألف في آدم من «باسم»، لأنه أول موجود، ولم يكن له منازع يدعى مقامه. فدل بذاته من أول وهلة على وجود موجده، لما كان مفتتح وجودنا. وذلك لما نظر في وجوده تعرض له أمران: هل أوجده موجود لا أول له؟ أو هل أوجد هو نفسه؟ ومحال أن يوجد هو نفسه، لأنه لا يخلو أن يوجد نفسه وهو موجود، أو يوجدها وهو معدوم؛ فإن كان موجوداً، فما الذي أوجد؟ وإن كان معدوماً، فكيف يصح منه إيجاد وهو عدم؟ فلم يبق إلا أن يوجده غيره؛ وهو الألف. ولذلك كانت السين ساكنة وهو العدم، والميم متحركة وهو أوان الإيجاب (أي السين والميم من «بسم». ويعني بالإيجاب، استجابة العين الثابتة للموجود في علم الله الأزلي، إلى قول الله تعالى لها: **﴿كن﴾** فتكون ظاهرة في الوجود العيني).

فلما دل عليه من أول وهلة، خفيت الألف لقوّة الدلالة، وظهرت في «الرحيم» لضعف الدلالة لمحمد ﷺ لوجود المنازع؛ فأيده بالألف (قال تعالى في الآية ٤٠ من سورة التوبة: **﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**.

فصار الرحيم: محمداً، والألف منه: الحق المؤيد له من اسمه الظاهر.

قال تعالى ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ [الصف/ ١٤]، فقال قولوا: «إله إلا الله، وإني رسوله»؛ فمن آمن بلفظه لم يخرج من رق الشرك، وهو من أهل الجنة. ومن آمن بمعناه، انتظم في سلك التوحيد، فصحت له الجنة الثامنة (أي لأن للجنة ثمانية أبواب. وأعلى مقام في كل منها الدرجة الرفيعة التي هي «الوسيلة» المخصوصة بسيدنا رسول الله ﷺ. والجنة الثامنة هي أيضا جنة عدن حيث كثيب الرؤية)، **وكان ممن آمن بنفسه فلم يكن في ميزان غيره** (أي أن الداعي الفعال الحقيقي لكل شخص هو تجلي اسمه تعالى «الهادي» على نفس المدعو، فيؤمن بما جاء به الرسول من عند الله تعالى) **إذ قد وقعت السوية، واتحدت الاصطفائية جمعاً، واختلفت رسالة** (أي كما اصطفى الله الرسول بالرسالة، اصطفى المستجيب لدعوته بالهداية ، وكلاهما تجلت عليهما من الله العناية).

رمزية النقط في البسملة

ووجدنا «بسم» ذا نقطة، و «الرحمن» كذلك؛ و «الرحيم» ذا نقطتين؛ والله مصمت. فلم توجد في الله لما كان الذات، ووجدت فيما بقي لكونهم محل الصفات (أي أن النقط جعلت لتعريف الحرف بتمييزه عن غيره ، كتمييز الدال عن الذال، أو الباء عن التاء. والتمييز والتعريف محله الصفات؛ أما اسم «الذات» فهو غني عن التعريف والتمييز والنقط، إذ ليس كمثله شيئ، بل به يكون كل تمييز وتعريف، ولهذا لا يمكن أن يدخل عليه ألف ولام التعريف كدخولهما على الأسماء الحسنى الأخرى).

فاتحدت (أي النقطة واحدة) **في «بسم» آدم، لكونه فردا غير مرسل؛ واتحدت في «الرحمن» لأنه آدم** (أي من حيث «خلق الله آدم على صورة الرحمن»)، **وهو المستوي على عرش الكائنات المركبات** (أي استواء الخلافة من حيث ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾).

وبقي الكلام على نقطتي «الرحيم»، مع ظهور الألف.

فالياء: الليالي العشر (أي لأن عدد الياء في حساب الجمل عشرة. والحروف المشكلة للبسملة بحذف مكررها عشرة حروف، «تلك عشرة كاملة»)؛ **والنقطتان الشفع؛ و«الألف»: الوتر؛ والاسم بكليته (هو الآية): ﴿والفجر﴾** (يلاحظ أن عدد «الرحيم» بحساب الجمل الصغير هو ١٩ أي عدد الحروف الرقمية للبسملة؛ أما عدد «والفجر»

فهو ٢٣ أي عدد الحروف اللفظية في البسملة، أي باعتبار المدد في «الله» و «الرحمن»، والتضعيف في راء «الرحمن الرحيم»)، **ومعناه الباطن الجبروتي** (قرن الشيخ الفجر بالجبروت، أي العالم الأوسط، لأن الفجر برزخ وسط بين غيب الليل المناسب للملكوت الأعلى، والنهار المناسب لعالم الملك والشهادة والظهور). ﴿**والليل إذا يسري**﴾[الفجر/ ٤]: **وهو الغيب الملكوتي.**

وترتيب النقطتين: الواحدة مما تلي الميم، والثانية مما تلي الألف. والميم وجود العالم الذي بعث إليهم (أي أن ياء المد في «الرحيم» تشير إلى الرسالة المحمدية الممدة لمن يتبعها، من العالم الذي بعث إليهم، والمتمثل هنا في أول تابع للياء أي الميم. وفي العديد من نصوصه يقول الشيخ أن ياء المد تمثل الرسالة البشرية، بينما واو المد يمثل الرسالة الملكية لأن له حركة الرفع إلى الملإ الأعلى)؛

والنقطة التي تليه: أبو بكر- رضي الله عنه- (أي النقطة التي تلي الميم تمثل مقام أبي بكر، لأنه من العالم الذي بعث إليه الرسول، لكن له خصوصية، حيث أنه هو أول مستجيب من الرجال، وله أوفر نصيب في تبليغ الدعوة)؛

والنقطة التي تلي الألف: محمد ﷺ (أي كما لم تتميز وتتعين الياء إلا بنقطتيها، فكذلك لم تتعين الرسالة إلا بالرسول ﷺ الذي له النقطة الأولى، وبأول أنصاره الذي له النقطة الثانية).

وقد تقببت الياء عليهما كالغار: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة/ ٤٠]؛ فإنه واقف مع صدقه (أي أبو بكر الصديق- رضي الله عنه-)، **ومحمد- عليه السلام- واقف مع الحق، في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت. فهو الحكيم، كفعله يوم بدر في الدعاء والإلحاح، وأبو بكر عن ذلك صاح. فإن الحكيم يوفي المواطن حقها. ولما لم يصح اجتماع صادقين معاً، لذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي** ﷺ **وثبت مع صدقه به. فلو فقد النبي** ﷺ **في ذلك الموطن، وحضره أبو بكر، لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله- عليه السلام- ؛ لأنه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك؛ فهو صادق ذلك الوقت وحكيمه؛ وما سواه تحت حكمه.**

فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالبين (أي الطالبين لها من كفار قريش، وهما في الغار خلال الهجرة)، **أسف عليه، فأظهر الشدة، وغلب الصدق، وقال: ﴿لا تحزن﴾- لأثر ذلك الأسف- ﴿إن الله معنا﴾، كما أخبرتنا.**

وإن جعل منازع أن محمداً هو القائل لم تبال، لما كان مقامه ﷺ الجمع والتفرقة معاً، وعلم من أبي بكر الأسف، ونظر إلى الألف فتأيد (أي نظر إلى قيومية الحق- تعالى- الحاظر الناظر)، **وعلم أن أمره مستمرّ إلى يوم القيامة، قال: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾.**

وهذا أشرف مقام ينتهي إليه، (وهو الذي) يقدم «الله» عليك (أي: هو القول المنسوب إلى أبي بك – رضي الله عنه-): «**ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله**»، **شهود بكري، وراثة محمدية. وخاطب الناس بـ** (قوله- عليه السلام-): «**من عرف نفسه عرف ربه**»؛ **وهو قوله يخبر عن ربه- تعالى-: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾** [الشعراء/ ٦٢].

والمقالة عندنا إنما كانت لأبي بكر- رضي الله عنه- (أي ما ورد في الآية السابقة: **﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**). **ويؤيدنا قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». فالنبيّ ﷺ ليس بمصاحب، وبعضهم أصحاب بعض، وهم له أنصار وأعوان.**

فافهم إشارتنا تهدى إلى سواء السبيل.

لطيفة (النقطتان الرحيمية موضع القدمين) :

النقطتان الرحيمية: موضع القدمين، وهو أحد خلع النعلين: الأمر والنهي (سبق القول أن الياء عند الشيخ تشير إلى الرسالة البشرية، وهي التي مقامها عند الكرسي الذي هو محل القدمين، أي الثنائيات الوجودية، ومنها الأمر والنهي الشرعيين، وقدم السعادة التي تؤول بأهلها إلى الجنة ، وقدم الجبار التي تؤول إلى جهنم. وللنعلين الفعلين، كلباس للقدمين أي صفتي الهداية والضلالة).

(إشارات أخرى في حروف الاسم «الرحمن الرحيم») :

والألف: الليلة المباركة، وهي غيب محمد ﷺ (هي غيب لأنها لا تظهر في اللفظ، وهي عبارة عن قيومية الحق- تعالى-) التي لا قيام

لـه ﷺ إلاّ بهـا. قـال تعـالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح/ ١٠]، وقال له: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾) [**الأنفال/ ١٧**].

ثم فرق فيه إلى الأمر والنهي، وهو قوله: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان/ ٤]؛ وهو الكرسي؛ والحاء: العرش (أي لأن حملة العرش ثمانية، وعدد الحاء ثمانية)؛ **والميم: ما حواه** (أي ميم الملك، ومن معاني كلمة «العرش»: الملك).

والألف: حد المستوى (أي الألف تشير إلى حضرة الحق المتجلية بالاسم «الرحمن» على العرش).

والراء: صريف القلم (أي عدد حرف «را» هو ٢٠٠، وهو نفس عدد «القلم». والصفة المميزة للراء هي كونها الحرف المكرر، يرتعد بها اللسان، وفي ذلك تذكير بصريف القلم حين يكتب).

والنون: الدواة التي في اللام (أي أن شكل اللام يتألف من ألف متصلة بنصف دائرة نون: ا+ ن= ل. فالألف لها شكل القلم، والنون لها شكل الدواة. قال تعالى: ﴿**نون والقلم وما يسطرون**﴾) [**نون/ ١**].

فكتب ما كان وما يكون، في قرطاس لوح «الرحيم»؛ وهو اللوح المحفوظ، المعبر عنه بـ «كل شيء» في الكتاب العزيز، من باب الإشارة والتنبيه، قال تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾ [الأعراف/ ١٤٥]، وهو اللوح المحفوظ (بالحساب المغربي عدد كلمة «كل شيء» هو ٣٦٠، وهو نفس عدد بداية الآية الأولى من سورة القلم: ﴿**نون والقلم وما**﴾).

«موعظة وتفصيلا لكل شيء»: وهو اللوح المحفوظ الجامع. ذلك عبارة عن النبي ﷺ في قوله: «أوتيت جوامع الكلم».

«موعظة وتفصيلاً»: وهما نقطتا الأمر والنهي، «لكل شيء» (وهو): غيب محمد (الذي هو) الألف المشار إليه بالليلة المباركة.

(تلخيص حول اسم «الرحمن الرحيم») :

فالألف للعلم، وهو المستوي. واللام للإرادة، وهو النون، أعني الدواة. والراء للقدرة، وهو القلم. والحاء للعرش. والياء للكرسي. ورأس الميم للسماء؛ وتعريقه للأرض.

فهذه سبعة أنجم: نجم منها يسبح في فلك الجسم (وهو المناسب للأرض، أي تعريقة الميم)؛ **ونجم في فلك النفس الناطقة** (وهو المناسب للسماء، والنفس تهوى السمو والرئاسة، فلها رأس الميم)؛ **ونجم في فلك سر النفس، وهو الصديقية** (وهو المناسب للكرسي، أي للياء، لأن الصديق هو المسارع للعمل بالأمر والنهي الشرعيين النازلين من الكرسي)؛ **ونجم في فلك القلب** (وهو المناسب للعرش، أي الحاء؛ فالحق تعالى استوى باسمه «الرحمن» على العرش، و استوى باسمه الجامع «الله» على قلب المؤمن الكامل).

ونجم في فلك العقل (وهو المناسب للقلم ولراء القدرة، لأن العقل الأول هو عين القلم الأعلى، مظهر القدرة الإلهية)؛ **ونجم في فلك الروح** (وهو المناسب للام الإرادة، المتضمن في ساقه القائمة ألف العلم وفي تعريقه نون الدواة).

فحل ما قفلنا؛ وفيما قررنا مفتاح لما أضمرنا؛ فاطلب تجد إن شاء الله.

فـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن تعدد فهو واحد، إذا حقق من وجه ما (كما سبق ذكره، فإن عدد الحروف المشكلة للبسملة بحذف مكررها هو عشرة، أي عدد ياء الرسالة البشرية المتمثلة في القرآن العظيم المفتتحة سوره بالبسملة، وعدد الياء بالحساب الصغير هو واحد. فمرجع الكل على مبدئه الواحد الأحد: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ [هود/ ١٢٣].

الباب الحادي عشر

مواقع البسملة في أبواب الفتوحات المكية

مواقع البسملة في أبواب الفتوحات المكية

في «الفتوحات المكية» خصص الشيخ لبيان بعض أسرار البسملة القسم الأول من الباب الخامس الباب الخامس الذي سنحاول شرحه لاحقا؛ وفي ثنايا بعض الأبواب الأخرى تكلم عنها بطريق الإشارة أو العبارة، كما سنبينه في الفقرات التالية:

البسملة والأنفاس الرحمانية وأعدادها في الفتوحات وكتاب «فصوص الحكم» :

في آخر الباب ٢٤ تكلم عن الأنفاس الرحمانية وأهلها؛ ولا شك أن منبعها هو بسملة الفاتحة بالخصوص، فيقول:

[وأما القلوب المتعشقة بالأنفاس، فإنه لما كانت خزائن الأرواح الحيوانية تعشقت بالأنفاس الرحمانية للمناسبة، قال رسول الله ﷺ : «إن نفس الرحمان يأتيني من قبل اليمن». ألا وإن الروح الحيواني نفس؛ وإن أصل هذه الأنفاس عند القلوب المتعشق بها النفس الرحماني الذي من قبل اليمن، لمن أخرج عن وطنه، وحيل بينه وبين مسكنه وسكنه. ففيها تفريج الكرب، ودفع النوب. وقال ﷺ : «إن لله نفحات فتعرضوا لنفحات ربكم». وتنتهي منازل هذه الأنفاس في العدد إلى ثلاثمائة نفس وثلاثين نفساً (يعني الشيخ العدد الرقمي لاسم «الرحمان» بحساب الجمل الكبير)، في كل منزل من منازلها، التي جملتها الخارج من ضرب ثلاثمائة وثلاثين في ثلاثمائة وثلاثين. فما خرج فهو عدد الأنفاس التي تكون من الحق من اسمه «الرحمن» في العالم البشري. والذي أتحققه إنّ لها منازل تزيد على هذا المقدار مائتين منزلاً، في حضرة الفهوانية خاصة (أي في حضرة الحروف اللفظية، حيث يعبر تضعيف الحرف، وهو

الراء هنا التي لها العدد ٢٠٠). فإذا ضربت ثلاثمائة وثلاثين في خمسمائة وثلاثين، فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني؛ كل نفس منها علم إلهي مستقل، عن تجل إلهي خاص لهذه المنازل، لا يكون لغيرها. فمن شم من هذه الأنفاس رائحة عرف مقدارها. وما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس، وأكثر ما يكونون من بلاد الأندلس، واجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس وبمكة، فسألته يوماً في مسألة، فقال لي: «هل تشم شيئا»؟ فعلمت أنه من أهل ذلك المقام، وخدمني مدة؛ وكان لي عم أخو والدي شقيقه اسمه عبد الله بن محمد بن العربي، كان له هذا المقام حساً ومعنى، شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل].

وتكلم الشيخ عن الأنفاس الرحمانية أيضا في الأبواب: ٣٤/ ٣٥/ ٥١. وفي الباب ٤٩ تكلم عن البسملة الغائبة عن سورة التوبة. وعاد إليها ٣٧٥ المتعلق بمنزل سورة التوبة، فقال:

[وفي هذا المنزل من العلوم علم دقيق خفي، لا يشعر به لخفائه مع ظهوره، فإن العلماء بالله قد علموا شمول الرحمة، والمؤمنون قد علموا اتساعها، ثم يرونها مع الشمول والاتساع ما له صورة في بعض المواطن (يشير الشيخ إلى عدم وجود البسملة في سورة التوبة). ومع كونها ما لها صورة ظاهرة في بعض المواطن، فإن الحكم لها في ذلك الموطن، الذي ما لها فيه صورة؛ ولا يكون لها حكم إلا بوجودها؛ ولكنه خفي لبطونها، جلي لظهور حكمها. وأكثر ما يظهر ذلك في صنعة الطب، وإقامة الحدود. فالله يقول في إقامة الحدود في حد الزاني والزانية: ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ [النور/ ٢]؛ فهذا عين انتزاع الرحمة بهم؛ وإقامة الحدود من حكم الرحمة، وما لها عين ظاهرة. وكالطب إذا قطع الطبيب رجل صاحب الأكلة، فإن رحمه في هذا الموطن ولم يقطع رجله هلك. فحكم الرحمة حكم بقطع رجله، ولا عين لها. فللرحمة موطن تظهر فيه بصورتها، ولها موطن تظهر فيه بحكمها؛ فيتخيل أنها قد انتزعت من ذلك المحل، وليس كذلك. وفي الأحكام الشرعية في هذه المسألة خفاء، إلا لمن نور الله بصيرته. فإن القاتل ظلماً قد نزع الله الرحمة من قلبه في حق المقتول، وهو تحت حكم الرحمة في قتله ظلماً، وبقي حكمها في القاتل، فإما أن يقاد منه وإما أن يموت؛ فيكون في المشيئة. وإن كان القاتل كافراً،

فإما أن يسلم فتظهر فيه الرحمة بصورتها، وحيثما كانت الرحمة بالصورة كانت بالحكم، وقد تكون بالحكم ولا تكون بالصورة].

وفي الباب ٦٩ (وصل في البسملة في افتتاح القراءة في الصلاة) يقول: [...فإن تيسر له قراءة البسملة قرأها؛ وإن لم تتيسر قراءتها في الفاتحة وغيرها فلا حرج.... والبسملة عندنا آية من القرآن حيثما وردت من القرآن. وهي آية، إلا في سورة النمل في كتاب سليمان، فإنها جزء من آية، ما هي آية كاملة. والله أعلم...). وفي نفس هذا الباب (وصل في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة)، أعاد الكلام عن البسملة ورحمتها وعلاقتها بالحمد.

وفي كتابنا (المفاتيح الوجودية والقرآنية لفصوص الحكم لابن العربي)، بينا كيف أن التركيبة الخفية لأبواب الفصوص وأنبيائها، المناسبة لتركيبة مراتب الوجود، والأسماء الحسنى المتوجهة على إيجادها، وتسلسل الحروف الثمانية والعشرين حسب مخارجها، والسور الأخيرة من المفصل في القرآن، كلها راجعة للبسملة، من حيث العددين ٤٠٦ و١٥٧٢. فالعدد ٤٠٦ هو عدد الحروف العشرة المؤلفة للبسملة؛ والعدد ١٥٧٢ هو ضعف العدد ٧٨٦ الذي هو عدد البسملة بحروفها التسعة عشر. والتفصيل يُنظر في ذلك الكتاب.

البسملة وكلمة التكوين :

في جوابه عن السؤال ١٤٧ من أسئلة الحكيم الترمذي في الباب٧٣، وهو: «ما تأويل قول بسم الله»؟ أجاب الشيخ بما يلي:

[هو للعبد في التكوين بمنزلة «كن» للحق؛ فبه يتكون عن بعض الناس ما شاؤوا. قال الحلاج: «بسم الله من العبد بمنزلة كن من الحق». ولكن بعض العباد له «كن» دون «بسم الله»، وهم الأكابر. جاء عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنهم رأوا شخصاً فلم يعرفوه، فقال رسول الله ﷺ : «كن أبا ذر»، فإذا هو أبو ذر؛ ولم يقل: «بسم الله»، فكانت «كن» منه: «كن» الإلهية. فإنه قال الله تعالى في من أحبه حب النوافل: «كنت سمعه وبصره ولسانه الذي يتكلم به»؛ وقد شهد الله لمحمد ﷺ بأن له نافلة بقوله تعالى: ﴿**ومن الليل فتهجّد به نافلة لك**﴾ [الإسراء/ ٧٩]؛ فلا بد أن يكون سمعه الحق، وبصره الحق، وكلامه الحق؛ ولم يشهد

بها لأحد من الخلق على التعيين. فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله، وفضلت له نوافل، أن يحبه الله - تعالى - هذه المحبة الخاصة؛ وجعل علامتها ان يكون الحق سمعهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم. ولهذا دعا رسول الله ﷺ أن يكون كله نورا؛ فان الله نور السموات والأرض. ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله، وتقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء؛ فاختلفت العبارات، وتوحد المعنى. ونحن نرغب إلى الله ونضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبودتنا].

وبعود الشيخ إلى هذا المعنى في الباب ٣٥٣ المتعلق بسورة لقمان، فيقول:

[فإن الإنسان له في باطنه قوة «كن»، وما له منها في ظاهره إلا الانفعال؛ وفي الآخرة يكون حكم «كن» منه في الظاهر. وقد يعطى لبعض الناس في الدنيا، وليس لها ذلك العموم .فمن رجال الله من أخذ بها، ومن رجال الله من تأدب مع الله فيها، لعلمه أن هذا ليس بموطن لها، ولا سيما وقد رأى الأكابر الذين لا خلاف في تقدمهم عليه وعلينا، قد قيل له: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾، وقيل له: ﴿**أفأنت تنقذ من في النار**﴾، لأنه إذا أسلم فليس من أهل النار. فلما رآها رجال الله غير عامة الحكم في هذه الدار، جعلوا حكم ما لا تعم إلى حكم ما تعمه؛ فترك الكل إلى موطنه. وهذه حالة الأدباء، العلماء بالله، الحاضرين معه على الدوام. فالأديب خلاق في هذه الدار بالعمل، لا بـ «كن»، بل بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، ليسلم في عمله من مشاركة الشيطان؛ حيث أمره الله بالمشاركة في الأموال والأولاد؛ فهو ممتثل هذا الأمر الإلهي، حريص عليه؛ ونحن مأمورون باتقائه في هذه المشاركة؛ فطلبنا ما نتقيه به لكونه غيباً عنا لا نراه؛ فأعطانا الله اسمه. فلما سمينا الله على أعمالنا عند الشروع فيها، توحدنا بها، وعصمنا من مشاركة الشيطان. فإن الاسم الإلهي هو الذي يباشره، ويحول بيننا وبينه. وإن بعض أهل الكشف ليشهدون هذه المدافعة التي بين الاسم الإلهي من العبد في حال الشروع وبين الشيطان. وإذا كان العبد بهذه الصفة، كان على بينة من ربه، وفاز ونجا من هذه المشاركة، وكان له البقاء في الحفظ والعصمة في جميع أعماله وأحواله] انتهى.

وإلى مثل هذا المعنى يعود الشيخ في الباب٥٥٨ في الفقرة المناسبة للباب الخامس المتعلق بالبسملة والفاتحة ، فيقول: [سر«كن» والبسملة، فيمن عللـه من الباب الخامس: قال الحلاج، وإن لم يكن من أهل الاحتجاج: (بسم الله منك، بمنزلة «كن» منه)؛ فخذ التكوين عنه. فمن تقوى جأشه، واستدار عرشه، وتمهد فرشه، كرسول الله ﷺ قال: «كن»، ولم يبسمل، فـ «كان» ولم يحوقل. فمن ذاق ضاق. وإذا التفت الساق بالساق، فإلى ربك المساق؛ فإليه ترجع الأمور، إذا كان منه الصدور:

لا تبسمل وقل بكن مثل ما قاله يكن
فإليه رجوعنا لا إلينا فكن تكن

انتهى.

ونفس المعنى نجده في أول بيت من منزل سورة العلق (الباب ٢٩٨) حيث يقول:

«كن» للإله كـ «بسم الله» للبشر من اسمه «الرب» رب الروح والصور.

وأيضا في الباب٣٣٣المتعلق بسورة الذاريات يقول عندما يبدأ في تعداد علومها: [فمن ذلك علم أسماء التكوين وعلم حروف التكوين]. وفي الباب ٣٣٦ المتعلق بسورة الفتح، يبدأ أسماء علومها بقوله:[فلنذكر ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم، لترتفع الهمة إلى الوقوف عليها والتحلي بها، فمن ذلك علم الرحموت]. وفي بداية تعداده لعلوم منزل سورة القمر في الباب ٣٣٠ يقول:[ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم الرحمتين].وفي الباب ٣٥١ المتعلق بسورة الأحزاب يكرر مثل هذه الإشارات فيقول: [ولما فتح الله باب الرحمتين، وبان الصبح لذي عينين، أوقف الله من شاء من عباده بين يديه...] ثم واصل في تفصيل بعض معاني السورة. وفي الباب٣٧٠ المتعلق بمنزل سورة إبراهيم الخليل-عليه السلام- يقول: [فلنذكر ما فيه من العلوم كسائر المنازل فنقول: فيه علم رحمة الخلان والفرق بينها وبين رحمة المحبوبين والأبناء والآباء والمستلذات كلها).

وكذلك في الفصل الرابع من الباب ١٩٨ ذكر الشيخ تفصيلا لمعنى «بسم الله».

البسملة في منزل سورة الفلق :

خصص الشيخ في فصل المنازل من الفتوحات الباب٢٧١ لسورة الفلق، وفيه أشار إلى بسملتها فقال (وشرح كلام الشيخ بين قوسين):

[هذا المنزل على خمس درجات (**أي لسورة الفلق خمس آيات**)؛ والدرجة السادسة التي لهذا المنزل (**أي البسملة**) فيها خلاف بين أهل هذا الشأن؛ فمنهم من جعلها درجة مستقلة بنفسها، لكنها فاصلة بين مقامين من المقامات الإلهية (**أي من العلماء من جعل البسملة آية مستقلة فاصلة بين سورتين**) وليس هو مذهبنا. ومنهم من جعلها درجة سادسة في عين هذا المقام وهو مذهبنا (**أي أن البسملة آية أولى من كل سورة، فهي آية من سورة الفلق**). وهذه الدرجة تتضمن منزلاً واحداً من منازل الغيب بالإجماع من أهل هذا الشأن (**يعني الألف التي لا تكتب ولا تلفظ بين الباء والسين من «بسم»**). وقيل ثلاث منازل بخلاف بينهم (**أي الألفات الغائبة في الرقم، وهي: الألف بين الباء والسين من «بسم»، وألف المد بين اللام والهاء من «الله» أو الواو المطوية في هاء الهوية منه، وألف المد بين الميم والنون من «الرحمن»**). فأما ابن برجان (**من مشاهير صوفية الأندلس، له تآليف أشهرها تفسيره للقرآن، وشرحه للأسماء الحسنى، وقبره يزار في مراكش، توفي سنة ٥٣٠أو٥٣٦هـ**) فانفرد دون الجماعة بإظهار المنزل الثاني في هذه الدرجة من منازل الغيب، ولم أعلم ذلك لغيره،ولكن فيه بعد عظيم، وإن كنا نحن قد ذهبنا إلى هذا المذهب في بعض كتبنا؛ ولكن ليس في وجوده تلك القوة؛ وإنما يظهر عند صنعة التحليل، والكلام على المفردات من علم هذا الطريق، وهو مما يتعلق بمعرفة الهوية (**يعني الواو الخفية تماما الغائبة في هاء اسم «الله» من البسملة. وقد تكلم الشيخ عنه في تحليله لهذا الاسم في الباب الخامس من الفتوحات الذي سنشرحه لاحقا؛ كما تكلم عنه في «كتاب الجلالة»**). ولهذه الدرجة تسعة عشر منزلاً (**أي تسعة عشر حرفا**) من منازل الشهادة (**أي حروفا مرقومة تشهدها العين**). كل منزل من هذه المنازل الشهادة يمنع ملكاً من التسعة عشر الذين على النار، فلا يصيب صاحب هذه الدرجة من النار شيئ؛ قال تعالى: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾ [المدثر/ ٣٠]. فلوجود هذه المنازل في هذه الدرجة جعلت ملائكة النار تسعة عشر، ولا نعكس فنقول: من أجل هؤلاء الملائكة جعلت هذه المنازل تسعة عشر؛ فإن الأمر لم

يكن كذلك؛ ولم تكن هذه المنازل بحكم الجعل؛ بخلاف الملائكة؛ فإن هذه الدرجة اقتضت هذه المنازل لذاتها، وقال في الملائكة: ﴿**وما جعلنا عدتهم إلا فتنة**﴾ [المدثر/ ٣١]، فكانوا بحكم الجعل؛ وكانوا في عالم الشهادة لأن النار محسوسة مشهودة (**يعني أن الملائكة مخلوقون محدثون، بينما البسملة من كلام الله الأزلي القديم، والحادث تابع للقديم لا العكس. ومن هنا تكمن أهمية علم الحروف عند الشيخ الأكبر**) وتتضمن هذه الدرجة السادسة من العلوم: علم الأسماء الإلهية المتعلقة بالكون (أي: الله الرحمن الرحيم)؛ ولها صورة في العموم من حيث الإيجاد (**أي آثار الاسمين «الله الرحمن» تعم الكون كله؛ ومنهما تنبعث الأنفاس الرحمانية المظهرة لمراتب الوجود**) وفي الخصوص من حيث السعادة (**يعني الاسم «الرحيم» المخصوص بأهل السعادة**). واعلم أنه ما من منزل من هذه المنازل التي في هذا الكتاب إلا وله هذه الدرجة (**أي ما من سورة إلا وهي مفتتحة بالبسملة**)؛ وتختلف آثارها باختلاف المنازل (**أي أن معاني البسملة تختلف من سورة إلى أخرى، حسب الحقائق المذكورة في السورة، إذ هي الممدة لكل ما فيها. وقد أعطى بعض المفسرين لبسملة كل سورة معاني متجددة لا توجد في غيرها، كالقشيري في تفسيره «لطائف الإشارات»، وغيره**) إلا منزلاً واحداً من منازل القهر (**أي سورة التوبة الخالية من البسملة**)؛ وسيأتي ذكره إن شاء الله. وكنا قد ذكرنا في كتاب «هياكل الأنوار» هذا المنزل (**أي منزل سورة الفلق**)، وما يختص به، وما يعطيه هيكله؛ فلينظر هناك، وهو الهيكل الثاني عشر ومائة (**أي لأن هذا العدد هو رقم سورة الفلق باعتبار سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة كما يذهب إليه بعض العلماء**)].

البسملة في منزل سورة الإخلاص :

بأسلوب إشاري آخر، تكلم الشيخ عن التماس الرحمة والعلم من البسملة، وذلك في منزل سورة الإخلاص التي لها الباب ٢٧٢، فيقول (وما بين قوسين شرح لكلامه):

[واعلم أن هذا المنزل وإن كان يطلب الأحدية والتنزيه من جميع الوجوه، فإنه يظهر في الكشف الصوري المقيد بالمظاهر، كالبيت القائم على خمسة أعمدة، عليها سقف مرفوع (**يعني بالأعمدة الآيات الخمسة في السورة، وهي مشتملة على أسماء حسنى خمسة: هو- الله- أحد- الله-**

الصمد)؛ محيط به حيطان، لا باب فيها مفتوح؛ فليس لأحد فيه دخول بوجه من الوجوه (**أي لأنه يستحيل على العبد التخلق بالأسماء والمعاني الواردة في سورة الإخلاص، لاختصاصها بالحق وحده تعالى**). لكن خارج البيت عمود قائم ملصق إلى حائط البيت (**يعني البسملة الخاصة بسورة الإخلاص**)، يتمسح به أهل الكشف (**أي لأنهم بسر البسملة ورحماتها يكشفون أسرار سورتها**)؛ كما يقبلون ويتمسحون بالحجر الأسود (**الذي هو بداية الطواف كما أن البسملة بداية السورة**)، الذي جعله الله خارج البيت، وجعله يميناً له، وأضافه إليه لا إلى البيت. كذلك هذا العمود، لا يضاف إلى هذا المنزل وإن كان منه، إلا أنه ليس هو خاصاً به، فإنه موجود في كل منزل إلهي (**أي وجود البسملة في مفتتح كل سورة**)، وكأنه ترجمان بيننا وبين ما تعطيه المنازل من المعارف (**هنا تكمن الأهمية العظمى للبسملة، لأن رحمة الله الرحمن الرحيم هي وحدها الفاتحة لمعارف القرآن، بل لكل المعارف**). وقد نبه على ذلك ابن مسرة الجبلي (**أي القرطبي الأندلسي، كان من أكابر العارفين المحققين: ٢٦٩- ٣١٩ هـ**) في كتاب الحروف له. وهذا العمود له لسان فصيح يعبر لنا عما تحويه المنازل (**أي السور**)، فنستفيد منه علم ذلك. ومن المنازل ما ندخل فيه ونمشي في زواياه (**وهي السور التي يمكن للسالك التخلق بحقائقها وبالأسماء الحسنى الواردة فيها**)؛ فنجد الأمر على حد ما عرفناه فيه (**أي كل ما في السورة نابع ومطوي في بسملتها**). ومن المنازل ما لا سبيل لنا إلى الدخول فيه، مثل هذا المنزل؛ فنأخذ من هذا العمود التعريف بحكم التسليم؛ فإنه قد قام الدليل لنا على عصمته فيما يخاطبنا به في عالم الكشف؛ كالرسول في عالم الحس. فهو لسان حق. ومن الناس من يلحقه بأعمدة البيت (**أي يعتبر البسملة آية من السورة**)، فإن بعض الحائط عليه (**لأن البسملة ملصقة ببداية السورة**)؛ ولا يظهر لنا منه إلا وجه واحد، وسائره مستور في الحائط (**أي لا يظهر لنا من البسملة إلا ما يمكن التخلق به، وهو الاسم «الرحيم». أما «الله الرحمن» فهو داخل بيت الإخلاص لكونه مخصوص بالحق تعالى**). فيقول بعض المكاشفين أن البيت قائم على ستة أعمدة (**أي باعتبار البسملة آية منها**)؛ فلا تناقض بين مثبتي الخمسة والستة، في قيام البيت عليها. فقد بيّنا لك ذلك حتى لا تتخيل أن الحق في أحد القولين، ومع إحدى الطائفتين؛ فكل طائفة منهما صادقة؛ فلهذا أخبرتك بكيفية ذلك. هكذا جميع

ما يظهر للناس أنهم اختلفوا فيه. فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به؛ بل هم في شغلهم أصح وأحق من أهل الحس فيما يدركونه بحواسهم] **انتهى**.

البسملة في منزل سورة المسد :

خصص الشيخ لهذا المنزل الباب٢٧٣، وبدأه بالإشارات إلى الفاتحة أم الجمع، أي أم القرآن وبسملتها، فقال:

[اعلم أن الله تعالى لما خلق الأفلاك، وعمرها بالأملاك، وقدر للكواكب السبعة السيارة فيها منازل تجري فيها إلى أجل مسمى، تعين الزمان بجريانها وسباحتها؛ وخلق المكانة قبل الأمكنة؛ ومد منها رقائق إلى أمكنة مخصوصة في السموات السبعة والأرض. ثم أوجد المتمكنات في أمكنتها، على قدر مكانتها. فكان من تقدير الله العزيز العليم، أن خلق عقلا من العقول، إعلاما بما أودعه فيه من صفة القدرة لا من صفة غيرها، خصه بذلك على أبناء جنسه (**يعني به العقل الأول المسمى أيضا القلم الأعلى، الذي خصه الله تعالى من بين الأرواح المهيمة من الكروبيين العالين، بتجلي اسمه «العليم القدير»**)؛ وذلك من الاسم الظاهر الذي يختص بهذا العقل. فألقى إليه ذلك بضرب من القهر سار فيه موجّه، لها ثلج وبرد وسرور؛ فتفجرت فيه خمسة أنهار من العلم (**يشير الشيخ إلى الآيات الخمسة من سورة المسد**)، من الاسم الأول والآخر، الذي يختص به هذا العقل. ثم جرت هذه الأنهار في الاسم الباطن الذي له، فتقدست أوليته على سائر الأوليات، وآخريته على سائر الآخريات؛ وكذلك ظاهره وباطنه. وصدر عن أم الكتاب الذي عنده حضرة تسمى أم الجمع (**يشير إلى الفاتحة ببسملتها**)؛ أدخلني الحق إياها (**أي حققني الحق بأسرارها**)، فرأيتها، ورأيت ظاهرها (**أي كلماتها وحروفها**) وباطنها (**وهي حقيقة الإنسان المحمدي الكامل**)، وعاينت مكان هذا العقل منها: نكتة سوداء مستورة نقية، ما بين حمرة وصفرة (**أي نقطة باء البسملة المنطوية فيها كل الحقائق؛ وهي نقية لأوليتها كالفطرة الأصلية الطاهرة؛ أي أن النقطة برزخية بين لون شكل الباء ولون خفضتها؛ أو أن صفات «الله الرحمن الرحيم» برزخية بين حمرة أسماء الذات في « الله الرحمن»، وصفرة أسماء الصفات المتجلية في البسملة والفاتحة، ولها اللون الأصفر البرزخي لأنها برزخية أي مشتركة يصح**

إطلاقها على الحق وعلى الخلق كالاسم «الرحيم»). وعاينت الرقيقة التي بين المكانة وهذا المكان المعين (**أي بين العقل الأول ونقطة باء البسملة**). ورأيت موسى وهارون ويوسف - عليهم السلام- ناظرين إلى هذا العقل (**يشير الشيخ هنا إلى أنبياء بني إسرائيل الأوائل، من حيث أن أول حرف في التوراة هو الباء، كالقرآن، حسبما ذكره الشيخ في الفتوحات لما حاوره أحد أحبار اليهود في هذه المسألة؛ وحتى كلمة «بني إسرائيل» تبدأ بالباء، فبدايتهم هي نهاية أبيهم يعقوب- عليه السلام -**). وفرع سبحانه من هذه الحضرة الجامعة (**أي الحقيقة المحمدية التي مظهرها الأول العقل الأول وسورتها الفاتحة**)، التي اختصها لنفسه، حضرات لا يعلم عددها إلا الله في السماء والأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، إلى حد الاستواء. كل هذه الحضرات للحق إليها نظر خاص، رفعها بذلك على غيرها (**أي سور القرآن المتفرعة من الفاتحة ، تفرع مراتب الوجود من الحقيقة المحمدية**). فلها عند من يعرفها ممن عرفه الحق بها، حرمة وبرا وإكراما تسمى هذه الحضرات مقامات التنزيه، إذا دخلتها الروحانيات العلى اكتسب من أحوال التنزيه الإلهي ما لا يعلم قدره إلا الله؛ وحصل لهم من الخضوع والخشوع والذلة والافتقار، ما لم يكن لهم قبل دخولهم. ومن هذه الحضرات وفي هذه المقامات (**أي سور القرآن**) يحصل لهم رؤية وجه الحق في كل شيئ على التمام والكمال. لكن من الرجال من يشاهدها، ومن الرجال من يعطيهم هذه الحال ولا يعرفها، ولا يدري في أي رتبة حصلت له، على قدر ما سبق به علم الله فيه؛ فمنهم ومنهم].

ثم فصل الشيخ بكيفية وافية شافية، بيوت منزل سورة المسد، وهي عبارة عن آياتها، وخزائن البيوت أي كلمات الآيات، وأقفالها أي حروف الكلمات، وعدد درج مفاتيح هذه الأقفال، أي عدد الحرف بحساب الجمل الكبير. وقال أن عدد العلوم التي يتضمنها كل حرف من القرآن يساوي عدد هذا الحرف بهذا الحساب. ثم رجع إلى بسملة سورة المسد مشيرا إليها بقوله:

[غير أني تركت عند الدخول إلى هذا المنزل بيتاً واحداً (**أي آية البسملة**) في دهليز هذا المنزل، لا يفتح لكل أحد؛ وقد فتح لي، ودخلته، وعرفت ما فيه؛ وهو يتضمن ويخزن فيه جميع مفاتيح الخزائن كلها التي تتضمنها هذه المنازل التي في هذا الكتاب (**أي كل القرآن منطو**

في البسملة)؛ وهو يحوي على أمور جليلة؛ وللعارف به تحقق في إيجاد الكائنات عنه (**قد سبق بيان هذا المعنى**). والله يقول الحق وهو يهدي السبيل] **انتهى**.

البسملة في منزل سورة الفيل :

لها في المنازل الباب٢٧٩، وفيه أشار إلى أن البسملة هي الموقف الفاصل بين مقامات السور، إلى أن قال:

[واعلم أنه ما من منزل من المنازل (**أي سورة من السور**)، ولا منازلة من المنازلات (**أي: آية من الآيات**)، ولا مقام من المقامات، ولا حال من الحالات، إلا وبينهما برزخ يوقف العبد فيه، يسمى الموقف. وهو الذي تكلم منه صاحب المواقف: محمد بن عبد الجبار النفري رحمه الله، في كتابه المسمى بالمواقف، الذي يقول فيه: «أوقفني الحق في موقف كذا»، فذلك الاسم الذي يضيفه إليه هو المنزل الذي ينتقل إليه، أو المقام أو الحال أو المنازلة (...). وفائدة هذه المواقف، أن العبد إذا أراد الحق أن ينقله من شيء إلى شيء، يوقفه ما بين ما ينتقل عنه، وبين ما ينتقل إليه، فيعطيه آداب ما ينتقل إليه، ويعلمه كيف يتأدب بما يستحقه ذلك الأمر الذي يستقبله. فإن للحق آداباً لكل منزل ومقام وحال ومنازلة. إن لم يلزم الآداب الإلهية العبد فيها وإلا طرد. وهو أن يجري فيها على ما يريده الحق من الظهور، بتجليه في ذلك الأمر أو الحضرة، من الإنكار أو التعريف، فيعامل الحق بآداب ما تستحقه (...). وما ثم منزل ولا مقام كما قلنا، إلا وبينهما موقف، إلا منزلان، أو حضرتان، أو مقامان، أو حالان، أو منازلتان، كيف شئت قل، ليس بينهما موقف (**وهما سورة الأنفال وسورة التوبة ليس بينهما بسملة**). وسبب ذلك أنه أمر واحد (**أي أنهما في الأصل سورة واحدة**)؛ غير أنه يتغير على السالك حاله فيه؛ فيتخيل أنه قد انتقل إلى منزل آخر، أو حضرة أخرى، فيحار لكونه لم ير الحق أوقفه؛ والتغيير عنده حاصل؛ فلا يدري هل ذلك التغير الذي ظهر فيه هل هو من انتقاله في المنزل، أو انتقاله عنه؟ فإن كان هنالك عارف بالأمر عرفه، وإن لم يكن له أستاذ بقي التلبيس (...). فلهذا المنزل الذي نحن فيه (أي سورة الفيل) موقف يجهل، لا بل يحار فيه صاحب المواقف، لأن المناسبة بين ما يعطيه الموقف الخاص به وبين هذا المنزل بعيدة مما بني المنزل عليه (أي بعد المناسبة بين رحمة البسملة

وبين العقاب الذي حصل لأصحاب الفيل)؛وكذلك الذي يأتي بعده **(أي كذلك المناسبة بعيدة بين رحمة البسملة وبين الويل المفتتح به سورة الهمزة التالية لسور الفيل. ولهذا فإن بعض القراء لا يقرؤون البسملة في بداية السور المفتتحة بلفظة «الويل»)**. إلى آخر ما فصله رضي الله عنه] .

البسملة في منزل سورة المدثر :

له في فصل المنازل الباب ٣١٠؛ وفيه يعدد علوم السورة، وعندما يصل فى إشاراته إلى الآية «عليها تسعة عشر»، يشير إليها بقوله:

[(من علوم هذا المنزل): علم ما تحوي عليه البسملة من الأسرار، ولماذا انحصرت في هذه الثلاثة الأسماء، وهذه الحروف المخصوصة دون باقي الحروف (وقد قال في الباب الثاني أن في الحروف عامة وخاصة، وأن حروف البسملة العشرة صفاء خلاصة خاصة الخاصة من الحروف)، وأين محلها من الآخرة؛ وهل تخلق من حروفها ملائكة؟ أي يأتي يوم القيامة كل حرف منها صورة قائمة، مثل ما تأتي سورة البقرة وسورة آل عمران، وهما الزهراوان يشهدان لقارئهما. وإذا وجدت صور هذه الحروف يوم القيامة، فمن حيث رقمها، أو من حيث التلفظ بها؟ أو منهما؟ والحروف المشددة منها، هل تخلق صورتين أو صورة واحدة؟ وإذا خلقت هذه الحروف صوراً، فمن أي شيء تقي قارئها؟ (أي إشارة إلى وقايتها من زبانية جهنم التسعة عشرة). ومن في مقابلتها ووقايتها؟ هل هي عين الشهادة؟ فإن كانت للشهادة، فما تشهد إلا لمن رقمها؟ أو من تلفظ بها أنه رقمها؟ أو تلفظ بها، وقد رقمها الكافر، وتلفظ بها المنافق؟ وإن كانت تشهد بالإيمان بها، الذي محله القلب، فما هي بسملة الرقم، ولا بسملة اللفظ، وليس في النفس إلا العلم بها، والإيمان والإرادة لها. وكذلك يكون الأمر على هذا التقسيم في الزهراوين من رقمها، أو قراءتها، أو من كونها سورة فقط، أو من كونها ذات آيات وحروف، وهل الآيات في الصورة، كالأعضاء لصورة الحيوان؟ أو هي لها كالصفات النفسية للموصوف لا كالأعضاء؟ هذا كله من علم هذا المنزل].

ونشير هنا إلى أن الشيخ قال في كتاب «منزل المنازل الفهوانية» أن خزنة الجنة، وكذلك خزنة عالم الدنيا هم تسعة عشرة، على عدد خزنة البروج الاثني عشر مع رؤساء ملائكة السماوات السبعة. فمدد هؤلاء

كلهم من البسملة بحروفها التسعة عشر. وبضرب العدد تسعة عشر في نفسه يحصل العدد ٣٦١، المتعلق مباشرة بدرجات دائرة الفلك.

البسملة في منازل سور الحواميم وسورة يس :

في أبواب منازل الحواميم السبعة تكلم الشيخ عن علاقة رحمة البسملة بالحرفين (حم) أو (حاميم= ٩٩)، وألوية الحمد السبعة المخصوصة بالمقام المحمدي المحمود يوم القيامة، خصوصا عند كلامه على الرحمتين البسيطة والمركبة في منزل سورة فصلت (الباب ٣٤٣)، ومنزل سورة غافر (الباب ٣٤٤)، حيث يقول:

[قد قدمنا أن لله رحمة عامة، ورحمة خاصة، وأن الله خص هذه الأمة برحمة خاصة، فقال رسول الله ﷺ : «إن أمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدنيا الزلازل والقتل والبلاء»؛ خرج هذا الحديث البيهقي في كتاب الأدب له، في باب: «المؤمن قل ما يخلو من البلاء، لما يراد به من الخير» (...) وقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم»؛ ولم يخصص ﷺ أمة من أمة؛ فإنه ما قال: «ناس من أمتي»؛ فهذه رحمة عامة فيمن ليس من أهل النار. ثم قال ﷺ : «فأماتهم الله فيها إماتة»؛ فأكده بالمصدر. فهذا كله قبل ذبح الموت. وإنما أماتهم حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم، فإن النفوس التامة هي الموحدة المؤمنة، فيمنع التوحيد والإيمان قيام الآلام والعذاب بها. والحواس أعني الجسوم، كلها مطيعة لله، فلا تحس بآلام الإحراق الذي يصيرهم حمماً، فإن الميت لا يحس بما يفعل به وإن كان يعلمه. فما كل ما يعلم يحس به. فرفع الله العذاب عن الموحدين والمؤمنين وإن دخلوا النار. فما أدخلهم الله النار إلا لتحقق الكلمة الإلهية، ويقع التمييز بين الذين اجترحوا السيئات، وبين الذين عملوا الصالحات. فهذا حديث صحيح يعم الناس. ويبقى العذاب على أهل النار الذين هم أهلها، يجري إلى أجل مسمى عند الله، إلى أن تذكرهم ملائكة العذاب التسعة عشر. فإن الملائكة إذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر؛ فتتأخر شفاعتهم إلى أوان اتصافهم بالرحمة، عندما يرتفع شهودهم غضب الله، إيثاراً منهم لجناب الله على الخلق. فإن الملائكة تشفع يوم القيامة؛ يقول الله: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون،

وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين». فيشفع عند «شديد العقاب» و «المنتقم». وهذا من باب شفاعة الأسماء الإلهية. فيخرج من النار كل موحد وحد الله من حيث علمه، لا من حيث إيمانه، وما له عمل خير غير ذلك، لكنه من غير إيمان، فلذلك اختص الله به. وهذا الصنف من الموحدين هم الذين شهدوا مع شهادة الله سبحانه والملائكة، أنه لا إله إلا هو؛ فمن هناك سبقت لهم العناية بالاشتراك في الشهادة؛ ولم يعرفهم إلا الله وحده؛ والملائكة وإن عرفتهم، فإن الملائكة تحت أمر الله كالثقلين، فيحترمون جناب الله ويؤثرونه على هؤلاء؛ فلا يقدمون على الشفاعة فيهم لمخالفتهم أمر الله، وعدم قبولهم الإيمان. فينفرد الله وحده- سبحانه - من كونه أرحم الراحمين بإخراج هؤلاء من النار؛ ويترك أهلها فيها على حالهم، إلى تجليه في صورة الرضا، وعموم حكم الرحمة المركبة في عالم التركيب، وشفاعة ملائكة العذاب؛ فحينئذ يتغير الحال على أهل النار].

والرحمة المركبة هي رحمة البسملة المركبة من الاسم المركب «الرحمن الرحيم»، كما صرح به الشيخ في باب منزل سورة الصافات (الباب٣٤٧)، حيث بقول:

[... أول فاتحة الكتاب: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾. وجعل هذا التحميد بين الرحمة المركبة، فإنه تقدمه ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، وتأخره بعده ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ .فصار العالم بين رحمتين، فأوله مرحوم، ومآله الرحمة].

وأكد هذا المعنى مرة أخرى في الباب٣٤٨ المتعلق بسورة يس، فقال:

[فإذا انقضت مدة الآلام في جهنم، وهو يوم من خمسين ألف سنة في حق قوم، وأقل من ذلك في حق قوم، وشفعت التسعة عشر ملكا في أهل جهنم للرحمة التي سبقت، ارتفعت الآلام، فراحتهم ارتفاع الآلام لا وجود النعيم. فافهم. وهذا القدر هو نعيم أهل جهنم إن علمت .أوفي هذا المنزل من العلوم علم رحمة السيادة]، يعني الشيخ رحمة البسملة وسيادة «يس» قلب القرآن، التي معناها «يا سيد» نداء ترخيم.

نظائر التسعة عشر عدد الحروف الرقمية في البسملة :

- الباب٢٢ في معرفة منزل المنازل هو خلاصة كتاب الشيخ الذي عنوانه «منزل المنازل الفهوانية»، يعني سور القرآن. وفيها صنف السور إلى تسعة عشر نوعا تبعا للكلمة أو الحروف الفاتحة لها، وأعطى لكل سورة اسما مستنبطا من إحدى آياتها غير الاسم المعروفة به. وهذه الأنواع التسعة عشر هي:السور التي أوائلها الحمد كالفاتحة، والحروف المجهولة كالبقرة، والنداء «يا أيها» كالنساء، والأفعال المستقبلية كالأنفال، والأفعال الماضية كالنحل، وأفعال الأمر كالناس،والتسبيح كالإسراء، وحرف «إذا» كالزلزلة، و «ويل» كالهمزة، و «ألم» كالفيل، والقسم كالصافات، والاستفهام كالشرح، وحرف النفي كالبلد، والابتداء كبراءة، و«تبارك» كالملك، و «اقترب» كالأنبياء، و «إنا» كالكوثر، ولام الألف كقريش، و «قد» كالمجادلة.

ومن ذلك أن ما صح من الأخبار المتعلقة بالتشبيه في جناب الحق تعالى، عددها تسعة عشر، وهي: الصورة، والعين، واليد، واليمين، والقبض، والقدم، والتحول، والفرح، والضحك، والعجب، والنفس، والذراع، والمعية، والامتحان، والأنامل، والاستواء، والظرفية، والمكانية، والنزول.

ويقول الشيخ: **لكل منزل من هذه المنازل التسعة عشر صنف من الممكنات:**

فمنهم صنف الملائكة و هم صنف واحد وإن اختلفت أحوالهم؛ و علم الأجسام ثمانية عشر: الأفلاك أحد عشر نوعا (أي: السماوات السبعة، والفلك المكوكب، وفلك البروج، والكرسي، والعرش)، والأركان أربعة (أي : تراب- ماء - هواء - نار)، والمولدات ثلاثة (أي: معدن- نبات - حيوان).

ولها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الإلهية: (سيبدأ الشيخ هنا بذكر المقولات العشرة المشهورة عند الحكماء): الجوهر للذات وهو الأول، الثاني الأعراض وهي للصفات، الثالث الزمان وهو للأزل، الرابع المكان وهو للاستواء أو النعوت، الخامس الإضافات للإضافات، السادس الأوضاع للفهوانية، السابع الكميات للأسماء، الثامن الكيفيات للتجليات، التاسع التأثيرات للجود، العاشر الانفعالات للظهور في

صور الاعتقادات، الحادي عشر الخاصية وهي للأحدية، الثاني عشر الحيرة وهي للوصف بالنزول والفرح والقرض وأشباه ذلك، الثالث عشر حياة الكائنات للحي، الرابع عشر المعرفة للعلم، الخامس عشر الهواجس للإرادة، السادس عشر الإبصار للبصير، السابع عشر السمع للسميع، الثامن عشر الإنسان للكمال، التاسع عشر الأنوار والظلم للنور.

ونظائرها من القرآن حروف الهجاء التي في أول السور، وهي أربعة عشر حرفا في خمس مراتب: أحدية (مثل : ن- ص- ق)، وثنائية (مثل: حم)، وثلاثية (مثل: الم)، ورباعية (مثل: المر)، وخماسية (مثل: كهيعص).

ونظائرها من النار الخزنة تسعة عشر ملكا شرعا، وكذلك الجنة عليها تسعة عشر خازنا كشفا. ونظائرها في التأثير الكوني اثنا عشر برجا والسبعة الدراري. ونظائرها من الرجال النقباء اثنا عشر والأبدال السبعة؛ وهؤلاء السبعة منهم الأوتاد أربعة والإمامان اثنان والقطب واحد.

والنظائر لهذه المنازل من الحضرة الإلهية وفي منازل الجنة ومنازل النار ومن الأكوان كثير. **انتهى كلام الشيخ.**

وفي العقود الأخيرة كتب الكثير الكثير عن التركيبات القرآنية المتعلقة بالعدد ١٩، وهي منشورة في شبكات التواصل الإلكتروني؛ وبعضها جيد صحيح مقبول، وهو من مظاهر الإعجاز القرآني؛ وفي بعضها الآخر تكلف وتعسف مرفوض، بل ممجوج أحيانا.

الباب الثاني عشر

شرح الباب الخامس من الفتوحات المكية: في أسرار أمّ القرآن من طريق خاص

شرح الباب الخامس من الفتوحات المكية: من أسرار أمّ القرآن من طريق خاص .

يا أم قرآن العلى هل ترى ... من جهة الفرقان للفرقتين
أنت لنا السبع المثاني التي ... خص بها سيدنا دون مين
فأنت مفتاح الهدى للنهي ... وخص من عاداك بالفرقتين

وهي فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والكافية؛ والبسملة آية منها؛ وهي تتضمن الرب والعبد؛ ولنا في تقسيمها قريض منه:

للنيرين طلوع بالفؤاد فما ... في سورة الحمد يبدو ثالث لهما
فالبدر محو وشمس الذات مشرقة ... لولا الشروق لقد ألفيته عدما
هذي النجوم بأفق الشرق طالعة ... والبدر للمغرب العقلي قد لزما
فإن تبدى فلا نجم ولا قمر ... يلوح في الفلك العلويّ مرتسما

(النيران كناية عن شمس الألوهية التي لها الجزء الأول من الفاتحة، وعن قمر العبودية التي لها الجزء الأخير منها، والبدر هو العبد المحمدي الكامل؛ والجزء الثالث الأوسط هو الرابط بينهما. وجمع الشمس والبدر في ذات المحمدي الكامل المتحقق بالفاتحة، الذي لولا شروق أنوار شمس الربوبية عليه، لألفيته عدما إذ لا قيام لشيء إلا به سبحانه. قال تعالى في الآية ٦٠ من سورة النحل: ﴿**ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم**﴾. وبين شروق الألوهية في حضرات الظهور، والغروب

في حضرة البطون الذاتي، تبدو نجوم آيات تفصيل الفرقان النابعة من السبع المثاني. وظهور هذا التفصيل يستلزم وجود عقل يميز تلك الحقائق وآثارها الصفاتية والفعلية. وعقل الكامل هو ذلك القمر الذي بسريانه في منازله إلى أن يكون بدرا، هو الذي به يتم تفصيل الفرقان من عين القرآن).

فهي فاتحة الكتاب، لأن الكتاب عبارة، من باب الإشارة، عن المبدع الأول. فالكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها، لأنها منه. وإنما صح لها اسم الفاتحة، من حيث أنها أول ما افتتح بها كتاب الوجود؛ وهي عبارة عن المثل المنزه في ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى/ ١١]، بأن تكون الكاف عين الصفة. فلما أوجد المثل الذي هو الفاتحة، أوجد بعده الكتاب وجعله مفتاحاً له؛ فتأمل (أي أن الفاتحة هي سر القبضة الأصلية للحقيقة المحمدية، وصاحبها هو المثل الأعلى المخلوق على الصورة الرحمانية ؛ والكتاب هو الوجود المنتشر منها).

وهي أم القرآن، لأن الأمّ محل الإيجاد، والموجود فيها هو القرآن؛ والموجد (هو) الفاعل في الأمّ. فالأمّ هي الجامعة الكلية، وهي أمّ الكتاب الذي عنده في قوله تعالى: ﴿وعنده أمّ الكتاب﴾ [الرعد/ ٣٩]. فانظر عيسى ومريم- عليهما السلام-، وفاعل الإيجاد، يخرج لك عكس ما بدا لحسك: فالأمّ عيسى، والابن الذي هو الكتاب العندي، أو القرآن: مريم -عليها السلام- (أي أن لكل غاية وسيلة؛ والغاية المطلوبة هي الأم الحقيقية من حيث المعنى لا من حيث الحس؛ والغاية من الإيجاد هو الإنسان الكامل لأنه هو العبد العابد الكامل، والحق تعالى يقول: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾، وقال: ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾. وعيسى-عليه السلام- عبد محمدي كامل، وهو كلمة الله؛ والقرآن كلام الله، وأم الكلام كلمة جامعة وهي الفاتحة؛ أما مريم- عليها السلام- فهي الوسيلة لظهور عيسى. فمن هذه الاعتبارات يحصل أن كلمة الله، أي عيسى، هو نظير الفاتحة أم القرآن، وأن مريم - وهي مثل إنساني كامل للطبيعة الكلية القابلة للأمر الإلهي بالتكوين، كما كانت مريم قابلة لنفخ الروح جبريل، عليه السلام ، ليهب لها عيسى- هي نظير الكتاب. وأول جملة من إنجيل يوحنا: «في البدء كانت الكلمة». وهذه الكلمة العيسوية هي مظهر للحقيقة المحمدية الأصلية، أم كتاب الوجود. وجاء كلام الشيخ عن عيسى-

عليه السلام- بعد الكلام عن المثل، للرابطة المتميزة بين سيدنا محمد وعيسى- عليهما السلام-. قال تعالى في الآية ٥٧ من سورة الزخرف: ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون**﴾؛ وقال في الآية ٥٩ من سورة آل عمران -: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**﴾).

فافهم.

وكذلك الروح، ازدوج مع النفس بواسطة العقل؛ فصارت النفس محل الإيجاد حسا؛ والروح ما أتاها إلا من النفس؛ فالنفس (هي) الأب (أي أنه لا ظهور للروح القدسي والنفس الناطقة ظهورا كاملا في الإنسان إلا بعد تمام النشأة الجسمية ونفسه الحيوانية). **فهذه النفس هو الكتاب المرقوم لنفوذ الخط. فظهر في الابن ما خط القلم في الأمّ؛ وهو القرآن، الخارج على عالم الشهادة.**

والأمّ أيضاً عبارة عن وجود المثل محل الأسرار، فهو الرق المنشور الذي أودع فيه الكتاب المسطور، المودعة فيه تلك الأسرار الإلهية. فالكتاب هنا أعلى من الفاتحة، إذ الفاتحة دليل الكتاب ومدلولها؛ وشرف الدليل بحسب ما يدل عليه (أي هذه حالة كل المتضايفات، ومنها الوسيلة والغاية، فكل منها لازم للآخر، فكل منها فاعل ومنفعل).

أرأيت لو كان مفتاحاً لضدّ الكتاب المعلوم، أن لو فرض له ضد، حقر الدليل لحقارة المدلول. ولهذا أشار النبي ﷺ أن لا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو؛ لدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى؛ إذ قد سماها الحق كلام الله؛ والحروف الذي فيه أمثالها وأمثال الكلمات، إذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله، يسافر بها إلى أرض العدو، ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهها والكنف.

وهي السبع المثاني والقرآن العظيم: الصفات ظهرت في الوجود في واحد وواحد؛ فحضرة تفرد، وحضرة تجمع. فمن البسملة إلى «الدين» إفراد، وكذلك من «اهدنا» إلى «الضالين»؛ وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ تشمل (أي تجمع الحضرتين).

قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل». فلك السؤال ومنه العطاء؛ كما أن له السؤال بالأمر والنهي، ولك الامتثال.

يقول العبد: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، يقول الله: «حمدني عبدي». يقول العبد: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، يقول الله: «أثنى علي عبدي». يقول العبد: ﴿**ملك يوم الدين**﴾، يقول الله: «مجدني عبدي»، ومرة قال: «فوّض إليّ عبدي». هذا إفراد إلهي. وفي رواية يقول العبد: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، يقول الله: «ذكرني عبدي».

ثم قال يقول العبد: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، يقول الله: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»؛ فـ «ما» هي العطاء، و «إياك» في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهي.

يقول العبد: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾، «فهؤلاء لعبدي». هذا هو الإفراد العبدي المألوه. «ولعبدي ما سأل»: سأل مألوه ما إلهاً.

فلم تبق إلا حضرتان (أي حضرة الإله وحضرة المألوه)، فصح المثاني؛ فظهرت في الحق وجوداً، وفي العبد الكلي إيجاداً. فوصف نفسه بها ولا موجود سواه في العماء (أي لأن الفاتحة من كلام الله الأزلي القديم)، ثم وصف بها عبده حين استخلفه، ولذلك خرّوا له ساجدين (أي الملائكة سجدوا لآدم – عليه السلام – الخليفة الأول، والفاتح الأول لمظاهر الإنسان الكامل) لتمكن الصورة (أي لكونه مخلوقا على صورة الرحمن). ووقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة (أي في مقام الكرسي موضع القدمين الذي تتنزل منه الشرائع، وقع الفرق بين الثنائيات الوجودية، كالأمر و النهي، وكقدم الصدق السعيدة وقدم الجبر الشقية، وكالمطلق والمقيد، وكالفاعل والمنفعل).

والقرآن العظيم (الذي هو من أسماء الفاتحة): الجمع والوجود؛ وهو إفراده عنك، وجمعك به. وليس سوى قوله: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، وحسب.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

واقـــعـــة: (من معاني: الحمد لله) :

أرسـل رسـول الله ﷺ عثـمان- رضي الله عنـه- إلي، آمـراً بالـكلام في المنـام، بعـد مـا وقعـت شـفاعتي عـلى جماعتـي، ونجـا الـكل مـن أسر الهـلاك (عثـمان هنـا مناسـب لسـياق المقـام، لأنـه هـو الـذي جمـع القـرآن في المصحـف الموحـد المجمـع عليـه). **وقـرب المنـبر الأسـنى، وصعـدت عليـه عـن الإذن العـالي المحمـدي الأسـمى، بالاقتصـار عـلى لفظـة «الحمـد لله» خاصـة؛ ونـزل التأييـد، ورسـول الله ﷺ عـن يمـين المنـبر قاعـد. فقـال العبـد، بعـد مـا أنشـد وحمـد وأثنـى وبسـمل:**

حقيقـة «الحمـد» هـي العبـد المقـدس المنـزه (أي لأنـه لا وجـود للحمـد إلا بوجـود الحامـد، فحقيقـة الحمـد عندئـذ هـي عـين العبـد الحامـد، الـذي تنـزه عـن أن ينسـب الحمـد لنفسـه، لعلمـه أن الله تعـالى هـو الحامـد لنفسـه حـق الحمـد، سـواء في إطلاقـه أو في مظاهـر خلقـه. وينظـر مـا أوردنـاه سـابقا حـول تطابـق الحمـد مـع الـرداء والإنسـان المحمـدي الكامـل).

«لله» إشـارة إلى الـذات الأزليـة؛ وهـو مقـام انفصـال وجـود العبـد مـن وجـود الإلـه. ثـم غيبـه عـن وجـوده، بوجـوده الأزلي، وأوصلـه بـه، فقـال: «لله»، فالـلام الداخلـة عـلى قولـه «الله»، الخافضـة لـه، هـي حقيقـة المألـوه، في بـاب التواضـع والذلـة؛ وهـي مـن حـروف المعـاني، لا مـن حـروف الهجـاء. ثـم قدمهـا سـبحانه عـلى اسـم نفسـه، تشريفـاً لهـا، وتهمـا وتنزيهـاً لمعرفتهـا بنفسـها، وتصديقـاً لتقديـم النبـيّ ﷺ إياهـا في قولـه: «مـن عـرف نفسـه عـرف ربـه»، فقـدم معرفـة النفـس عـلى معرفـة الـرب.

ثـم عملـت في الاسـم «الله»، لتحقيـق الاتصـال، وتمكينهـا مـن المقـام. ولمـا كانـت في مقـام الوصلـة، ربـما توهـم أن «الحمـد» غـير «الـلام»، فخفـض العبـد اتباعـاً لحركـة الـلام؛ فقـرئ «الحمـد لله» بخفـض الـدال. فـكان لفظـة «الحمـد» بـدلاً مـن الـلام، بـدل شيء مـن شيء ،وهمـا لعـين واحـدة. فالحمـد هـو وجـود الـلام، والـلام هـي الحمـد. فـإذاً كانـا شـيئا واحـداً كان الحمـد في مقـام الوصلـة مـع الله، لأنـه عـين الـلام. فـكان معنـى، كـما كانـت الـلام لفظـاً ومعنـى.

ثـم حقيقـة الخفـض فيهـا إثبـات العبوديـة. ثـم أحيانـاً يفنيهـا عـن نفسـها فنـاء كليـاً، ليرفعهـا إلى المقـام الأعـلى في الأوّليـة، ثـم يبقـى حقيقتهـا في الآخريـة، فيقـول: «الحمـد لله»، برفـع الـلام اتباعـاً لحركـة الـدال. وهـذا ممـا

يؤيد أن الحمد اللام، وهو المعبر عنه بالرداء والثوب، إذ كان هو محل الصفات، وافتراق الجمع. فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت. والحق وراء ذلك كله، أو قل ومع ذلك كله.

فلما رفعها عارضاً في حق الحق، فأبقى الهاء مكسورة، تدل على وجود اللام في مقام خفض العبودية؛ ولهذا شدت اللام الوسطى بلفظة «لا»، أي ذات الحق ليست ذات العبد؛ وإنما هي حقيقة المثل، لتجلي الصورة.

ثم الهاء تعود على اللام لما هي معمولها، فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق ، لم تعمل فيها اللام، بل هو العامل في كل شيء. فإذا كانت اللام هي نفس الحمد، والهاء معمول اللام، فالهاء هي اللام، وقد كانت اللام هي الحمد، فالهاء (هي) الحمد بلا مزيد. وقد قلنا أن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد، (هي) موضع الفصل.

فخرج من مضمون هذا الكلام أن الحمد هو قوله: «لله»؛ وأن قوله «لله» هو قوله: «الحمد». فغاية العبد أن حمد نفسه، الذي رأى في المرآة، إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم؛ فأحدث المثل على الصورة؛ وصار الموحد مرآه. فلما تجلت صورة المثل في مرآة الذات، قال لها حين أبصرت الذات، فعطست، فميزت نفسها: «أحمدي من رأيت»، فحمدت نفسها، فقالت: «الحمد لله»، فقال لها: «يرحمك ربك يا آدم، لهذا خلقتك». فسبقت رحمته غضبه (يستشهد الشيخ هنا بالحديث النبوي، وهو: قال رسول الله ﷺ : « لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»).

ولهذا قال عقيب قوله ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾، فقدم الرحمة. ثم قال: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾، فأخر غضبه. فسبقت الرحمة الغضب، في أول افتتاح الوجود. فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة، ثم رحم بعد ذلك. فجاءت رحمتان بينهما غضب؛ فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنهما مثلان، فانضمت هذه إلى هذه، فانعدم الغضب بينهما، كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر:

إذا ضاق عليك الأمر ... فكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين ... إذا ذكرته فافرح

فالرحمة عبارة عن الموجود الأول، المعبر عنه بالمطلوب (أي: إمام ﴿**الذين**

أنعمت عليهم﴾) ؛ و «المغضوب عليه»: النفس الأمّارة؛ و «الضالون»: عالم التركيب، ما دامت هي مغضوبة عليها؛ إذ الباري منزه عن أن ينزه؛ إذ لا غير ولا موجود إلا هو (أي الوجود الحقيقي، لأن الخلق لا قيام له ولا وجود إلا بقيومية الحق في كل آن). **ولهذا أشار ﷺ بقوله: «المؤمن مرآة أخيه»** (أي من أسماء الله تعالى « المؤمن»، وهو يطلق أيضا على الإنسان المؤمن)، **لوجود الصورة على كمالها، إذ هي محل المعرفة، وهي الموصلة. ولو أوجده على غير تلك الصورة لكان جماداً.**

فالحمد لله الذي من على العارفين به الواقفين معه بموادّ العناية أزلاً وأبداً.

تنبيه (اللام تفني الرسم كما أن الباء تبقيه) :

اللام تفني الرسم كما أن الباء تبقيه، ولهذا قال أبو العباس بن العريف (الصنهاجي الأندلسي، من أكبر رجال التربية والتحقق العرفاني العالي، له تآليف ورسائل، أشهر كتبه «محاسن المجالس»، توفي في مراكش حيث ضريحه، سنة٥٣٦هـ): «**العلماء: لي. والعارفون: بي**». **فأثبت المقام الأعلى للام، فإنه قال في كلامه: «والعارفون بالهمم». ثم قال في حق اللام: «والحق وراء ذلك كله». ثم زاد تنبيهاً على ذلك ولم يقنع بهذا وحده فقال: «والهمم للوصول»، والهمة للعارفين البائين. وقال في العلماء اللاميين: «وإنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم»؛ وهذا هو مقام اللام: فناء الرسم. فـ «الحمد لله» أعلى من «الحمد بالله». فإن «الحمد بالله» يبقيك، و «الحمد لله» يفنيك. فإذا قال العالم: «الحمد لله»، أي: «لا حامد لله إلا هو»، فأحرى أن لا يكون ثم محمود سواه. وتقول العامة: «الحمد لله»، أي لا محمود إلا الله، وهي الحامدة، فاشتركا في صورة اللفظ. فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين والمحمودين؛ والعامة أفنت المحمودين من الخلق خاصة؛ وأمّا العارفون فلا يتمكن لهم أن يقولوا «الحمد لله» إلا مثل العامة؛ وإنما مقامهم «الحمد بالله» لبقاء نفوسهم عندهم. فتحقق هذا الفصل فإنه من لباب المعرفة.**

وصل في قوله : ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ :

(أصناف التربية) :

أثبت بقوله، عندنا وفي قلوبنا: ﴿**رب العالمين**﴾، حضرة الربوبية (بدأ بفعل «أثبت» لأن من معاني الرب الخمسة: الثابت). وهذا مقام العارف، ورسوخ قدم النفس، وهو موضع الصفة؛ فإن قولنا: «الله»، ذاتية المشهد، عالية المحتد؛ ثم أتبعه بقوله: ﴿**رب العالمين**﴾، أي مربيهم ومغذيهم. و «العالمين» عبارة عن كل ما سوى الله. والتربية تنقسم قسمين: تربية بواسطة، وبغير واسطة. فأمّا الكلمة (أي الروح الكلي، المظهر الأول للحقيقة المحمدية) فلا يتصوّر واسطة في حقه ألبتة (لأنه الحجاب الأعظم القائم بين يدي الحق. قال تعالى له عن القرآن العظيم: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك**﴾). وأمّا من دونه فلا بد من الواسطة.

ثم تنقسم التربية قسمين: التي بالواسطة خاصة، قسم محمود، وقسم مذموم؛ ومن القديم – تعالى- إلى النفس، والنفس داخلة في الحد، ما ثم إلا محدود خاصة. وأمّا المذموم والمحمود، فمن النفس إلى عالم الحس. فكانت النفس محلاً قابلاً لوجود التغيير والتطهير.

(خلق الروح مع العقل ، والنفس مع الهوى، والتفاعل بينهم) :

فنقول: إن الله تعالى لما أوجد الكلمة المعبر عنها بالروح الكلي، إيجاد إبداع، أوجدها في مقام الجهل ومحل السلب، أي أعماه عن رؤية نفسه، فبقي لا يعرف من أين صدر، ولا كيف صدر؛ وكان الغذاء فيه، الذي هو سبب حياته وبقائه، وهو لا يعلم. فحرّك الله همته لطلب ما عنده، وهو لا يدري أنه عنده، فأخذ في الرحلة بهمته، فأشهده الحق- تعالى- ذاته، فسكن، وعرف أن الذي طلب لم يزل به موصوفاً. قال إبراهيم بن مسعود الألبيري (شاعر أندلسي: ٣٧٥-٤٦٠هـ):

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

وعلم ما أودع الله فيه من الأسرار والحكم، وتحقق عنده حدوثه، وعرف ذاته معرفة إحاطية، فكانت تلك المعرفة له غذاء معيناً، يتقوّت به، وتدوم حياته إلى غير نهاية.

فقال له عند ذلك التجلي الأقدس: «ما اسمى عندك»؟ فقال: «أنت ربي». فلم يعرفه إلا في حضرة الربوبية. وتفرد القديم بالألوهية؛ فإنه لا يعرفه إلا هو. فقال له سبحانه: «أنت مربوبي، وأنا ربك، أعطيتك أسمائي وصفاتي، فمن رآك رآني، ومن أطاعك أطاعني، ومن علمك علمني، ومن جهلك جهلني، فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك، وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك، لا بكيفيتك (كثيرة هي الآيات والأحاديث الدالة على هذه المعاني، كقوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾[الفتح/ ١٠] وقوله: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ [النساء/ ٨٠] وقوله: ﴿**والله ورسوله أحق أن ترضوه**﴾ [التوبة/ ٦٢]، وقوله- عليه السلام-: «من رآني فقد رأى الحق». وإذا كان الحديث القدسي الثابت الصحيح يصرح أن الحق تعالى سمع وبصر ويد ورجل من يحبه لما تقرب إليه بالفرائض، فكيف بسيد المحبوبين وإمام الأقربين). **كذلك أنت معي، لا تتعدى معرفة نفسك، ولا ترى غيرك، ولا يحصل لك العلم بي إلا من حيث الوجود، ولو أحطت علماً بي لكنت أنت أنا، ولكنت محاطاً لك، وكانت إنيتي إنيتك، وليست إنيتك إنيتي؛ فأمدك بالأسرار الإلهية؛ وأريبك بها؛ فتجدها مجعولة فيك فتعرفها؛ وقد حجبتك عن معرفة كيفية إمدادي لك بها؛ إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها؛ إذ لو عرفتها لاتحدت الإنية، واتحاد الإنية محال؛ فمشاهدتك لذلك محال. هل ترجع إنية المركب إنية البسيط؟ لا سبيل إلى قلب الحقائق. فاعلم أن من دونك في حكم التبعية لك، كما أنت في حكم التبعية لي؛ فأنت ثوبي؛ وأنت ردائي؛ وأنت غطائي.**

فقال له الروح: «ربي سمعتك تذكر أن لي ملكاً، فأين هو؟ فاستخرج له النفس منه (أي النفس الكلية التي هي اللوح المحفوظ، كما أن الروح الكلي هو القلم الأعلى والعقل الأول)، **وهي المفعول عن الانبعاث. فقال: «هذا بعضي، وأنا كله، كما أنا منك ولست مني». قال: «صدقت يا روحي»؛ قال: «بك نطقت يا ربي، أنك ربيتني وحجبت عني سرّ الإمداد والتربية، وانفردت أنت به، فاجعل إمدادي محجوباً عن هذا الملك، حتى يجهلني كما جهلتك». فخلق في النفس صفة القبول والافتقار، ووزر العقل إلى الروح المقدس.**

ثم اطلع الروح على النفس، فقال لها: «من أنا»؟ قالت: «ربي، بك حياتي، وبك بقائي» (أي ربوبية المخلوق الفاعل على المخلوق المنفعل، لا ربوبية الله الخالق على المخلوق، التي هي ربوبيته- تعالى- على جميع خلقه وأولهم الروح الكلي). **فتاه الروح بملكه، وقام فيه مقام ربه فيه، وتخيل أن ذلك هو نفس الإمداد. فأراد الحق أن يعرفه أن الأمر على خلاف ما تخيل، وأنه لو أعطاه سر الإمداد كما سأل، لما انفردت الألوهية عنه بشيء، ولاتحدت الإنية. فلما أراد ذلك خلق الهوى في مقابلته، وخلق الشهوة في مقابلة العقل، ووزرها للهوى؛ وجعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموماً؛ فحصلت النفس بين ربين قويين، لهما وزيران عظيمان؛ ومازال هذا يناديها وهذا يناديها، والكل من عند الله؛ قال تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾ [النساء/ ٧٨]** (وقال): **﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾** [الإسراء/ ١١١]. **ولهذا كانت النفس محل التغيير والتطهير؛ قال تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾** [الشمس/ ٨]، **في إثر قوله: ﴿ونفس وما سواها﴾** [الشمس/ ٧]. **فإن أجابت منادي الهوى كان التغيير، وإن أجابت منادي الروح كان التطهير شرعاً وتوحيداً.**

فلما رأى الروح (أنه) **ينادي ولا يسمع مجيباً، فقال: «ما منع ملكي من إجابتي»؟ قال له الوزير: «في مقابلتك ملك مطاع عظيم السلطان، يسمى الهوى، عطيته معجلة، له الدنيا بحذافيرها، فبسط لها حضرته، ودعاها فأجابته. فرجع الروح بالشكوى إلى الله تعالى، فثبتت عبوديته. وذلك كان المراد.**

وتنزلت الأرباب والمربوبون، كل واحد على حسب مقامه وقدره: فعالم الشهادة المنفصل، ربهم عالم الخطاب. وعالم الشهادة المتصل، ربهم عالم الجبروت. وعالم الجبروت، ربهم عالم الملكوت. وعالم الملكوت، ربهم الكلمة. والكلمة، ربها رب الكل الواحد الصمد (أي أن رب كل مرتبة وجودية، هو الحضرة التي فوقها مباشرة، في سلسلة مراتب الوجود، لأنها تستمد منها ثبوتها وتربيتها وصلاحها).

وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المسمى بـ «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية» فأضربنا عن تتميم هذا الفصل هنا

مخافة التطويل، وكذلك ذكرناه أيضاً في تفسير القرآن (ينظر الباب ٣٨٣ من الفتوحات الذي سبق شرحه في هذا الكتاب).

فسبحان من تفرد بتربية عباده، وحجب من حجب منهم بالوسائط.

وخرج من هذا الفصل، لمن عرف روحه ومعناه، أن الرب هو الله سبحانه، وأن «العالمين» هو المثل الكلي؛ ولذلك أوجده في «العالمين» على ثمانية أحرف عرشا (أي كلمة «العالمين» تتألف من ثمانية أحرف، فهي مناسبة لحملة العرش الثمانية، الذين خصص لهم الشيخ الباب الثالث عشر من الفتوحات)؛ واستوى عليه باللطف، والتربية، والحنان، والرحمة الرحمانية، المؤكدة بالرحيمية، لتميز الدار الحيوان، لقوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾. فعم بـ «الرحمان»، وخص بـ «الرحيم». فـ «الرحمان» في عالمه بالوسائط وغيرها، و «الرحيم» في كلماته بلا واسطة، لوجود الاختصاص، وشرف العناية (أي: رحمة «الرحمن» لأنها عامة، تتجلى من خلال الوسائط الكونية، الحاجبة لأهل الغفلة والجهل، لوقوفهم التام مع الأسباب الكونية، وتتجلى بغير الوسائط أيضا. وأما رحمة «الرحيم» فهو متوجه مباشرة إلى أهل الإيمان والسعادة الخالصة، بواسطة كلماته المنزلة على رسله، والمبينة لشرائعه وسبل سعادتهم). فافهم. وإلا سلم تسلم.

وصل في قوله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ :

يريد يوم الجزاء. وحضرة الملك من مقام التفرقة؛ وهي جمع؛ فإنه لا تقع التفرقة إلا في الجمع؛ قال: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان/ ٤]؛ فهي مقام الجمع؛ وقد قبلت سلطان التفرقة؛ فهي مقام التفرقة. فافترق الجمع إلى أمر ونهي خطابا، وسخط ورضا إرادة، وطاعة وعصيان: فعل مألوه، ووعد ووعيد: فعل إله.

والملك في هذا اليوم من حقت له الشفاعة واختص بها، ولم يقل: «نفسي»، وقال: «أمتي» (يريد الشيخ هنا التذكير بحديث الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين؛ وهو مروي في صحيح البخاري وغيره من كتب الصحاح. وهو قوله-عليه السلام-: يجمع الله الناس الأولين والآخرين فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا

يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَ، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ -فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ- نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي..

اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي..

اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدً، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ

يَفْتَحُهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى.[7].

هذا الحديث هو أحد الأحاديث الكثيرة الواردة في إثبات الشَّفَاعَة العظمى للنبي ﷺ).

والملك في وجودنا المطلوب للقيامة المعجلة، التي تظهر في طريق التصوف، هو الروح القدسي.

ويوم القيامة (هو) وقت إيجاده الجزاء، أو طولب به إن كانت عقوبة، لابد من ذلك؛ فإن كانت الطاعة، فجنات من نخيل وأعناب، وإن كانت المعصية الكفرانية فجهنم من أغلال وعذاب؛ ومن مقام الدعوى في الصورتين (أي أن الذي يدعي أنه خالق لأفعاله، يجازى بالطاعة ثوابا وبالمعصية عقابا إن لم تتداركه رحمة ربه).

فنفرض الكلام في هذه الآية على حد الملك، وما ينبغي له، وهل ترتقي النفس من يوم الدين إلى الفناء عنه؟ فأقول: أن الملك من صح له الملك بطريق الملك، وسجد له الملك، وهو الروح؛ فلما نازعه الهوى، واستعان بالنفس عليه، عزم الروح على قتل الهوى، واستعدّ. فلما برز الروح بجنود التوحيد والملأ الأعلى، وبرز الهوى كذلك بجنود الأماني والغرور والملأ الأسفل، قال الروح للهوى: «مني إليك، فإن ظفرت بك فالقوم لي، وإن ظفرت أنت وهزمتني فالملك لك، ولا يهلك القوم بيننا». برز الروح والهوى، فقتله الروح بسيف العدم، وظفر بالنفس بعد إباية منها وجهد كبير، فأسلمت تحت سيفه، فسلمت وأسلمت، وتطهرت وتقدست، وآمنت الحواس لإيمانها، ودخلوا في رق الانقياد ، وأذعنوا، وسلبت عنهم أردية الدعاوى الفاسدة، واتحدت كلمتهم، وصار الروح والنفس كالشيء الواحد، وصح له اسم الملك حقيقة، فقال له: ﴿ملك يوم الدين﴾؛ فردّه إلى مقامه، ونقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد (أي أن كل ما فعلته أيها الروح، ليس هو في الحقيقة فعلك، وإنما هو

فعل الله تعالى وحده، فلولا توفيقه وتأييده وحوله وقوته ما استطعت شيئا من حركة أو سكون، فضلا عن إعدام الهوى وملك النفس).

والملك على الحقيقة هو الحق تعالى، المالك للكل، ومصرفه، وهو الشفيع لنفسه عامة وخاصة، خاصة في الدنيا، وعامة في الآخرة من وجه ما. ولذلك قدم على قوله ﴿ملك يوم الدين﴾: ﴿الرحمن الرحيم﴾، لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية رب العالمين. ألا تراه يقول يوم الدين: «شفعت الملائكة والنبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين»، ولم يقل: «وبقي الجبار» ولا «القهار»، ليقع التأنيس قبل إيجاد الفعل في قلوبهم.

فمن عرف المعنى في هذا الوجود، صحّ له الاختصاص في مقام «أرحم»؛ ومن جهلها في هذا الوجود، دخل في العامة، في الحشر الأكبر، فتجلى في مقام «الراحمين»؛ فعاد الفرق جمعاً، والفتق رتقاً، والشفع وتراً، بشفاعة «أرحم الراحمين»، من جهنم ظاهر السور، إلى جنة باطنه (أي أن يوم الدين هو يوم المعارج والجزاء، مقداره خمسون ألف سنة كما في فاتحة سورة المعارج، وفيه تقام الحدود على أهلها. وبانتهائه تشمل شفاعة أرحم الراحمين جميع العباد، فتعم الرحمة، مع بقاء أهل الجنة خالدين فيها، وأهل جهنم خالدين فيها).

فإذا وقع الجدار، وانهدم السور (أي الجدار الفاصل بين الحالي والعاطل، أو سور الأعراف العازل بين المرحومين والمعذبين) **وامتزجت الأنهار، والتقت البحران، وعدم البرزخ، صار العذاب نعيماً، وجهنم جنة، فلا عذاب ولا عقاب، إلا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان، وترنم أطيار بألحان، على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والولدان؛ وعدم مالك وبقي رضوان؛ وصارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان؛ واتضح سر إبليس فيهم، فإذا هو ومن سجد له سيان؛ فإنهما ما تصرّفا إلا عن قضاء سابق، وقدر لاحق؛ لا محيص لهما عنه، فلا بد لهما منه؛ وحاج آدم موسى** (أراد الشيخ هنا التذكير بالحديث المروي في الصحاح عن النبي ﷺ قال: حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له: أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم. قال آدم: «يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله على قبل أن

يخلقني، أو قدره على قبل أن يخلقني ؟ « قال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى).

وصل في قوله جل ثناؤه وتقدس: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ :

لما ثبت وجوده بـ ﴿الحمد لله﴾، وغذاؤه بـ ﴿رب العالمين﴾، واصطفاؤه بـ ﴿الرحمن الرحيم﴾، وتمجيده بـ ﴿ملك يوم الدين﴾؛ أراد تأكيد تكرار الشكر والثناء، رغبة في المزيد؛ فقال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. وهذا مقام الشكر، أي لك نقر بالعبودية ونؤوي؛ وحدك لا شريك لك؛ وإليك نؤوي في الاستعانة، لا إلى غيرك، على من أنزلتهم مني منزلتي منك، فأنا أمدهم بك لا بنفسي؛ فأنت الممد لا أنا. وأثبت له بهذه الآية نفي الشريك.

فالياء من «إياك» العبد الكلي (أي لأن المتكلم هنا كأنه يقول: «إنا لك نعبد، وإنا بك نستعين». فنابت الياء مناب نون إنية المتكلم، وهو العبد الكلي، المتكلم بكل قواه وجزئياته الظاهرة والباطنة)، **قد انحصرت ما بين ألفين: ألفي توحيد؛ حتى لا يكون لها موضع دعوى برؤية غير. فأحاط بها التوحيد. والكاف ضمير الحق، فالكاف والألفان شيء واحد؛ فهم مدلول الذات. ثم كان «نعبد» صفة فعل الياء، بالضمير الذي فيه؛ والعبد فعل الحق؛ فلم يبق في الوجود إلا الحضرة الإلهية خاصة. غير أنه في قوله: ﴿إياك نعبد﴾ في حق نفسه للإبداع الأوّل، حيث لا يتصور غيره** (أي أن الروح الكلي هو أول مبدع – اسم مفعول – فهو أول عابد، قال تعالى له ﷺ في الآية ٨١ من سورة الزخرف :**﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾؛ وقال له في سورة الأنعام : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (163) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِين﴾؛ و﴿إياك نستعين﴾ في حق غيره، للخلق المشتق منه، وهو محل سر الخلافة** (أي لأن الخلافة تستلزم وجود نائب مستخلف، أي وجود اثنين: ملك معين، وهو هنا الحق الباطن، وخليفة مستعين، وهو هنا العبد الكامل الظاهر). **ففي ﴿إياك نستعين﴾ سجدت الملائكة، وأبى من استكبر.**

وصل في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين﴾ :

فلما قال له: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، قال له: «وما عبادتي»؟ قال: ثبوت التوحيد في الجمع والتفرقة. فلما استقر عند النفس أن النجاة في التوحيد، الذي هو الصراط المستقيم، وهو شهود الذات بفنائها، أو بقائها إن غفلت، قالت: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾؛ فتعرض لها بقولها «المستقيم» صراطان: معوج وهو صراط الدعوى، ومستقيم وهو التوحيد؛ فلم يكن لها ميز بين الصراطين إلا بحسب السالكين عليهما؛ فرأت ربها سالكاً للمستقيم، فعرفته به؛ ونظرت نفسها، فوجدت بينها وبين ربها الذي هو الروح مقاربة في اللطافة؛ ونظرت إلى المعوج عند عالم التركيب؛ فذلك قولها: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾؛ وهذا عالمها المتصل بها المركب، مغضوب عليه؛ والمنفصل عنها ضالون عنها، بنظرهم إلى المتصل المغضوب عليه.

فوقفت على رأس الصراطين، ورأت غاية المعوج الهلاك، وغاية المستقيم النجاة؛ وعلمت أن عالمها يتبعها حيث سلكت؛ فلما أرادت السلوك على المستقيم، وأن تعتكف في حضرة ربها، وأن ذلك لها ومن نفسها بقولها: ﴿**إياك نعبد**﴾، عجزت وقصر بها، فطلبت الاستعانة بقولها: ﴿**وإياك نستعين**﴾، فنبهها ربها على ﴿**اهدنا**﴾، فتيقظت، فقالت: ﴿**اهدنا**﴾، فوصفت ما رأت بقولها: ﴿**الصراط المستقيم**﴾، الذي هو معرفة ذاتك.

قال صاحب المواقف (هو الصوفي المحقق محمد بن عبد الجبار النفري العراقي، له كتاب «المواقف والمخاطبات»، توفي سنة ٣٥٤هـ): [**لا تأثير للعلم**]؛ وقال: [**أنت لما هلكت فيه**] (أي أن علم الله تعالى الأزلي تابع لما هو عليه المعلوم، وليس العكس، وبهذا كانت حجة الله البالغة، وأنه – تعالى – ليس بظلام للعبيد).

﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾، وقرئ في الشاذ: «صراط من أنعم عليه»؛ إشارة إلى الروح القدسي. وتفسير الكل، من أنعم الله عليه من رسول ونبي؛ ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ ليس كذلك، ﴿**ولا الضالين**﴾.

يقول تعالى: «فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»، فأجابها، وأقام معوجها، وأوضح صراطها، ورفع بساطها. يقول ربها إثر تمام دعائها:

«آمين». فحصلت الإجابة بالأمن، تأمين الملائكة؛ وصار تأمين الروح تابعاً له اتباع الأجناد، بل أطوع، لكون الإرادة متحدة؛ وصح لها النطق، فسماها النفس الناطقة، وهي عرش الروح، والعقل صورة الاستواء (أي بتمام التحقق بالفاتحة عند النطق بها بلسان الظاهر والباطن، تتم نشأة الإنسان الكامل، إذ هي سورته المتجلية فيها صورته: «خلق الله آدم على صورته».

فافهم. وإلا فسلم تسلم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.